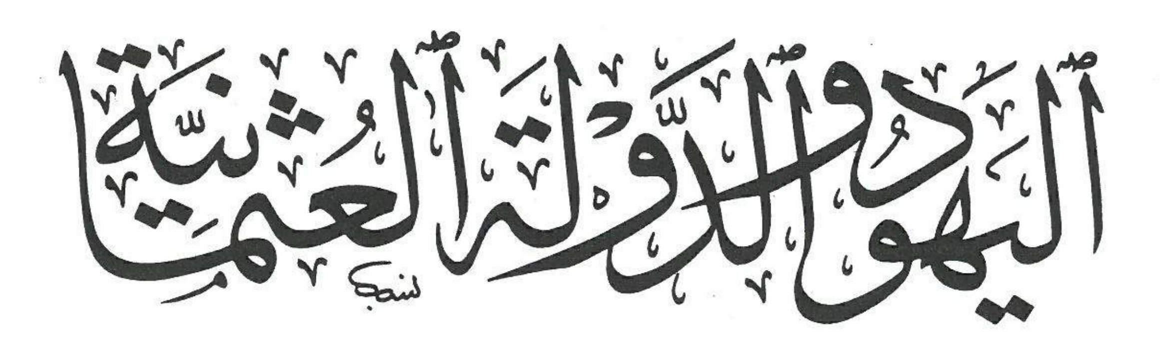


اليهود والدولة العثمانية

الدكتور أحمد نوري النعيمي

دار البشير
مؤسسة الرسالة

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

****

رقم التصنيف	٣٢٠،٥٦
المؤلف ومن هو في حكمه	أحمد نوري النعيمي
عنوان المصنف	اليهود والدولة العثمانية
الموضوع الرئيسي	١- العلوم الاجتماعية
	٢- الصهيونية
رقم الإيداع	١١٤٥/٨/١٩٩٦
بيانات النشر	عمان : دار البشير

* تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٩٠٤/٩/١٩٩٦



مؤسسة الرسالة / بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف ٦٠٣٢٤٣ - ٨١٥١١٢ ص.ب ٧٤٦٠ برقياً : بيوشران

دار البشير
ص.ب (١٨٢٠٧٧) / (١٨٣٩٨٢)
هاتف : (٦٥٩٨٩١) / (٦٥٩٨٩٢)
فاكس : (٦٥٩٨٩٣) تلكس (٢٣٧٠٨) بشير
مركز جوهرة القدس التجاري / العبدلي
عمان - الأردن

Dar Al-Bashir
For Publishing & Distribution
Tel: (659891) / (659892)
Fax: (659893) / Tlx. (23708) Bashir
P.O.Box. (182077) / (183982)
Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali
Amman - Jordan

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

(نحن اليهود لسنا إلاّ سادة العالم
ومفسديه ومحركي الفتن فيه وجلاديه)
أوسكار ليفي

لقد كتب الكثير حول القضية الفلسطينية، وجذور الحركة الصهيونية، إلاّ أن هذه الكتابات لم تتناول إلاّ بالنزر القليل محاولات الحركة الصهيونية لدى السلاطين العثمانيين لإقامة دولتها المزعومة في فلسطين. وقد تطرق الكتاب بصفحات قليلة إلى الموضوع المذكور. ولكن هذا لا يعني من جانب آخر أن بعضاً لم يهتموا بهذا الموضوع، حيث ظهرت في الآونة الأخيرة دراسات جامعية، استفاد الباحثون من بعض الوثائق والدراسات التي تناولت هذا الموضوع من قريب، أو بعيد. وفي اعتقادنا أن عدم الاهتمام بمثل هذا النوع من الدراسات إلى وقت متأخر يعزى إلى جملة أسباب، بالإمكان تلخيصها بما يلي:-

١ - عدم معرفة بعض الكتاب العرب اللغة التركية، حيث أن معرفتها كانت تساعد على كشف أمور كثير ة خافية على الأذهان، الأمر الذي أدى إلى أن تبقى هذه المعلومات خافية ومطوية لمدة غير قصيرة من التاريخ.

٢- أن التطورات السياسية الداخلية في تركيا الحديثة لم تسمح بنشر مثل هذه الوثائق والمعلومات، لأن بعضاً من قادة الأحزاب السياسية التركية، قد تورطوا في الحركة الصهيونية والماسونية على حد سواء أثناء عهد حكم الإتحاد والترقي.

٣- أن بعضاً من رجال السياسة قد عاصروا التطورات السياسية في الدولة العثمانية، إلاّ أنهم لم يستطيعوا التطرق إلى قضايا الصهيونية والماسونية، لأن القانون التركي لم يسمح بنشر مثل هذه المعلومات والوثائق لما لها من علاقة مع بعض الشخصيات التركية البارزة، وهناك عقوبات قانونية توقع على كل من يمس

هؤلاء بسوء من قريب أو بعيد.

٤ـ عندما سيطر رجال حزب الاتحاد والترقي على السلطة في الدولة العثمانية قاموا بالاحتفاظ بجميع الملفات والوثائق الموجودة في سراي يلدز، ولم تودع هذه الوثائق والملفات في المتاحف التركية إلّا في وقت متأخر. وعليه لم تصل أيدي الباحثين إليها إلّا في أواخر هذا القرن.

وعلى الرغم من الصعوبات الآنفة الذكر، فقد بدأ بعض كتاب العرب تناول هذا الموضوع، ولا سيما بعد ظهور مذكرات السلطان عبدالحميد وخاطراته السياسية في السنوات الأخيرة من هذا القرن، حيث كشفت هذه المذكرات خفايا وأسرار السياسة الداخلية العثمانية وعلاقتها بهجرة اليهود إلى فلسطين منذ عام ١٨٨٢، وذلك بعد المذابح الشهيرة في روسيا القيصرية ضد اليهود. كل ذلك قد كشف دور اليهود في السياسة العثمانية، فضلاً عن ذلك فإنها كشفت العلاقة العضوية بين حركة الإتحاد والترقي واليهود والمحافل الماسونية.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة بالنسبة لنا، حيث قمنا بدراستها على الرغم من صعوبتها، وندرة المصادر والمراجع العربية والأجنبية فيها، كي نقدم للقارىء العربي الشيء الكثير من خفايا السياسة العثمانية تجاه اليهود والحركة الصهيونية علها تكشف للقارىء الحقائق التي تفتح المجال أمام الباحثين للدراسة والتعمق في هذا الموضوع.

وقد سلكت مناهج متعددة في أسلوب البحث، حيث اتبعت المنهج التاريخي في ذكر الحقائق التاريخية، وقمت بالاعتماد على المنهج القانوني عن طريق دراسة بعض الفرمانات والأوامر التي كانت تصدرها الحكومة العثمانية بين حين وآخر تجاه الهجرة اليهودية إلى الدولة العثمانية. فضلاً عن المنهجين السابقين، تناولت المنهج التحليلي، واعتمدت عليه إعتماداً كلياً في هذه الدراسة، حيث لم أسرد الحقائق التـاريخية كما هي، ولم أحاول أن أسبغ على هذه الدراسة الصفة القانونية، بل

حاولت تحليل الحقائق التاريخية والتعليق على النصوص القانونية، فضلاً عن تحليل الشخصية اليهودية عن طريق علم الاجتماع السياسي.

أما فيما يتعلق بالمصادر، فقد اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة كبيرة من المصادر العربية والإنكليزية والتركية، منها:

أولاً: المصادر العربية:

١ـ أرنست أ. رامزور، تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ ـ ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠. قدم الباحث هذه الدراسة إلى إحـدى الجامعات الأمريكية لنيل درجة الدكتوراة، إذ اعتمد المؤلف على مصادر أجنبية كثيرة، من مراجع ووثائق تركية. وقد كشف رامزور عن أسرار كثيرة كانت خافية عن الأذهـان، ومن حيث الأسـرار كشف العـلاقـة المـوجودة بين المحافل الماسونية واليهودية العالمية، ودور الأخيرة في الإطاحة بحكم السلطان عبدالحميد، وإن كان المؤلف متعـاطفـاً مع جمعية تركيا الفتاة والمحافل الماسونية، حيث لم يحاول انتقادهما.

وفي اعتقادنا، يبقى هذا المصدر مصدراً مهماً لمعرفة أمور كثيرة حيث يلقي الضوء على ملابسات السياسة الدولية وتأثيرها على الأوضاع الداخلية للدولة العثمانية في تلك الحقبة.

٢ـ حسان علي حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ ـ ١٩٠٩، ط٢، الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٠. قدم الباحث هذه الدراسة إلى جامعـة بيروت العـربية ـ معهـد الدراسات العربية والإسلامية/ قسم التاريخ الحـديث / ١٩٧٧، حيث نال درجـة المـاجستير. يعـد هذا الكتاب أول رسالة جامعية، تتناول هذا الموضوع بعلمية وبحياد تام، لأن أكثر الدراسات التي ظهرت في هذا المجال، كانت متأثرة بالمصادر الغربية.

٣ـ السلطان عبدالحميد الثاني: مذكراتي السياسية ١٨٩١ ـ ١٩٠٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩. تحتوي هذه المذكرات على مجموعة من مواقف عبدالحميد إزاء القوى الأوربية والحركة الصهيونية.

٤ـ الدكتور محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر من قيام الحرب العالمية الأولى إلى قيام الجامعة العربية، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٩٥٦. كشف هذا الكتاب عن علاقة بعض القواد ورجال الدولة قبل الحرب العالمية الأولى بالمحافل الماسونية وبعض الجمعيات السرية، علماً أن بعض المصادر العربية عدت هؤلاء من رجال الفكر، وبرزت مواقفهم الوطنية في هذا المجال. وعلى هذا الأساس لم يكن من الغريب، أن يقوم بعض الكتاب بانتقاد مؤلف الدكتور محمد محمد حسين. وفي اعتقادنا جاءت هذه الإنتقادات من قبل هؤلاء الكتاب من غير تعمد لجهلهم باللغات الأجنبية.

٥ـ الرجل الصنم تأليف ضابط تركي سابق، ترجمة عبدالله عبدالرحمن، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٨. يعد هذا الكتاب جواباً على كتاب شوكت ثريا والموسوم بـ «الرجل الأوحد».

والكتاب يلقي الضوء على شخصية مصطفى كمال الملقب بأتاتورك، وكيف حاولت القوى الأجنبية تضخيم دوره في هذا المجال، حيث عدته بأنه المنقذ البطل لتركيا الحديثة ابتداءً من مؤتمر لوزان ومنتهياً بإلغائه السلطنة والخلافة. ناهيك أن الكتاب المذكور يكشف عن خفايا كثيرة عن جمعية الإتحاد والترقي.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

أما بالنسبة إلى المصادر الأجنبية، فبالإمكان ذكر البعض منها:

١ـ كتب ماندل بحثين عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين، والبحثان هما:

A – Mandel J., Neville, «Ottoman Policy and Restriction on Jewish Settlement in Palestine: 1881

– 1908», Part 1, Middle Eastern Studies, Vol. 10, No. 3, October, 1979.

B – ...., «Ottoman Practice as Regards Jewish Settlement 1881 – 1908», Middle Eastern Studies, Vol. 11, No. 1,January, 1978.

وفي البحثين السالفي الذكر رجع ماندل إلى وثائق مهمة بهذا الخصوص، وهذه الوثائق جميعها تؤكد أن عبدالحميد أصدر فرمانات كثيرة بغية منع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ويعد هذان البحثان، دراسة مهمة لمعرفة جهود القوى العظمى للتأثير على السياسة العثمانية لإطلاق هجرة اليهود إلى فلسطين، ويؤكدان، كيفية محاولة القوى الأوربية استخدام مفهوم الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية، لتحقيق الأهداف السالفة الذكر.

٢ـ ان ما كتبه وايزمن في كتابه الموسوم بـ Trial and Error، يعد مهماً بالنسبة لنا، حيث يذكر المؤلف بأن الحركة الصهيونية اتبعت السبل كافة للوصول إلى فلسطين، ويشير وايزمن كيف أن الصهيونية استخدمت الرشوة مع الولاة المحليين من متصرفية القدس بغية الوصول إلى أهدافها.

٣ـ ومن سلسلة المصادر التي اعتمدنا عليها في هذا المجال، كتاب سيتون واتسون والموسوم بـ The Rise of Nationality in the Balkans، كشف هذا الكتاب عن خفايا السياسة الداخلية العثمانية، ومدى العلاقة الموجودة بين السلوك السياسي الداخلي العثماني عن طريق المحافل الماسونية والسياسة الدولية، وذلك عن طريق بعض الجمعيات السرية العالمية. فضلاً عن دور طائفة الدونمة في سلانيك، وعلاقة هذه الطائفة بالبيوتات اليهودية في العالم، ويؤكد المؤلف أن أكثر التطورات التي حصلت في تلك الحقبة ترجع أساساً إلى هذه الطائفة. وقد اعتمد الكاتب على مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع في هذا المجال.

٤ـ فيما يتعلق بكتاب برنارد لويس والموسوم بـ The Emergence of Modern Turkey، يلقي الضوء على تورط بعض الشخصيات التركية في الحركة الماسونية أمثال

طلعت باشا، ويلقي الضوء على دور كل من جاويد بك وقرة صو في السياسة الداخلية العثمانية لصالح الحركة الصهيونية.

وقد اعتمد الكاتب على مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع في هذا المجال.

٥- وإذا رجعنا إلى المصادر والمراجع التركية، نرى بين أيدينا كتاب الدكتور رضا نور والموسوم بـ «Hayat ve Hatriatim» ويقع الكتاب في ٢٠٠٠ صفحة، وقد أودع نسخة منه في إحدى المتاحف في فرنسا، وأودع نسخة أخرى في المتحف البريطاني. وقد أوصى في هذه المذكرات، بعدم فتحها قبل عام ١٩٦٠. وفي الحقيقة، نشر هذا الكتاب في تركيا في عام ١٩٦٨، وقام الكاتب على نشر أسرار كثيرة في تلك الحقبة.

٦- اعتمدنا في هذه الدراسة على كتب جواد رفعت اتلخان، اذ رجعنا إلى مؤلفاته الكثيرة، نشير إلى بعض منها على سبيل المثال:

Islami Saran Tehlike Siyonism ve Protokollar; Islam ve Beni Israil; Farmasonluk Insanligin Kanseri; Mushun Yahude Suzili berman in Hatra Defferi.

وهذه الكتب جميعاً تتحدث عن دور اليهود والماسونية في السياسة الداخلية العثمانية، ويعد اتلخان أول كاتب في تركيا الحديثة، يقوم بدور المنتقد لليهود والماسونية في تركيا، ومن المناصرين للقضية الفلسطينية. إن اتلخان كان ضابطاً في الجيش العثماني، إذ قام بترجمة الحياة السياسية في تلك الحقبة، وأبرز دور اليهود في خلع السلطان عبدالحميد في انقلاب ٢٧ نيسان ١٩٠٩.

٧- فضلاً عن ذلك، فقد رجعنا إلى كتاب حكمت تاتيو وتحت عنوان:

Tarih Boyunca Yahudiler ve Turkler..

يقع هذا الكتاب في جزئين، يتحدث المؤلف عن جذور الحركة الصهيونية، وقد خصص الكاتب فصلاً خاصاً عن طائفة الدونمة، ودورها في الإطاحة بالسلطان

عبدالحميد في انقلاب ٢٧ نيسان ١٩٠٩.

٨- أما كتاب الهامي سويسال والذي يحمل عنوان:

Turkiye ve Dunyada Masonluk ve Masonlar. فإنه يلقي الضوء على الماسونية في تركيا من الناحية التاريخية، وكيفية انتشارها فيها وتورط بعض رجال السياسة بهذه المحافل.

ولأهمية هذا الموضوع، قسمته إلى فصول أربعة، تضمن الأول منها الهجرة اليهودية إلى الدولة العثمانية، أما الثاني فإنه احتوى على دراسة سياسة الدولة العثمانية إزاء فلسطين منذ عام ١٨٧٦ إلى ١٩٠٩. تناولنا في الفصل الثالث سياسة عبدالحميد إزاء فلسطين، أما الفصل الرابع فخصصناه عن اليهود والدولة العثمانية. وانتهينا من هذه الدراسة بخاتمة، توصلنا فيها إلى مجموعة من الاستنتاجات.

وفي نهاية هذا البحث، أرجو أن تكون هذه الدراسة قد سدت بعض النقص الذي تعاني منه المكتبة العربية، واختتم قولي بالآية الكريمة التي تقول: ﴿**وما أوتيتم من العلم إلّا قليلاً**﴾ سورة الإسراء: ٨٥.

المؤلف

الفصل الأول

الهجرة اليهودية إلى الدولة العثمانية

المبحث الأول

الوضع العام لليهود في العالم والدولة العثمانية

إن اليهود في شتى أنحاء العالم لم يندمجوا في المجتمعات الأصلية، بل حاولوا خلال التاريخ البشري الطويل، التكتل فيما بينهم، وقد أدى هذا التكتل إلى انحصارهم في مناطق معينة من العالم، وقد انطلقوا من نظريات معينة، حيث اعتبروا أنفسهم «شعب الله المختار». وكان هذا يعني بالنتيجة عدم اختلاطهم وتزاوجهم مع العنصر غير اليهودي، بغية المحافظة على النقاوة العنصرية المزعومة ولكن هذا لا يعني أنهم لم يخلقوا معضلات ومشاكل في البلدان التي وجدوا فيها، حيث قامت حملات كثيرة ضدهم، نتيجة لسلوكهم السياسي ومخططاتهم العالمية.

اجتاحت أوربا منذ بداية عام ١٨٨١ موجة من بغض اليهود وكراهيتهم بحيث أصبحت حياتهم مهددة بالخطر في أقطارها، بدأت هذه الكراهية تظهر في روسيا القيصرية. حيث تكررت هذه الكراهية بعد مقتل الكسندر الثاني عام ١٨٨١، إذ قامت مذابح ضد اليهود بعد وفاته، وقد أدت هذه المذابح إلى ظهور القوانين بالخطوات الاقتصادية ضد اليهود، وأدى هذا الأمر إلى هجرة قسم من هؤلاء اليهود إلى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية بعد حوادث النمسا وهنغاريا وبعد أن رفضتهم حكومة بولندا[١].

---

(١)

J. Mandel, Neville, «Ottoman Policy and Restrictions on Jewish Settlement in Palestine: 1881 1909», Part 1,Middle Eastern Studies, Vol. 10,No. 3, October, 1974, p. 312; Abba Eban, My People, The Story of the Jews, The United States Of America, 1968, P.321.

وراجع أيضاً تايلر ألن (دكتور) تاريخ الحركة الصهيونية: تحليل للدبلوماسية الصهيونية ١٨٩٧ =

(وقد اعتبر الكاتب اليهودي جوزيف ندافا أن التمييز العنصري إزاء اليهود قد انطلق من منطلق ديني) إذ قال أن التمييز ضد اليهود بني على أساس ديني وليس على أسس عنصرية أو عرقية حيث كان يمكن لأي يهودي في حالة اعتناقه الدين المسيحي أن يتبوأ أعلى المناصب الحكومية بينما تشير القرائن الأخرى إلى نفي ذلك مؤكدين على أن العوامل الاقتصادية هي الأساس الذي حكم قرارات السلطة بهذا الشأن فهي قد اعترفت مثلاً على صفة المواطنة للكرانيين والكرمشاك والقوازق والغيريم، ولم تورد المصادر المختلفة ذكراً لقيام السلطة بتشجيع اعتناق هؤلاء للديانة الأرثوذوكسية، رغم أن السلطة كانت بالفعل تشجع إعتناق يهود المناطق الغربية لتلك الديانة في محاولة منها لتقليص وظيفتهم الإجتماعية التجارية التي عمدت بعد ذلك باستمرار محاربتها بشتى الوسائل[٢].

قال دينو في هذا المجال إن الروس وجدوا في التجار اليهود حملة بذور الثقافة

= ـ ١٩٤٧، ترجمة بسام أبو غزالة، منشورات دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٦، ص١١.

طرد اليهود من ابولا Apulia الإيطالية بعد سقوط المدينة من قبل البابويين وذلك في عام ١٥٣٧ راجع:

Guleryuz, Naim, «The History of the Turkish Jews». Vol. 5, No. 29, Ankara, winter 1991, p.31.

وكذلك:

Parkes, James, «History of the Jewish people», London, 1962, pp.150 – 156,166–170.

قام اليهود في بولندا في عام ١٧٤٨م في «ديما جرود» بخطف أحد الأطفال وذبحه وإستنزاف دمه بالطريقة التي اعتادوها، وقد حكم على ثلاثة منهم بالإعدام بعد إدانتهم، وفي مدينة «بافالوشي» حكمت محكمة اسبيسكو بال بإعدام عدد من اليهود بتهمة ذبح طفل وإستنزاف دمه وإستخدامه في صنع الفطير الذي يأكلونه في أعيادهم الدينية وذلك في عام ١٧٥٣. راجع: عبدالعزيز، محمد ناجي، «حقيقة أبناء صهيون»، مجلة إحياء التراث العربي الإسلامي»، العدد ١٤، آب، ١٩٨٢، ص ٨٧.

(٢) سلافة، حجاوي، اليهود السوفيت دراسة في الواقع الإجتماعي، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٠، ص ١٧.

الغربية التي يكرهونها في مجتمعهم السلافي المتزمت بالديانة الأرثوذوكسية ويورد رسالة بعث بها إيفان عام ١٥٥٠ رداً على رسالة من ملك بولونيا يرجو فيها السماح للتجار اليهود بدخول موسكو جاء فيها «ليس من الملائم السماح لتجار اليهود بالمجيء ببضائعهم إلى روسيا نظراً لما ينجم عن ذلك من شرور بأنهم يأتون بالأعشاب السامة (الأدوية) إلى أراضينا لدفع الروس بعيدين عن المسيحية لذا أرجو من ملك بولونيا أن لا يكتب لنا بهذا الشأن ثانية»[٣].

---

(٣) المصدر نفسه، ص ٨-٩.

كانت روسيا القيصرية تضم أكبر عدد من اليهود في أراضيها، وقد بلغ هذا العدد سنة ١٩٠٩ ما يقارب ٥،٢١٥،٠٠٠ يهودي من مجموع ١١،٥٠٠،٠٠٠ يهودي في العالم.

برزت المشكلة اليهودية بصورة واسعة في عهد «كاترين الكبرى» (١٧٢٩ - ١٧٩٦) بعد تقسيم بولونيا بين روسيا وبروسيا والنمسا ثلاث مرات متتاليات بين سنتي ١٧٧٢ و ١٧٩٣، وقد حصلت روسيا بعد كل تقسيم على حصة الأسد من الأراضي البولونية حيث أنها انتهت من الخارطة الأوربية بعد التقسيم الثالث، ولم تكن لتسترد هذا الاستقلال إلّا بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى.

استطاعت روسيا بعد التقسيم الثالث أن تضم إلى أراضيها، أراضي أوكرانيا وروسيا البيضاء وحوض البلطيق، حيث كانت هذه المناطق تضم مجموعات كبيرة من اليهود، إذ كانت السلطات الحاكمة في بولونيا لم تمانع من دخول اليهود إلى بولونيا. ونتيجة لذلك وجدت روسيا بعد التقسيم نفسها أمام موجات بشرية من اليهود قدرت بمليون يهودي، في الوقت الذي كانت السلطات الروسية تسن القوانين لمنع دخول اليهود إلى بلادها.

أمام هذا التدفق اليهودي، قامت روسيا القيصرية بإصدار قوانين جديدة كان من شأنها الحد من إقامتهم داخل روسيا، ولعل من أبرز هذه القوانين، القانون المتعلق الذي حدد إقامة اليهود في مناطق معينة من البلاد، وقد عرفت هذه المناطق فيما بعد باسم «حظيرة التوطن اليهودية».

وقد أوجدت السلطات الروسية لجاناً، كان من شأنها دراسة أحوالهم، وتقديم المقترحات لحل مشكلاتهم، واستمرت هذه اللجان في أعمالها حتى انهيار الحكم القيصري. «جاء في تقرير إحدى هذه اللجان في سنة ١٨٤٤، إن اليهود لا يتعاونون مع الحكومة، وأنهم يعيشون =

= حسب تعاليم التلمود ويعدون إقامتهم في روسيا نفياً، وينتظرون ظهور المسيح المنتظر». وقد ظهر من سجلات الشرطة في العهد القيصري، أن هناك نسبة عالية من اليهود شاركت في نشاطات ضد الحكومة، وقد بلغت هذه النسبة ١٣ر٤ بالمائة بين سنتي ١٨٨٤ و ١٨٩٠، ووصلت هذه النسبة في العقد التالي إلى ١٨ر٧ بالمائة في سنة ١٨٩٨ و ٢٤ر٨٪ في سنة ١٨٩٩.

وفي هذا المجال ذكر الكونت «ويته» وزير مالية روسيا لهرتزل أثناء زيارة الأخير إلى روسيا سنة ١٩٠٣ إن خمسين بالمائة من مجموع معارضي السلطة في روسيا كانوا من اليهود، وأن اليهود هم المسؤولون عن الشعور المعادي لهم في روسيا، فهم يتميزون بالرعونة والقذارة، حيث أنهم يمارسون أعمالاً قذرة «كالقوادة والربا» ونتيجة لذلك فإن أصدقاء اليهود من الصعوبة بمكان الدفاع عنهم.

وفي المعنى نفسه، قال نيقولاي الثاني آخر قياصرة روسيا في إحدى رسائله إلى زوجته بعد حوادث عام ١٩٠٥: «إن تسعة أعشار المشاغبين يهود، ولذلك انصب غضب الشعب عليهم». راجع في هذا الصدد: صفوة، نجدة فتحي، بيروبيجان التجربة السوفيتية لإنشاء وطن قومي يهودي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٣، ص ١٧-٢٢.

أقدم اليهود على حوادث الخطف والذبح في روسيا في مدد مختلفة من التاريخ، ففي عام ١٨٢٣، فقد طفل في مدينة فالسيبو عمره سنتان ونصف في أيام عيد الفصح اليهودي، وعند فحص الجثة وجدت بها عدة جروح من وخز مسامير حادة في جميع أجزاء الجسم ولم يعثر بجسد الطفل على قطرة واحدة من الدم. وقد تبين أن الجثة قد غسلت وأعيدت الثياب عليها. وقد اعترفت ثلاث سيدات روسيات اعتنقن اليهودية أن اليهود أغروهن لسرقة الطفل لأغراض دينية مقدسة.

وفي مدينة ساراتوف الروسية اختفى غلام لم يتجاوز من العمر العشر سنوات في نهاية كانون أول ١٨٥٢، وفي المدينة نفسها وفي عام ١٨٥٣ اختفى غلام آخر في الحادية عشر من عمره، وتم العثور على الجثتين على ضفاف نهر الفولجا، وبفحصهما وجد في الجثتين جروح عميقة لاستنزاف الدم مع عدم وجود قطرة دم فيهما.

وفي مدينة كييف الروسية، تم العثور على جثة الغلام جوتنسكي الذي كان يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً وذلك في عام ١٩١١، ولا أثر للدم بالجثة أو حولها. راجع: محمد ناجي عبدالعزيز، «حقيقة أبناء صهيون»، المصدر نفسه، ص ٨٧- ٨٨.

وفي الواقع أن اغتيال القيصر لم يكن هو السبب الوحيد لطرد اليهود من روسيا، إنما جاء نتيجة لتوجيهات من الاقتصاديين الروس، حيث اتخذت الحكومة الروسية مجموعة من الاجراءات بغية منع انهيار الاقتصاد القومي والحياة الاجتماعية بسبب الوسائل غير المشروعة التي يستخدمها التجار والمرابون اليهود[٤].

---

(٤) للمزيد من التفاصيل راجع: مجموعة من الكتاب الأمريكيين، جذورنا لا تزال حية، ترجمة مكي حبيب المؤمن، بغداد، ١٩٨٢، ص ٢٠. مرت العلاقات السوسيولوجية بين الروس واليهود في روسيا القيصرية في حالة من التأزم بعد الحرب الروسية اليابانية وذلك في عام ١٩٠٥، حيث كان هناك نشاط ملحوظ للدعاية الصهيونية ضد سياسة روسيا القيصرية في آسيا. وتجدر الإشارة في هذا المجال، أن اليهود في روسيا القيصرية حاولوا فتح الأسواق اليابانية لهم في أواخر القرن التاسع عشر، حيث قدموا المساعدات لليابانيين من حيث الأموال والمعدات الحربية، وكان ذلك سبباً من أسباب اندحار روسيا أمام اليابان سنة ١٩٠٥، ومع كل هذا نرى أن اليابان قد أغلقت الباب في وجوه اليهود بعد انتصارها على روسيا.

ونتيجة لذلك فقد تحركت الدبلوماسية العثمانية بذكاء، حيث كانت تضع العراقيل أمام اليهود في التدفق إلى فلسطين في هذه الحقبة الزمنية لتلافي بعض الصعوبات أمام العلاقات العثمانية الروسية.

للمزيد من التفاصيل راجع:

Zurcik, Eliat, The Palestinians in Israel A study in Internal colonialism, London, 1979, p.32; Kochan, Lionael, The Jews in Soviet Russia Since 1917, 3th Edition, London, 1978, pp. 20-24; 0. Freedman, Robert, World Politics and the Arab-Israeli Conflict, U.S.A, 1979.

وكذلك: حلاق، حسان علي، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩، بيروت، ١٩٧٨، ص ٨٥.

وأيضاً: الخطر الصهيوني: بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمد خليفة التونسي، القاهرة، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، ١٩٦١، ص ٧٥.

ونتيجة لذلك فقد بدأ اليهود بالهجرة وبأعداد هائلة إلى أمريكا الشمالية باستثناء عدد قليل قصد فلسطين، ومن خصائص هذه الموجة من الهجرة في مراحلها الأولية، أنهـا كانت عفوية وغير منظمة، إلا أنها سرعان ما اتخذت نهجاً ثابتاً على شكل جمعيات للهجرة، أقيمت في أنحاء روسيا كافة، استجابة لدعوات الزعماء والكتاب الصهيونيين بهدف الإشراف على عمليات الهجرة من روسيا هذا من جهة، وتأمين معيشة اليهود الذي يصلون إلى فلسطين من جهة أخرى[٥].

لقد جرت عملية اقصاء اليهود من المدن الروسية، نتيجة بروز مفهوم الدعوة للوحدة السلافية وقد توالى صدور قرارات التقييد ضد اليهود منذ أواسط السبعينات حيث بلغ عددها نحو «١١٤» قراراً.

منع التجار الصغار والمتوسطون من العمل خارج الحضيرة إلا في حالة كون البضائع التي يبيعونها من صنعهم، وإيقاف تعيين الخريجين في دوائر الدولة، وإلغاء حق الترفيع والعلاوة للموظفين منهم، وإلغاء الترفيع ومنح الرتب للعسكريين، ومنع المحامين من العمل في محاكم الدولة، ومنع التدريس في المدارس الرسمية، ومنع تمليك الأرض ومصادرة بعض الأراضي التي تم تملكها، ومنع المشاركة في مجالس البلديات والاجتمـاعـات الانتخـابية، وتحديد قبول الطلاب في الجامعات، ومنع الإقامة في القرى والمناطق الزراعية[٦].

---

(٥) جريس، صبري، تاريخ الصهيونية، الجزء الأول: ١٨٦٢ - ١٩١٧، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٧، ص ١٠١.
وكذلك:

Brym, Rorbert J., Jewish intelligentsia and Russian Marxism, Britian, 1978, pp. 1-8.

(٦) حجاوي، سلافه، المصدر السابق، ص ٣٠-٣١.

وفي الحقيقة إن ممارسات روسيا القيصرية ضد اليهود ترجع إلى حادثتين في هذا المجال هما ظهور «بروتوكولات حكماء صهيون»، وحادثة «بيليس»، فيما يتعلق بحادثة بيليس، إنها تتركز من خلال محاكمة شاب يهودي إسمه بيليس أمام القضاء الروسي بتهمة «الاغتيال الطقسي» حيث وجدت عام ١٩١١، جثة طفل مسيحي في كييف وسرت الشائعات أن مندل بيليس قد امتص دم الصبي لأجل الطقس الديني، وقد أفرجت المحكمة عنه بعد محاكمة استمرت أكثر من سنتين[٧].

---

(٧) المصدر السابق، ص ٤٨-٤٩.

المبحث الثاني

الهجرة اليهودية إلى الدولة العثمانية

هجرة اليهود من إسبانيا إلى الدولة العثمانية:

كانت أوربا تعيش في القرن السادس عشر بظاهرة عدم الاستقرار السياسي حيث عاشت فترة محاكم التفتيش، إذ أصبحت الحريات الدينية مكبوتة في أوربا[8].

وكان يحكم في إسبانيا منذ عام /١٤٩٢ الملك فرديناند وزوجته ايزابيلا[9]، كان

(٨) Atilhan, Cevat Rifat, Islam : Saran Tehlike Siyonism Ve Protokllar,Gun Matbaasi, 1955, s. 130; Kucuk Abdurrahman, Donmier Ve Donmelik Tarihi, Istanbul, Unal Matbaasi, s. 38.

(٩) استولى الإسبان على غرناطة في سنة ١٤٩٢، فأنهوا بذلك الحكم الإسلامي في الأندلس.
راجع في هذا الصدد:

Tanyu, Hikmet, Tarih Boyunca Yahudiler Ve Turkler, Birinci Cilt, Baski Bilge Yayinevi, Ankara, 1979, s. 147.

إستوطن اليهود في إسبانيا بصورة مبكرة في القرن الأول، وقد أمر بالتمييز ضدهم من قبل مجلس الفيرا Elvira في ٣٠٣م، لقد عومل اليهود بصورة طيبة خلال المدة المبكرة من حكم فيسيفوتش Visigoths، ولكن بعد إهتداء الأخير إلى الكاثوليكية، أعطي اليهود بديلاً أما اعتناقهم المعتقد الكاثوليكي، أو مغادرتهم إسبانيا. أما اليهود الذين بقوا في إسبانيا فقد رحبوا بالعرب الذين دخلوا فاتحين لإسبانيا في عام ٧١١م، ونتيجة لذلك، فقد تنامت قوة الطائفة اليهودية تحت الحكم الإسلامي، وأصبحت لهم حرية دينية، مساهمين في التنمية الإقتصادية والثقافية لاسبانيا، وقد برزوا في مجال الفلسفة والعلم، إذ قاموا على تأسيس الأكاديمية التلمودية التي =

الملك والملكة كاثوليكيين شديدي التعصب، وكانت لهما وجهات نظر عن اليهود بسبب غدرهم بسيدنا عيسى عليه السلام، فضلاً عن ذلك نجد أن قيام اليهود كعادتهم بمحاولة التغلغل إلى حريم وعنعنات ومصارف الشعب الإسباني بقصد التخريب قد زاد من غيظ الملك والملكة[10].

= رأسها حاخامون شهيرون، أدت بإسبانيا المركز الأكثر أهمية للتعليم اليهودي في العصور الوسطى.

برز في هذه المدة أسماء يهودية في الأدب والفلسفة اليهودية منهم:

Hasdai ibn Pakuda, Samnel Ha Nagid, Bahya ibn Pakuda, Solomon ibn Gabirol, Moses ibn Ezra, Judah Ha – Levi, Abraham ibn Ezra.

The New Jewish Encyclopedia, op. cit., P.460;

وآخرون. راجع:

Don Adolfo De Castro, The History of the Jews in Spain, U.S.A., 1973, PP. 1–52.

وبعد تدهور الحكم الإسلامي في إسبانيا والذي بدأ في عام ١٢١٢ كنتيجة لسيطرة الحكام المسيحيين في إسبانيا، تغيرت أوضاع اليهود، وإن عام ١٣٩١ إشارة للتاريخ اليهودي المتدهور والذي يرمز إليه بأربعاء الرماد حيث هوجم يهود إشبيليا، وقتل عشرات الآلاف منهم: راجع:

The New Jewish Encyclopedia, op. cit., PP.459–460; Poliakev, Leon, The History of Anti – Semitism, Vol. 11, London, 1974, PP.87 – 105.

(١٠) Tanyu, Hıkmet, A.g.e., ss.130 – 131; Kemal H. Karpat and Contributors, Turkeys Foreign Policy Transition 1950 – 1974, Leiden, 1975, P.113; Beinart, Haim, The Jews in Spain, in the Jewish World, op.cit, PP.161–167.

وفي هذا المجال تهتم اليهودية العالمية بإستذكار ليس فقط الطرد من إسبانيا ولكن أيضاً إستذكاء سبعة قرون من الوجود اليهودي في إسبانيا والانتعاش تحت الحكم الإسلامي والذكرى الخمسمائة للترحيب الرسمي الذي قدمته الدولة العثمانية لهم في عام ١٤٩٢.
راجع:

Guleryuz, Naim, «The History of the Turkish Jews» Turkish Review Quarterly Digest, Vol, 5,No. 26, winter 1991, p.27.

بالإضافة إلى ذلك فقد قام حاخام اليهود بتفسير الفلسفة اليونانية وادعى بأنها قطعة متكاملة من الشريعة اليهودية، وكانوا يقصدون من وراء ذلك نشر أحكام التوراة بمهارة تحت هذا الشعار، فاتضح أخيراً أن المعارف اليهودية ـ اليونانية تحض في طياتها الشخصية اليهودية البحتة، فكان اليهود على أمل احراز السيادة على الشعوب بواسطة تلك المعارف، ولكن انقلبت آية سياستهم المذكورة فأصبحت مصيبة على ما كانوا يتوقعون، إذ أن قسيساً يدعى أوزيب نشر في أحد كتبه بعض الفصول من كتاب «نومي نوسي» القائلة بفكرة أخذ فيلسوف اليونان أفلاطون كثيراً من أفكاره عن موسى عليه السلام يتكلم باللغة اليونانية مقتبسة من عقائد يهودية، وأن فيلسوفاً يهودياً قد إدعى مطابقة أفكار بعض فلاسفة اليونان أمثال أفلاطون وسقراط مطابقة تماماً لقواعد اليهودية وأوامرها(١١).

في هذا الشأن قال حاخام اليهود وفيلسوفهم: «إن النظريات اليونانية هي نفس ما جاء من دين اليهود تماماً، وإن حقيقة الفلسفة التي سادت على مدينة الغرب، غدت الحركات المعادية للدين والقومية والتاريخ والعنعنات هي من اليهود وشريعة التوراة»(١٢).

وعندما أحس الملك فرديناند بعمل اليهود هذا، ألح عليهم بشدة لتنصيرهم بغية وضع نهاية لحركاتهم الهدامة ضد المسيحية تحت قناع العلم والفلسفة، وتجاه الحاح الملك فرديناند تنصر بعضهم ظاهرياً، وفي نفس الوقت قام الملك بطرد أكثر من ثلاثمائة ألف يهودي من إسبانيا وذلك في ٢ آب سنة ١٤٩٢(١٣) ثم قام بطردهم

(١١) Atilhan, Cevat Rifat, Islam : Saran Tehlike Siyonizm Ve Protokollar, op. cit.,s.131.

(١٢) Ibid., ss. 131–132.

(١٣) Tanyu, op. cit., s. 148.

إمتهن اليهود في إسبانيا تجارة الرقيق التي كانت تؤمن لهم الإنتقام الوحشي من المسيحية من جهة، والكسب المادي الكبير من جهة أخرى، وكانوا يبتاعون الأسرى الإسبانيين ليعودوا لبيعهم بأسعار باهظة في الأقطار الأخرى أو إعادتهم لأقربائهم مقابل أتاوات =

من البرتغال(١٤).

= خيالية، وفي أغلب الأحيان كانوا يذيقون الأسرى شتى أنواع العذاب قبل بيعهم، وحتى أنهم يقدمون على قتل البعض منهم تشفياً وانتقاماً. راجع: س. ناجي، المصدر نفسه، ص ٢٨٧.

من ناحية أخرى، تسلل اليهود إلى صفوف الرهبان، فأصبح منهم البطاركة والمطارنة الذين كانوا يتظاهرون بالتعصب للمسيحية، بينما ينشرون في صفوف النصارى المبادىء الهرطقية سراً. ومع الزمن انكشف أمرهم وشعرت الملكة إيزابيلا بخدعتهم فأوعزت إلى الكنيسة بمراقبتهم والحد من شططهم فقامت الكنيسة بفضيحتهم التي عرفت في التاريخ باسم فئة المرتدين Les Marranes راجع: المصدر السابق، ص ٢٨٧ـ٢٨٨.

فضلاً عن ذلك، فقد قام اليهود بجرائم أخرى في إسبانيا، لعل من أبرزها، العثور على جثة طفل في عام ١٢٥٠ وفي بلدة سارجوسا الإسبانية مصلوبة ومستنزف منها الدم لآخر قطرة وعدته كنيسة البلدة قديساً. وحادثة أخرى وقعت في مدينة سيجوفيا عام ١٤٦٨، وفيها قام اليهود بصلب طفل مسيحي قبل أيام من عيد الفصح اليهودي وقد حقق المطران بنفسه في هذه القضية، واعترف أربعة من اليهود بالجريمة وقضت المحكمة بإعدام ثلاثة منهم وطرد الرابع. وجريمة ثالثة وقعت في بلدة توليدو عام ١٤٩٠م إذ اعترف اليهودي «يوس» على زملائه الذين اشتركوا معه في ذبح الطفل الإسباني «كرستوفر» وأخذ دمه لأغراض دينية، ونتيجة لذلك فقد تم إعدام ثمانية من اليهود. راجع: عبدالعزيز، محمد ناجي، «حقيقة أبناء صهيون»، المصدر نفسه، ص ٨٥ ـ ٨٦.

(١٤) Atilhan, A.g.e., ss. 131–132.

أحدثت الملكة إيزابيلا محكمة خاصة لمحاكمة اليهود سميت بمحكمة التفتيش وأسند أمرها إلى توركامادو Torquemado وأثبت على أكثرهم تهمة خداع الكنيسة وممارسة المعتقدات الموسوية سراً، ثم أصدرت الدولة أمراً يقضي بتنصير اليهود الذين يودون العيش في إسبانيا وتهجير من يرفض إعتناق النصرانية. راجع: س. ناجي، المصدر السابق، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(قام اليهود وفي عهد نابليون بتقديم المساعدة والعون للأخير لإحتلال إسبانيا وذلك للإنتقام من الإسبانيين نتيجة تنصير اليهود وتهجيرهم من إسبانيا. وقد قامت فرنسا في معاونة ثوار إسبانيا والسماح لليهود بتزويدهم بالسلاح والرجال. راجع: المصدر السابق، ص ٢٨٨ =

علق هنري كامن، مؤلف كتاب «محاكم التفتيش الإسبانية»، على هذه الحالة

= - ٢٨٩. للمزيد من المعلومات راجع:

(H.H.Ben – Sasson, op. cit., PP.659–661.

كان الغرض من محكمة التفتيش القضاء على الهرطقة في مهدها وإن الجيل الثاني أو الثالث من اليهود المعمدين سوف ينسون يهودية أسلافهم، ولكن لم تكن هناك نية للسماح لليهود المعمدين أن يرحلوا من إسبانيا، فلما حاولوا الهجرة حرمها عليهم فرديناند ومحكمة التفتيش ولكن ماذا كان مصير اليهود غير المعمدين؟ لقد ظل ما يقارب مائتين وخمساً وثلاثين ألفاً منهم في إسبانيا.

وقد أخبر فرديناند أن اليهود عنفوا المتنصرين منهم، وحاولوا أن يعيدوهم إلى اليهودية واتهم طبيبه رباس التس وهو يهودي معمد بأنه علق في رقبته كرة ذهبية تحتوي على صورة له على هيئة فيها تنجيس الصليب، وقد أحرق هذا الطبيب في عام ١٤٨٨.

وفي ٣٠ آذار ١٤٩٢ (ويذكر حاييم Beinant في ٣١ آذار) نفي اليهود ومؤداه أن جميع اليهـود غير المعمدين أيا كـانت أعمارهم أو أحـوالهم عليهم أن يتركوا إسبـانيـا في موعد غايته ٣١ تموز ولا يسمح لهم بالعودة ومن يفعل عقوبته الإعدام، ولهم أن يتخلصوا من متاعهم في هذه المـدة بأي ثمن يحصلون عليه، ولهم أن يأخذوا معهم المتاع المنقول وصكوك المعاملات دون النقد من ذهب وفضه.

وقد حاول كل من إبراهام سنيور وإسحاق ابرابانل تقديم مبلغ كبير من المال لفرديناند وإيزابيلا لسحب مرسومهما، إلّا إنهما رفضا هذا الطلب. راجع: ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة الدكتور عبدالحميد يونس، الجزء الثاني من المجلد السادس الإصلاح الديني، ص ٩١-٩٣ وكذلك:

Beinart, Haim, The Jews in Spain, in the Jewish World, Ed., By Alie Kedourie, London, 1979, P. 167;

Parkes, op.cit., p.51, 93–96.

وأيضاً: شاهين بك مكاريوس في تاريخ الإسرائيلين، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩٠٤، ص ٩٣.

وفي الحقيقة أن كبار اليهود لم ينجحوا في التدخل عند الملك والملكة في إلغاء مرسوم طرد اليهود من إسبانيا. راجع:

The New jewish Encyclopedia, op.cit., p.460.

قائـلاً: «إنـه يجب أن ينظر إلى المحاكم ليس أنها مجرد فصل من فصول عدم التسامح، بل على أنها فصل من فصول التطور الإجتماعي والديني في إسبانيا»[١٥].

وأضـاف كامن قائلاً: «إن تجدد الإضطهاد عام ١٧٣٠ يدل بوضوح على أن اليهود لم يستطيعوا كمجموعة أن يندمجوا في المجتمع، وهذا الضعف المستحكم في المجتمع اليهودي قد أسهم في عزلهم، وفي القضاء على المرتدين وأكثر من هذا لقد كان قضاء جلبوه على أنفسهم»[١٦].

ونتيجة لذلك، فقد تم طرد ٣٠٠٫٠٠٠ يهودي من إسبانيا، حيث هاجر هؤلاء إلى البرتغال وإيطاليا والمغرب Moroccc والدولة العثمانية [١٧].

وفي هذه المدة بالذات كان مراد الثاني[١٨] على كرسي السلطنة العثمانية حيث تقدم مجموعة من حاخامي اليهود في أوربا بطلب إليه، يسمح لهم بالهجرة إلى الدولة العثمانية، وقد لبى بايزيد الثاني هذا الطلب دون قيد أو شرط [١٩].

---

(١٥) القاسم، أنيس، نحن والفاتيكان وإسرائيل، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٦، ص ١٤٥.

(١٦) المصدر نفسه، ص ١٤٥ - ١٤٦.

(١٨) أثنت بعض المصادر التاريخية على مراد الثاني لعطفه على اليهود ولقبته بالرجل الإنساني الكبير، راجع: س. ناجي، المصدر نفسه، ص ٣١١.

(١٩) لجأ اليهود بعد محاكم التفتيش في إسبانيا إلى التاجر التركي خير الدين بارباروس الذي حول البحر الأبيض المتوسط في تلك المدة إلى حوض عثماني كان يتحكم فيه بأسطوله القوي، فقام بتهريب اليهود وإنقاذهم من المذابح والمواقف الكنسية التي تعرضوا لها في إسبانيا، وجلبهم إلى تركيا العثمانية، وأسكنهم في ثغورها». راجع في هذا الصدد: راسم، أحمد، التاريخ العثماني، المجلد الثالث، ص ٢١٧ وأيضاً س. ناجي، المفسدون في الأرض أو جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ، مطبعة الإرشاد، دمشق، ١٩٦٥، ص ٣١٠ - ٣١١و: =

وقد أرسل بايزيد الثاني (٢٠) قسماً من هؤلاء اللاجئين إلى جزيرة ساقز وأمر أن يعيش هؤلاء هناك بحرية تامة، وبعد فتح السلطان سليمان القانوني جزيرة رودس في عام ١٥٢٣ أتى اليهود الذين استقروا في جزيرة ساقز إلى رودس ومنحهم امتياز معدن كبريت - إينجرلي - الموجود هناك، فأعطى إمكانية الإثراء لهؤلاء في الوقت

=

Atilhan, A.g.e., ss. 131-132.

بدأت هجرة اليهود من إسبانيا والذين يطلق عليهم اسم المارون بصورة بطيئة، وتلت هذه الهجرة هجرة مجموعات من ألمانيا، وبعدها هجرة اليهود الفرنسيين في عام ١٣٩٤، حيث استقروا في مدينة أدرنة.

راجع: Sokir, Ziya, Turkiye Yahudileri, Millet Mecumasi, Sayi. 91,Ekim,1947, s.15.

وتركيا والصهيونية، ص ٤١.

استقرت جماعة يهودية صغيرة في إسبانيا في القرن التاسع عشر حيث رفعت القيود العامة لكل الجماعات لغير الكاثوليك الروم.

بلغ عدد اليهود في إسبانيا في عام ١٩٤٧ ٩٫٠٠٠ يهودي. راجع:

The New Jewish Encyclopedia, op.cit., p.460.

(٢٠) قدم السلطان بايزيد الثاني عرضاً بلجوء اليهود إلى الدولة العثمانية، مما منح أملاً جديداً للسفاردية الإسبانية في العيش بأمان في أراضي الممتلكات العثمانية، إذ أمر السلطان المذكور حكام الأقاليم في الدولة العثمانية بعدم رفض دخول اليهود أو إثارة المتاعب أمامهم، وإستقبالهم بحرارة. وفي هذا الصدد يقول برنارد لويس «لم يسمح لليهود فقط للإستيطان في الأراضي العثمانية، بل إن العثمانيين شجعوا وساعدوا اليهود، وفي بعض الأحيان أجبروهم على الإستيطان». راجع:

Guleryuz ,Naim, «The History of the Turkish Jews», op.cit.,p.31.

والأكثر من هذا، فقد كتب السلطان سليمان الكبير رسالة إلى البابا باول الرابع وذلك في آذار عام ١٥٥٦ سائلاً إياه إطلاق السراح الفوري لـ Ancona Marronos معلنا إنهم مواطنون عثمانيون. لم يكن لدى البابا أي خيار سوى إطلاق سراحهم، ذلك أن الدولة العثمانية كانت قوة عظمى في تلك الحقبة. راجع:

Ibid.,

الذي تميز هؤلاء بالفقر والعوز والمجاعة فيما مضى (٢١).

وعندما وصل الأتراك العثمانيون إلى بودابست في سنة ١٥٢٥/ ودخول سليمان القانوني بودين في سنة ١٥٢٧/ بعد حرب موخاج، واقتحام الجيش العثماني المجر ١٦٧٤/، بعد محاصرة «كاميتيك» وفتح حصن شوكزيم وجد الأتراك أمامهم جماعات من اليهود (٢٢)، وقد سيطر عليهم البؤس والفاقة وكانوا يعيشون في أوضاع

---

(٢١) Eban, op.cit., p.199; Alihan, op. cit., ss. 134-136; Tanyu, op. cit., s. 148.

سيطر اليهود في هذه المدة على مرافق كثيرة منها إدارة الكمارك، وفي هذا المجال يقول أحد الكتاب اليهود: «إن أمور الكمارك وإدارتها كانت تدار من قبل اليهود». راجع: تركيا والصهيونية، ص: ٥١.

(٢٢) دعى إسحاق صفتي رئيس طائفة اليهود في الدولة العثمانية وعلى عهد السلطان محمد الفاتح اليهود في أوربا إلى الهجرة إلى الدولة العثمانية، حيث وصف الوضع في الأخيرة بأنه وضع يساعد اليهود العيش فيها بأمان وحرية وبحماية منها. وقد بدأت هجرة اليهود بصورة بطيئة في البداية بسبب صعوبة المواصلات وخطورتها. وكان أول اليهود القادمين إلى الدولة العثمانية من إسبانيا هم اليهود الذين يطلق عليهم إسم المارون، وبعدهم تدفقت مجموعات من ألمانيا. وتدفق يهود فرنسا والذين طردوا منها في عام ١٣٩٤ إلى مدينة أدرنة وإستقروا فيها. راجع: Sqkir, Zikya, A.g.e., s.15.

وفي هذا المجال كتب الحاخام إسحاق «zareati» رسالة إلى اليهود في العالم في النصف الأول من القرن الخامس عشر جاء فيها: «أكتب هذه الرسالة، وأنا أصف حالة اليهود في ألمانيا، حيث أن الموت أفضل لهم في هذا المجال. إن إخواننا اليهود في ألمانيا يعانون معاناة كبيرة من جراء القوانين الاستبدادية الألمانية، إذ تم إجبارهم وطردهم من ألمانيا، ونتيجة لذلك استأجروا أية سفينة للتخلص من المعاناة .. مع أنني من سلالة فرنسية، إلا أني ولدت في ألمانيا، وجلست عند أقدام أساتذتي الموقرين، أعلن إليكم أن تركيا هي الأرض التي فيها لا شيء يفتقد، ويكون الجميع طيبون معكم. الطريق لأرض مقدسة تكون مفتوحة لكم عبر تركيا، أليس من الأفضل لكم أن تعيشوا تحت حكم المسلمين أكثر من حكم المسيحيين، هنا يعيش كل إنسان بسلام تحت شجرة الكروم والتين، هنا يسمح لكم بأن تلبسوا أروابكم وملابسكم اليهودية، أما في الأرض المسيحية فإنه على العكس من ذلك =

رديئة، وقام الأتراك بمساعدة هؤلاء اليهود، حيث أرسل مجموعات كبيرة منهم إلى المدن الرئيسية في الدولة العثمانية كالقسطنطينية وأدرنه وأزمير وسلانيك(٢٣)، وبلوانة ونيغبول(٢٤).

= فإنكم لا تتجرأون المخاطرة بلبس أطفالكم الأحمر أو الأزرق بموجب مزاجنا بدون أن تعرضوهم إلى التجاوز أو الضرب، وعليه أدعوكم لمغادرة الأرض المعلونة التي أنتم عليها إلى تركيا». راجع:

Guleryuz, Naim, «The History of the Turkish Jews», op.cit., p.30.

(٢٣) تجدر الإشارة في هذا المجال، أن الأتراك بعد سيطرتهم على بودابست قاموا بتخصيص سفينة لنقل اليهود من بودا Buda واسترغون Estergon إلى إستانبول. راجع:

Tanyu, A.g.e., s.148.

أما فيما يتعلق بسلانيك، فإنها ميناء في اليونان تبعد عن إستانبول بـ ٢٥٠ كلم ولها موقع تجاري مهم، دخل إلى حوزة العثمانيين في عهد السلطان مراد الأول (١٣٢٦ - ١٣٨٩) كانت محلاً للتنازع بين العثمانيين والبيزنطيين، لكن العثمانيين أكدوا السيطرة عليها بشكل تام عام ١٤٣٠، ظلت هذه المدينة في حوزة العثمانيين حتى حرب البلقان حيث تنازلت عنها الدولة العثمانية إلى اليونان عام ١٩١٣ بموجب معاهدة بوخارست. راجع: مذكرات السلطان عبدالحميد، ترجمة وتعليق محمد حرب عبدالحميد، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٣٥ وكذلك: حلاق، حسان علي، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩، ط ٢، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٩٠-٢٩١.

إنهار دور اليهود العثمانيين بصورة نهائية، عندما استطاعت اليونان احتلال ولاية سلانيك في عام ١٩١٢ كنتيجة لحرب البلقان.

ولاية سلانيك التي توصف غالباً من قبل اليهود «مدينة وام لاسرائيل».

(٢٤) ليس هناك من إشارة فيما إذا كان Capsali قد أعّد دوراً في إقناع بايزيد للسماح باستيطان اليهود في الدولة العثمانية، وربما لم يكن بايزيد يحتاج لأي إقناع.

هناك فقرة في كتاب الياهوز وتانيص على أن ملك إسبانيا قد عدّ في بلاط إستانبول كأحمق كبير لكونه قد أغنى عدواً بمواطنين منتجين على حساب مملكته الخاصة به. بينما ينسب التصريح غالباً وبصورة غير صحيحة إلى بايزيد نفسه. راجع: =

= Mark A.Epstein, The Leadership of the Ottoman Jews in the Fifteenth and Sixteenth Centuries, in Christians and Jews in ottoman Empire, PP.111-112.

وفي هذا المجال ينسب عمانوئيل أبوب Immanual Aboab إلى بايزيد الثاني ملاحظة شهيرة والتي جاء فيها: «إن الملك الكاثوليكي فرديناند كان قد عد حكيماً خاطئاً، ما دام قد أفقر إسبانيا بطرده اليهود وأغنى تركيا». راجع:

Guleryuz, Naim, «The History of the Turkish Jews», op.cit., p.31

ومهما يكن من أمر فإن يهود إستانبول قد نظر إليهم كنعمة معتبرة راجع Mark A.Epstein, op.cit., p.106

المهاجرون اليهود الايبيريون من الإسبان لم يجلبوا معهم قابلياتهم فقط، ولكن جلبوا معهم أيضاً خبرتهم عن أوربا، تلك الخبرة التي شكلت مصدراً رئيساً لحياتهم وقيمهم الثقافية ما بعد السنوات المبكرة عقب وصولهم. الكثير منهم كانوا كاثوليك من الناحية الاسمية، في الوقت الذي عاد كثير منهم إلى اليهودية تحت حماية الدولة الإسلامية في إستانبول، الأمر الذي أدى إلى خلق المتاعب للسلطات الدينية اليهودية. راجع: Ibid., p.108.

إن اليهود لم يشغلوا ويديروا فقط مخازن مختلفة بل استوطنوا أيضاً في أحياء كثيرة قرب الموانىء والمداخل الأخرى لمدينة إستانبول حيث قاموا في إنتاج وتثمين البضائع المارة خلال دور الكمارك. وفي أوقات معينة فإنهم سيطروا على إدارات الكمارك في غاليبولي Galipoli (ميناء رئيس للبضائع الداخلية). فضلاً عن ذلك حاول اليهود مهمة الإشراف على سك العملة. Ibid., pp. 105-106..

عدت في الحقيقة المركز الديني والثقافي لليهود والذين قدموا مفهوم القيادة إلى المجموعات السفاردية في جميع المناطق الأخرى من العالم. إن يهود سلانيك المعتادين مع سجل طويل من المنافسة التجارية مع اليونان والادعاء بمعاداة الأخيرة للسامية، نظروا وقتئذ إلى انتقال ولاية سلانيك من الحكم العثماني إلى الحكم اليوناني بسوء طالع معتبر. إن مخاوف اليهود حول مصيرهم الممكن تحت الحكم اليوناني ثبتت أنها ليست في محلها، وعلى الرغم من ذلك فقد إعتقدوا بأنهم فقدوا مبرر وجودهم. تمتع يهود سلانيك بتعايش جيد مع الأتراك العثمانيين، لم يكن من المؤمل أن يتحقق هذا مع اليونانيين. وفي الحقيقة أن ولاية سلانيك كجزء من الدولة العثمانية كانت بمثابة تموين إقتصادية طبيعية في البلقان العثماني والتي لم تعد تمتلكه كمقاطعة أمامية شمالية شرقية في المملكة اليونانية. =

وبعد وصول هؤلاء من إسبانيا والمناطق الأخرى من أوروبا، وضعوا أيديهم في أول الأمر على الميادين التجارية الدنيا كافة (٢٥) وقد بدأ هؤلاء ومنذ هذه المدة بالسيطرة على المرافق الاقتصادية في الدولة العثمانية(٢٦).

وقد عاش اليهود على عهد الدولة العثمانية، كما يقول عنه المؤرخون عصر رخاء واستقرار وأطلق عليه العصر الذهبي(٢٧).

لقد سكن اليهود بأعداد كبيرة في منطقة أدرنة ومدينة بورصة والمناطق الشمالية

= عندما دخلت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، شمل الإنهيار النهائي لليهود وغيرهم من الرعايا العثمانيين. إن فراغ المجموعة اليهودية في سلانيك المقطوعة من مركزها التمويني الاقتصادي واليهودي استمر بدون انقطاع حتى الموقف الألماني النازي منهم. راجع:

Lewis, Bernard, The Jews of Islam, London, 1984, pp.180–181.

(٢٥) Tanyu, A.g.e., S.148.

(٢٥) يعيش يهود استانبول الآن في ثراء كبير بسبب هيمنتهم على التجارة الخارجية التركية، وإن مركز الجالية اليهودية كائن في حي غالاته في إستانبول حيث أن لهذا المركز الكثير من الأموال المنقولة وغير المنقولة التي أوقفها اليهود عليه. راجع:

Bugun, March 1,1968.

(٢٦) Atilhan, A.g.e., ss. 132- 133;

وكذلك: تركيا والصهيونية، ص ٣٩

وصل حاييم هيرتسوغ رئيس الكيان الصهيوني إلى إستانبول يوم ١٥ تموز ١٩٩٢ لحضور الإحتفالات لمناسبة الذكرى ٥٠٠ لنزوح اليهود من إسبانيا وقبولهم في الدولة العثمانية، وأثناء اللقاء بين هيرتسوغ وأوزال وديميرئل عرض على المدعويين رسالة بشريط فيديو من جورج بوش أشار بوش إلى مثل الدولة العثمانية في فتح أذرعها للاجئين اليهود من إسبانيا وحقيقة أنهم يعيشون الآن بسلام منذ ٥٠٠ عام هو مثال على كيفية إمكان أن يعيش اليهود والمسلمون معاً».

راجع: وزارة الخارجية العراقية، العدد ٤٥٠ في ١٩٩٢/٧/١٨.

(٢٧) تركيا والصهيونية، ص ٣٩.

الغربية من الأناضول. وقد ساعد اليهود الدولة العثمانية في هذه المناطق أثناء الفتوحات(٢٨) وعليه فقد كافأ العثمانيون اليهود، وكان السلطان أورخان غازي أول من

---

(٢٨)

Arveh Shmueleritz, The Jews of the ottoman Empire in the late Fifteenth on the sixteenth Centuries, Lerdenes Berin, 1984, p.12

وكذلك: تركيا والصهيونية، ص٣٩

ابتدأ تاريخ اليهود في الأناضول بقرون كثيرة قبل هجرة اليهود السفاردين. وفي هذا المجال لا بد أن نؤكد أن بقايا المستوطنات اليهودية قد اكتشفت في القرن الرابع قبل الميلاد في إقليم إيجة. يروي المؤرخ Josephus Flavius أن ارسطو قابل اناساً يهود تبادل معهم وجهات النظر خلال رحلته عبر آسيا الوسطى. خرائب صومعة يهودية قديمة إكتشفت في سارديس (Sardis) قرب ازمير تعود تاريخها إلى ٢٢٠ قبل الميلاد، وآثار لمستوطنات يهودية أخرى قد اكتشفت قرب بورصة في جنوب شرقي وعبر شواطيء إيجة والبحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود. وهناك عمود برنزي وجد في أنقرة يكشف عن الحقوق التي منحها الإمبراطور أوغسطس لليهود في أسيا الصغرى.

وانتعشت مجتمعات يهودية في الأناضول، وإستمرت في الرخاء عبر الفتح العثماني، وحينما استولى العثمانيون على بورصة في عام ١٣٢٤، وجعلوها عاصمة لهم، وجدوا أمامهم جماعة يهودية كانت تحت الحكم البيزنطي، مرحبة بالعثمانيين، معدين العثمانيين كمنقذين لهم، ونتيجة لذلك أذن السلطان أورخان لليهود ببناء (صومعة شجرة الحياة) Etz ha – Hayyim «tree of life» التي بدأت تمارس نشاطها حتى الخمسين سنة الماضية. وفي حقبة مبكرة من القرن الرابع عشر، حينما أوجد العثمانيون عاصمتهم في أدرنة، فإن اليهود في أوربا بما فيهم القرائين هاجروا إليها. بصورة مماثلة فإن اليهود الذين طردوا من هنغاريا في عام ١٣٧٦ ومن فرنسا من قبل القرن الخامس عشر وجدوا ملجأ لهم في الدولة العثمانية. وفي عشرينات القرن الخامس عشر هرب اليهود من سالونيكا التي كانت في حينها تحت السيطرة Venetian إلى أدرنة.

حينما فتح السلطان محمد الفاتح إستانبول في عام ١٤٥٣ واجه جماعة يهودية بيزنطية مضطهدة والتي رحبت به بحماس. وفي هذا المجال أصدر السلطان محمد الفاتح إعلاناً لكل اليهود، جاء فيه: «ليرتقوا منزلة العرش العالي ويستوطنوا في أفضل أرض تحت شجر

أعطى اليهود إمتيازات خاصة وقد زادت هذه الإمتيازات في زمن السلطان فاتح(٢٩).

وجدير بالذكر، أن اليهود في مستهل الأمر كانوا يعيشون في أماكن بسيطة كالبلاط وخاص كوي قوزونجق(٣٠).

= الأعناب والتين العائدة له مع الفضة والذهب مع الثروة والانعام».

راجع:

Guleryuz, Naim, «The History of the Turkish Jews» ,pp.cit., P. 28.

(29) Shmueleritz, op. cit., p.12.

(٣٠) أما وضع اليهود في تركيا العثمانية، فإنه يختلف كثيراً عن وضعهم في الدولة العثمانية، إذ أنهم الآن يعيشون في بحبوحة في حي اياس باشا وبك أوغلو، وفي الأحياء الأخرى الجيدة مثل اطه لر ـ الجزء . راجع: .Ibid وتجدر الإشارة في هذا المجال، إن السلطان سليم الأول قد خصص Moses Hamon طبيباً خاصاً له. راجع: H.H., Ben Sasson,op.cit., p.658 وذلك في عام ١٥٣٥.

ومن الأطباء اليهود البارزين في البلاط العثماني: حكيم يعقوب Hakim Yakoub ودانيال فونسيكا Daniel Fonseca وجبريال Buenavetura . راجع:

Guleryuz, Naim, «The History of the Turkish Jews», op.cit., p.32.

حاز الطبيب اليهودي جوزيف هامان Joseph Hamon وولده الطبيب Moses Hamon مكانة راقية عند السلطان سليمان، ونتيجة لذلك فقد حصل Moses Hamon رسالة من السلطان سليمان في عام ١٥٥٢ معنونة إلى دوق فينيسيا التي طالب السلطان سليمان فيها بوجوب السماح لارامل وبنات يهوديين كانا من أقرباء Moses Hamon لمغادرة الأراضي المسيحية والمجيء إلى إستانبول. وقد أشار السلطان في رسالته إلى هاتين المرأتين هما Dona Gracia Nasi وابنتها Reyna . هاتان المرأتان الغنيتان نجحتا في الوصول إلى الدولة العثمانية في عام ١٥٥٣، حيث التحق بهما قريب كان قد عاد إلى اليهودية وتبنى اسم جوزيف ناسي Joseph Nasi ، وقد منح السلطان سليم الثاني لناسي في عام ١٥٦٦ لقب Duke of Naxos والذي حاز على سلطة كبيرة وواسعة في بلاطه، إلى درجة أن مبعوثي الحكام المسيحيين للسلطان توجب عليهم أن يتجهوا إلى ناسي ابتداء من أجل انتخابهم في بعثاتهم التبشيرية. راجع: =

....

= Ed., by H.H – Sasson, A History of the Jewish People, London, 1976, P.658; Guleryuz, Naim, «The History of the Turkish Jewis», op. cit. p.32.

فضلاً عن مهنة الطب التي مارسها اليهود في الدولة العثمانية، فقد جلبوا معهم الطباعة، وعلى هذا الأساس فقد أوجد كل من ديفيد وصومائيل ابن نهماس Nahmias أول مطبعة عبرية في إستانبول وذلك في عام ١٤٩٣ أي بعد سنة واحدة من طرد اليهود من إسبانيا.

راجع:

Guleryuz, Naim, «The History of the Turkish Jews», Op. cit., P.32.

ومن اليهود الذين أثروا على الإدارة العثمانية يوسف ناسي Yosef Nasi وهو من يهود الإسبان، جاء إلى استانبول في عام ١٥٥٣ مع مجموعة من اليهود، حيث قدر عددهم بما يقارب خمسمائة شخص، وكان ليوسف ناسي التأثير الكبير على الدولة العثمانية في الأمور الإقتصادية والمالية بسبب صلاته الشخصية مع السلطان سليم الثاني وعن طريق زوجته نور بانو.

فضلاً عن ذلك كان ليوسف ناسي علاقات وطيدة مع السلطان سليمان القانوني، يساعده في تحسين علاقة الدولة العثمانية مع الأقطار الأوربية. قام يوسف ناسي في نشر الثقافة اليهودية في الدولة العثمانية، لهذا السبب أوجد مكتبات في عام ١٥٦٥. وتجدر الإشارة في هذا المجال أن ناسي يعد من اليهود البارزين في نشر الفكر الصهيوني، حيث تمكن هذا اليهودي في إعطاء اليهود بعض الأراضي في فلسطين، ونتيجة لذلك فقد شجع ناسي اليهود في الهجرة إلى فلسطين. راجع: تركيا والصهيونية، ص ٥٥-٥٧ وكذلك:

Cecil, Roth, The House Nasi Dona Grecia, Green Wood press, New York, 1948, PP. 88-89.

وفي هذا المجال، لابد أن نؤكد، أن يهود الإسبان يعدون أولى المجموعات اليهودية التي دخلت الأراضي الفلسطينية، حيث سكنوا في مدينة صفد راجع:

تركيا والصهيونية، ص ٦٠

وقد تغلغل اليهود في القصور السلطانية عن طريق النساء، حيث قام السلطان سليم الثاني بالزواج من اليهودية نور بانو، وأنجبت الأمير مراد الثالث، وقد منحت ولأول مرة لقب «مهد عليا» أي والدة السلطان. وقد تميزت بانو بالذكاء، وعندما توفي زوجها أخفت خبر وفاته لحين وصول ولدها مراد من مانيسه. كانت بانو دونمة يهودية، وقد فسحت المجال لليهود

وبعد استقرار هؤلاء في الدولة العثمانية، طبقت الحكومة عليهم أحكام الشريعة الإسلامية حيث تمتعوا في ظلها بقدر كبير من الاستقلال الذاتي، وفي الواقع أن يهود إسبانيا لم يجدوا المأوى فقط في تركيا العثمانية بل وجدوا الرفاهية والحرية التامة[٣١] بحيث أصبح لهم التسلسل الهرمي في الدولة، إذ تغلغلوا في المراكز الحساسة منها مثل دون جوزيف ناسي[٣٢] وسلوامون اشكنازي وبموجب النظام الوطني Millet System تمتع يهود إسبانيا بشيء كبير من الاستقلال وإن Chachm Bashi

---

= للتغلغل في قصر السلطان.

والأكثر من ذلك أن كلاً من كيرا واستكيرا اليهوديتين في ظل نور بانو أخذتا تتحكمان في الوزراء وذلك في عهد السلطان محمد الثالث في القرن الحادي عشر الهجري. راجع:

Tanyu, A.g.e., SS. 148-149.

ومن جانبٍ آخر، أقرت السلطة العثمانية لحاخام العاصمة الأعظم بأنه ليس رئيساً لطائفته الروحية فحسب بل رئيسهم السياسي أيضاً وكان للقرارات والأحكام الصادرة عنهم في نطاق الطائفة صفة القانون النافذ، وكانوا مسؤولين عن استيفاء الضرائب وكانت الحكومة نادراً ما تتدخل في شؤونهم ما داموا يؤدون الضرائب بانتظام. راجع: الحوراني، البرت، الفكر العربي في عصر النهضة «١٧٩٨-١٩٣٩»، ط٣، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٧، ص ٤٦.

(٣١) Ed.H.H., Ben Sasson, op.cit., p.658.

(٣٢) إن دون جوزيف ناسي Don Joseph Nasi هو مصرفي سفاردي وممول ثري قدم خدمة للعثمانيين واليهود، كان معتمداً مالياً لكل من البلاطين الإسباني والفرنسي، وبعد وصوله إلى الدولة العثمانية وعلى عهد سليمان القانوني أصبح مصرفي إستانبول ومسؤول الضرائب الزراعية في الإدارة العثمانية. وبعد تولي سليم الثاني الحكم أصبح ناسي مقرباً منه، إذ عينه سليم دوقاً لناكسوس Naxos وسايكلدس Cyclades برتبة سنجق بك.

إن ناسي ومعه Hamon يعدان بمثابة القناة الرئيسة بين اليهود والدولة العثمانية، وكانا الأداة التي أدت حصول اليهود على الامتيازات في سلانيك. راجع:

Mark A. Epstein, The Leadership of the Ottoman Jews in the Fifteenth and Sixteenth Centuries, in christians and Jews in Ottoman Empire, op.cit., pp.111-112.

رئيس الحاخاميين قام على ممارسة السلطة في الشؤون الدينية والحقوق المدنية بحيث أن مراسيم وقرارات هذا الحاخام كان يصدق من قبل الحكومة إلى درجة تحولت إلى قانون يخص اليهود[٣٣].

وتجدر الإشارة في هذا المجال، أن علي باشا وزير الخارجية «أصبح فيما بعد الصدر الأعظم» قد شارك في بعثته الدبلوماسية عدد من اليهود في عام ١٨٦٥ المرسلة إلى الأقطار الأوربية المسيحية[٣٤].

---

(٣٣) Friedman, Isaiah, Germany Turkey and Zionism 1897 – 1918, Oxford at the Ciarendon Press, 1977, p.20.

هناك قصيدة نشرت في صحيفة يهودية في سحيرنه عام ١٨٩٢ بمناسبة الذكرى المئوية الرابعة لوصول اليهود المبعدين عن إسبانيا من قبل الملكة إيزابيل الكاثوليكية إلى الدولة العثمانية تعكس، حتى عصرنا الحالي، الروح المعنوية التي تسود الجماعة اليهودية في تركيا ومما جاء في تلك القصيدة «وعندما وصل هؤلاء الذين كان كل شيء بالأمس يلعنهم إلى إستانبول بائسين عراة سمعوا لأول مرة صوتاً يقول لهم: أهلاً بكم من أهل الكتاب». وأعقب إستيطان اليهود في الدولة العثمانية بعد مغادرتهم إسبانيا تغلغل عناصرهم في الأوساط الثقافية والتجارية وحتى السياسية، كما يدل ذلك إتساع نفوذ البرتغالي جورت ناسي الذي أقام في القسطنطينية في عهد سليمان الكبير ليصبح مستشاراً وأميناً على أموال ولده السلطان سليم الثاني من بعده. ومع بداية القرن الثامن عشر، ساعد اليونانيون والأرمن في تثبيت ركائز اليهود في القطاعات الاقتصادية الرئيسية وأدرك هؤلاء أن لغة الـ «الأدنيو» الإسبانية ـ اليهودية تعزلهم نوعاً ما، وأن إنتشار تعليم اللغة الفرنسية كفيل بفتح أبواب المشاركة في الأنشطة الإقتصادية الحيوية في تركيا أمامهم. وتواكبت عملية «التفرنس» هذه مع إقرار دراسة اللغة التركية في المدارس وساعد في نشرها توزيع مقالات باللغة التركية مكتوبة بحروف عبرية ومن هذا التزاوج الثقافي العثماني ـ اليهودي برزت أسماء مثل إيليا كانين وألبرت كوهين. راجع: صحيفة القبس، ١٣/٩/١٩٨٦.

(٣٤) Friedman, op. cit., p.20.

كان هناك دبلوماسيون يهود في البعثات الدبلوماسية العثمانية مثل جوزيف ناسي الذي عين عمدة لناكسوس Naxos كان من اليهود البرتغاليين و Alvaro Mandes إذ عين عمدة لـ Mytylene في مقابل خدماته الدبلوماسية للسلطان، وسالومون بن ناشان الإشكنازي الذي رتب أول =

وقد أكد صفوت باشا الذي خلف علي باشا في الوزارة على لسان (Horacc Maynard) الوزير المفوض الأمريكي في الأستانة عندما قال:

«ان الإسرائيليين تمتعوا بكافة الامتيازات والحصانات بموجب قوانين رعايا الدولة العثمانية»(٣٥).

ومن الممكن تلخيص النظام الذي طبقه العثمانيون على اليهود في الآتي: أصبح الحاخام باشي في الأستانة يمثل جميع اليهود في الدولة أمام الحكومة العثمانية، وتقع عليه المسؤولية في تحديد الضرائب للطائفة اليهودية، علاوة على ذلك فقد حدد هذا النظام قيام الحاخام بالمصادقة على إختيار الرؤساء المحليين الذين ينتخبون من قبل ممثلين من الملة المحلية ويجب أن نؤكد في هذا المجال أن هؤلاء الرؤساء لا يمكنهم تقلد مناصبهم إلا بفرمان سلطاني ولهم مكانتهم في الهيئة الدينية الرسمية للدولة، كما أن هؤلاء من الممكن إعتبارهم من طبقة الموظفين إذ هم بحكم منصبهم أعضاء في المجالس الإدارية في الولايات، ويساعد الرؤساء في الغالب مجلس يتكون من أعضاء دينيين وعلمانيين والملة كانت ذات استقلال ذاتي في المجالات الدينية والإدارية «إدارة الممتلكات والتعليم والكنائس»، وفي النواحي التشريعية «كالزواج والطلاق والنفقة والحقوق المدنية والوصية» كانت الأحكام التي تصدرها الملة تنفذها الدولة لمصلحتها(٣٦).

= علاقات دبلوماسية مع بريطانيا. راجع: Guleryuz, Naim, «The History of the Turkish Jews», op.cit., p.32.

(٣٥) Ibid.,

(٣٦) حري بالذكر، أن اليهود كانوا موجودين في أقاليم الدولة العثمانية وبخاصة الشرقية منها، فمن المعروف أن أعداداً غير قليلة منهم كانت تعيش في المدن العربية الكبيرة كحلب ودمشق والقاهرة واليمن ... الخ.

وبضم العثمانيين هذه المدن والأقطار إلى دولتهم، دخل يهودها في جسم الدولة العثمانية بصفتهم «أهل ذمة» ومن المؤكد أن عدد اليهود في الأقطار العربية العثمانية كان أكثر بكثير من عدد النازحين من إسبانيا والبرتغال، نظراً للأوضاع السلمية المطمئنة التي كان =

وفي هذا الصدد قوّم وزير خارجية الدولة العثمانية وضع اليهود قائلاً: «إن اليهود قد طردوا من أوربا، وقد وجدوا السلم والأمان وحرية الوجود الكامل في الدولة العثمانية»(٣٧).

= يحياها يهود الوطن العربي آنذاك. للمزيد من التفاصيل راجع: عبده، علي ابراهيم «دكتور»، قاسمية، خيرية «دكتورة» يهود البلاد العربية، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧١، ص ٢٠.

(٣٧) Friedman, op. cit., p. 45.

حاولت بريطانيا منذ عام ١٨٣٨ التدخل في الشؤون العثمانية عن طريق اليهود، وفي هذا المجال كتب بالمرستون Palmerston قائلاً: «ينبغي أن يسمح ليهود الدولة العثمانية تقديم أية شكوى إلى الباب العالي عبر السلطات البريطانية ضد السلطات التركية .. أنه سيكون مفيداً جداً للسلطان دخول اليهود المشتتين إلى فلسطين عبر أقطار أخرى في أوربا وإفريقيا بسبب الثروة وعادات النظام والصناعة التي سينقلوها معهم، لأن هذا سيؤدي بصورة فائقة إلى زيادة موارد الإمبراطورية التركية ويطور تقدم الحضارة فيها ... إن وظيفة الحماية البريطانية سوف تساعد على منع العنف والظلم والإضطهاد التي تعرض لها اليهود وخصوصاً في سوريا، وإذا لم يمنح السلطان بعض الأمن الحقيقي والملموس لليهود فإنه لن يكون بإمكانه أن يتوقع المنفعة التي تقدم له من هجرة اليهود إلى فلسطين».

راجع: Lewis, Bernard, The Jews of Islam, op. cit., p.160.

وفي هذا المعنى كتب جارلس ماكفرلن Charles MacFarlane قائلاً: «بلغ العداء الكبير لليهود حداً فائقاً عبر المقاطعات العثمانية، بحيث أصبح هؤلاء يهربون أمام رفع يد طفل. وإذا قارنا هذه الحالة مع إنكلترا، نرى أن اليهود في الأخيرة يتمتعون بكل الحقوق ..».

راجع: Ibid.,

ولكن بريطانيا بدأت تناقض نفسها، وهي تتحدث عن اليهود في دول أخرى، منها إيران على سبيل المثال، حيث كتب معاون القنصل البريطاني في الموصل في كانون الثاني ١٩٠٩ قائلاً: «لو قارنا يهود الإمبراطورية العثمانية بيهود إيران، لوجدنا أن يهود الدولة الأولى كانوا يعيشون في الجنة». راجع: Ibid., p.166

=

. . . .

= وبصورة عامة كتب المستشرق اليهودي الهنكاري أرمينوس فامبري Arminius Vambery وهو يترجم وجهات نظر بريطانيا، قائلاً: «إن يهود إيران وأسيا الوسطى يعيشون في تعاسة، وإنهم كانوا مثار الشفقة في أرض الله . .». راجع: .Ibid

وفي الحقيقة أن بريطانيا كانت متحمسة للدفاع عن اليهود في فلسطين، حيث حاولت بريطانيا إيصال شكاوى اليهود إلى الدولة العثمانية، وفي هذا المجال تم اللقاء بين ف. بيزاني سكرتير السفارة البريطانية، والوزير رشيد باشا وصائب باشا وزير المالية للدولة العثمانية، وفي هذا الصدد، رد الوزيران على مطاليب بيزاني: «إن إعطاء اليهود حق رفع شكاويهم إلى الباب العالي بواسطة السلطات الإنكليزية يعني وضعهم تحت حماية بريطانيا، وبالتالي توجيه طعنة لاستقلال الباب العالي. إن معاهداتنا مع فرنسا تعطيها الحق بحماية الكاثوليك في شؤونهم الروحية. وإذا وافقنا على ما تطلبه إنكلترا فإن فرنسا ستوسع حمايتها للكاثوليك حتى شؤونهم الزمنية، وروسيا بدورها، ستقوم بمطالب مزعومة . . كل شيء، يا سيدي اللورد، يشير إلى أن طلبنا سيرفض بعد أن تصل أوامر السلطان. إذا كنتم يا صاحب السعادة تريدون القيام بمساع تتسم بطابع أكبر من الرسمية، فعليكم أن تفعلوا ذلك قبل أن يعطينا الباب العالي الجواب بالرفض كما أتوقع».

وقد أعلن السلطان في ٣٠ كانون الثاني رفضه لمطاليب بريطانيا، مؤكداً: إن حكومته ستصغي دائماً بإيجابية إلى التفسيرات التي قد تقوم بها السفارة البريطانية لتنوير المسؤولين بصدد شكاوي الرعايا العثمانيين عامة، فإن السلطان يرفض رفضاً تاماً إعطاء اليهود حقاً «بأن يلجأوا إلى وساطة المعتمدين الإنكليز» لكي يقدموا شكاويهم.

لم تبق هذه المسألة في طي الكتمان، حيث أصبحت السفارة الفرنسية على بينة منها، حيث قام الكونت دوبونتوا تبليغ وزيره غيزو، وقد جاء في تقريره ما يلي: «. . . إن الطلب الوحيد الذي تقدم به سفير إنكلترا، على حد علمي إلى الباب العالي في الأيام الأخيرة، كان يتعلق بحصول اليهود الذين قد يأتون للإقامة في القدس على حق تملك العقارات، وقد أجيب بأنه إذا كان هؤلاء اليهود يريدون أن يصبحوا رعايا فإنهم يستطيعون أن يتملكوا بنفس حقوق وشروط هؤلاء. وأظن أن المسألة في الوقت الحالي عند هذه النقطة».

كما قام فون بونسن Von Bunsen سفير بروسيا في سويسرا الدعوة إلى الإرسالية اليهودية، حيث كتب رسالة إلى اللورد اشلي (عملا معاً في سبيل البروتستانتية واليهود المهتدين)، جاء =

وأضاف قائلاً: «في الوقت الحاضر أكثر من أي وقت آخر، إن عدداً كبيراً من اليهود يحاولون اللجوء إلى الأرض العثمانية، بسبب طردهم لإعتبارات دينية وفي الواقع كانوا أحراراً بإستثناء فلسطين لتكوين أنفسهم في الإمبراطورية وممارسة المهن بدرجة كبيرة وبدون تدخل، وفيما إذا كانت حكومة الإمبراطورية فرضت القيود على مجاميع اليهود المهاجرين إن ذلك يعود بصورة رئيسية إلى إعتبارات اقتصادية معينة وإجراءات النظام العام»[٣٨].

= فيها «اليس من العناية الالهية أن يكون مصير الأرض المقدسة موضوعاً في يد إنكلترا في هذا الـوقت بالذات حيث يتقبل الله الذي لمست قدماه هذه الأرض، صلوات المؤمنين باللغة الإنكليزية وحسب طقوس الكنيسة الإنكليزية وذلك في جبل صهيون حيث تتحد ابتهالات العلماء والحاخاميين اليهود بلغتهم الأصلية بابتهالات المسيحيين أبناء إنكلترا؟ أما بالنسبة لي فلا يمكنني أن أعتقد خلاف ذلك. ولكن علي أن أعتقد بأنك لا تريد أن ترى في ذلك علامات الزمن؟ لا أدري كيف ينبغي التصرف في مثل هذه الظروف لأنني غير مطلع على الوضع الراهن الذي وصلت إليه المفاوضات من أجل شراء الأرض التي ستبنى فوقها الكنيسة ومن أجل حماية اليهود المرتدين إلى المسيحية. إلا أنه يبدو واضحاً أن أي عمل معقول من قبل إنكلترا سيكون الآن مقبولاً من جانب الباب العالي».

وتجدر الإشارة في هذا المجال، أن الكنيسة الإنكليكانية وبقيادة المبشر نيكولايسون. (زاول نيكولايسون نشاطه طيلة أكثر من عشر سنوات في القدس بين اليهود تحت إشراف الجمعية اللندنية بين اليهود) قامت بشراء قطعة أرض في القدس لبناء هيكل عبادة انكليكاني في ٢٣ كانون الثاني ١٨٣٨.

وهذا يعني أن «مشروع القدس» والذي بلوره بونسن كان من الأهداف الرئيسة للجمعية اليهودية اللندنية، والتي تتضمن في الحصول على قطعة أرض في القدس لبناء كنيسة عليها تلبية لحاجات اليهود الذين اعتنقوا المسيحية. راجع:

حجار، جوزيف (دكتور)، أوربا . . ومصير الشرق العربي، حرب الإستعمار على محمد علي والنهضـة العربية، ترجمة بطرس الحلاق وماجد النعمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٦، ص ٢٤١ - ٢٤٩.

(٣٨) Lewis, Bernard, The Jews of Islam, op. cit., p. 166.

بالإضافة إلى ذلك فقد قامت الطوائف «الملل» بتشكيل مجموعات محلية في الدولة العثمانية كل واحدة منها قائمة بذاتها، وسمح هذا النظام لأعضاء الطوائف بالحفاظ على تراكيبهم الإجتماعية وعاداتهم وطقوسهم الدينية، علاوة على دورهم في المجالات الإدارية والاقتصادية(٣٩).

---

(٣٩) يتبع اليهود في تركيا تعاليم دينهم بكل دقة وعناية ويهتمون بتعليم أبنائهم أسسه وأركانه في مدارسهم الخاصة التي يشكل المربون اليهود القسم الأعظم من أعضاء هيئات التدريس فيها، وتنقسم مدارسهم إلى مرحلتين، كما أن لهم مدارس ثانوية خاصة بهم. راجع:

Bucun; Eban, op. cit., PP. 202–103.

وأيضاً: عبده، علي إبراهيم، المصدر السابق، ص ٢١.

أولى اليهود عناية كبيرة لمدارس الاليانس اليهودية، وعلى الرغم من دورها وعن طريق بعض الفئات المثقفة اليهودية المحلية في تعليم اللغة التركية، إلّا أنها كانت ضعيفة في هذا المجال.

إن مدرسة هاسكوي Haskoy للبنين التي تأسست في إستانبول عام ١٨٩٠ كانت المؤسسة الوحيدة التي درست بعض جوانب اللغة الرسمية في المدن الإقليمية.

إن غالبية مدرسي الاليانس Alliance قد درسوا في فرنسا، لم يكونوا مؤهلين لتعليم اللغة التركية، بل تميزوا بعدم الكفاءة. راجع في هذا المجال:

Domont, Paul, Jewish Communties in Turkey during the last Decades of the Nineteeth Century in the light of the Archives of the Alliance Israelite universelle, in Christians and Jews in Ottoman Empire, op.cit., p.227.

في مطلع القرن التاسع عشر أسس إبراهيم دكاماندو de camondo مدرسة يهودية حديثة بإسم La Escola ، وقد سببت هذه المدرسة صراعاً جدياً بين الحاخامين المحافظين والعلمانيين والذي سوي فقط بتدخل السلطان عبدالعزيز ١٨٦٤ نفسه، ونتيجة لذلك فقد أصدرت الدولة العثمانية القوانين الفرعية الخاصة بالجماعة اليهودية محددة هيكلها. راجع:

Guleryuz, Naim, «The History of the Turkish Jews» op.cit., p.32.

قامت الجماعات اليهودية في نهاية القرن التاسع بتأسيس مدارس الاليانس في المدن =

وقد مارس اليهود طقوسهم الدينية، ونتيجة لذلك فقد ظهر لهم أول كتاب باللغة العربية في عام ١٥٧٨، وكان دور جوزيف ناسي و Due of Naxos واضحاً في هذا المجال(٤٠).

وتجدر الإشارة في هذا المجال، إن الوضع الإجتماعي لدون جوزيف ناسي كان جيداً على عهد السلطانين سليم وسليمان، حيث قام على إدارة الامتيازات لمنطقة طبريا وعدة قرى مجاورة، وليس هناك من دليل كي نقرر أهداف دون جوزيف ناسي في إيجاد النواة الأولى لمفهوم «دولة إسرائيل» من وجهة نظر بعض المؤرخين، أو الخطة في مجرد إيجاد مأوى لليهود الإسبان(٤١).

علاوة على ذلك فقد قامت محاولات أخرى من هذا القبيل من قبل
Alvaro Mendes Alias Soloman Ben Yaish

وفي الواقع كان دور Ben Yaish واضحاً ومهماً في إعطاء شكل معين للسياسة الخارجية العثمانية تجاه المسألة اليهودية إلا أن أحلامه تحددت في بناء طبريا وعدة قرى أخرى (٤٢).

= المهمة مثل إستانبول وسلانيك وأدرنة. كان الحضور للمدرسة بما يتجاوز الألف تلميذ في السنة الواحدة.

وصل معدل هذه المدارس في المدن المتوسطة مثل بورصة Canakkale وايدن Aydin من ٢٠٠ إلى ٤٠٠ مدرسة للبنين والبنات، وفي Balat ثم تدريس التلمود والتوراة في نهاية السبعينيات لأكثر من سبعمائة صبي.

في حين قبل هذه المدة ضمت هذه المدارس فقط ١٢٠ طالباً. راجع:

Ibid., p. 226.

(٤٠) Friedman, Isaiah, op. cit., p.22.

(٤١) Ibid.,

(٤٢) Ibid.,

وصل عدد الأسر اليهودية بحلول عام ١٤٧٧ في إستانبول إلى ١٦٤٧ أسرة يهودية أو =

وقد بلغ عدد اليهود في إستانبول في تلك المدة وحدها نحواً من عشرين ألفاً، ونتيجة لهذه النسبة في العدد، حاول اليهود الوصول إلى مقر السلطان بشتى الوسائل والطرق[٤٣]، وقد فرضوا أنفسهم على البلاط بالدرجة الأولى بوصفهم أطباء[٤٤].

أما الطبيب ناثان سلمون أشكنازي، الألماني الأصل فقد استطاع أن يسيطر على محمد صوقللي سيطرة تامة، وفي عهد سليم الثاني قام يهودي آخر وهو يوسف ناسي بدوره حيث اتصل بسليم الأول بعد هجرته من البرتغال إلى القسطنطينية سنة ١٥٥٠ حاملاً معه ثروة هائلة، واستطاع أن يلعب دوراً مهماً في مقدرات الدولة الاقتصادية[٤٥].

= ١١٪ من المجموع الإجمالي وبعد مرور قرن ونصف وصل عددهم إلى ٨٠٧٠ بيتاً يهودياً.
بعد مرور ثلاثمائة سنة من طرد اليهود من إسبانيا، وصلوا إلى العهد الذهبي وذلك في أربعة مدن هي: إستانبول وأزمير و Saged وسالونيكا والتي أصبحت مقراً لليهود السفاردية راجع: Guleryuz, Naim, «The History of the Turkish Jews» op.cit., p.33.

(٤٣) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ٤٤ ومنير البعلبكي، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧، ص ٤٨٩.

(٤٤) تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن مياستر جاكوب الذي كان يخفي يهوديته تحت اسم يعقوب باشا أصبح طبيباً للسلطان محمد الفاتح، وقد أقنعت اليهودية العالمية الطبيب المذكور على تسميم السلطان مقابل مائة ألف دوقاً من الذهب، فقام جاكوب بتنفيذ هذه الخطة، وقد ذكر الباحثون إن السم الذي أعطي للسلطان كان يسمى «بالعاكور» وهو في لون الماء، ويتصف بالمفعولية التامة. راجع في هذا الصدد:

Atilhan, op. cit., s. 69.

(٤٥) بروكلمان، المصدر السابق، ص ٤٩٠.

قام اليهود في الدولة العثمانية بإدخال بعض الإصلاحات الدينية في حياة الطائفة اليهودية، وقد أدت هذه المحاولة إلى توترات داخلية ضمن هذه الطائفة وصلت إلى حد نقطة الأزمة. وأصبح هذا الصراع علنياً في عام ١٨٦٢، وربما كانت هذه المناسبة هي الأولى من نوعها في القرن التاسع عشر والتي أولت الإنتباه لليهود في الصحافة العثمانية ومؤرخي الحياة العثمانية.

ونستنتج من ذلك، مجموعة من الملاحظات، بالإمكان إيجازها في النقاط التالية:-

١- إن اليهود لم يندمجوا في مجتمعات الدول التي وجدوا فيها، وقد أدى ذلك الأمر إلى تكتلهم وتركزهم في أحياء معينة في إطار هذه الدول وكان ذلك سبباً في إتخاذ الدول الأوروبية بعض القرارات لطردهم من أراضيها.

٢- عند هجرة اليهود من أوربا إلى الدولة العثمانية، اتبع اليهود نفس الأساليب التي استخدموها في القارة الأوربية، حيث قاموا بقتل بعض السلاطين كما فعلوا في قتل الكسندر قيصر روسيا في عام ١٨٨١ مع فارق أن العثمانيين لم يتبعوا سياسة العنف ضد اليهود.

٣- عند هجرة اليهود إلى الدولة العثمانية، نقلوا تجارب الشعوب الأوربية إلى الدولة العثمانية، وكان نتيجة هذه التجارب نشوء بعض الأفكار السياسية والفلسفية والتي لا تمت بصلة إلى تقاليد هذه الدولة.

٤- إن جزءاً من المسؤولية يقع على عاتق العثمانيين في إستقرار هؤلاء في الدولة العثمانية، حيث إن السلاطين لم يعرفوا المخاطر اليهودية في المستقبل، وإن السلاطين إنطلقوا من المفاهيم الإسلامية في مساعدة هؤلاء وإنقاذهم من مواقف

= بدأت الأزمة بمحاولة الإصلاح التي قاومتها بحدة الحاخامية المتطرفة التي كانت مسيطرة على المنظمات اليهودية والتي قامت بموجب القانون العثماني. وقد أدت هذه الأزمة إلى المظاهرات والقتال بين اليهود إلى درجة شعرت السلطة العثمانية أنه لا محالة بالتدخل في هذه الأزمة.

في البداية أدى هذا التدخل من قبل السلطات العثمانية إلى نصر ما يسمى بالحرس القديم «الحاخاميون الراديكاليون» وبالتالي إلى سجن مفجري هذه الأزمة. راجع:

Lewis, Bernard, The Jews of Islam, Op. cit., pp. 176 - 177.

الشعوب الأوربية لهم، وهذا يعني من جانب آخر أن السلاطين لم يكونوا على معرفة حقيقية بالدراسة الواقعية للشخصية اليهودية والمليئة بالنقص والعقد الاجتماعية.

٥- إن العلاقات اليهودية الأوربية والتي إتصفت بالسلبية، إنعكست على العرب في الوقت الحاضر، لأن الوطن العربي كان جزءاً من ممتلكات الدولة العثمانية.

وبعد كل هذا يتحدث الكتاب عن بعض الظلم الذي وقع على بعض اليهود في ظل الدولة العثمانية، إلا أن ذلك يعتبر شيئاً طبيعياً، حيث شهدت الدولة العثمانية حوادث لم يسلم منها المسلمون أنفسهم، ولم ينج منها بعض كبار رجال الدولة العثمانية ولا بعض السلاطين أنفسهم، وبعض أفراد أسرهم، ويخفف من هذه المصاعب التي تعرض لها بعض يهود الدولة العثمانية ما استفادوه بصفة عامة من مكاسب بسبب ما اقترنت به العلاقات العثمانية الأوربية من توتر وصراع عنيف كان ليهود الطرفين الوساطة أحياناً ودور إفتداء الأسرى بما كان لهم من مركز مالي مدعم، وكثيراً ما قام بعض اليهود بدور السفارة للتفاوض مع الطرف الأوربي أو الوساطة لديه[٤٦].

---

(٤٦) بعيو، مصطفى عبدالله، المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا، الدار العربية للكتاب. ليبيا، ١٩٧٤، ص ٣٦.

الفصل الثاني

فلسطين والدولة العثمانية

انتصر العثمانيون على المماليك في معركة مرج دابق بالقرب من مدينة حلب وذلك في عام ١٥١٦، فانفتحت أمامهم الطريق لاحتلال منطقة الشام بأكملها[١]. وظلت فلسطين تابعة للدولة العثمانية لمدة أربعة قرون وذلك من سنة ١٥١٦ إلى سنة ١٩١٨[٢].

عندما دخل السلطان سليم الأول سوريا وفلسطين، أوجد نظاماً جديداً في تاريخ هاتين الولايتين. وقد رحب اليهود بسليم الأول بحماس كبير. وإذا إنتقلنا إلى أمثلة أخرى من قبل سليم الأول أو سليمان الكبير (١٥٢٠ - ١٥٦٦)، وسليم الثاني (١٥٦٦ - ١٥٧٤)، هؤلاء جميعاً أعطوا لليهود الحرية في زيارة الأراضي المقدسة[٣].

في بداية القرن السادس عشر لم يتجاوز العدد الكلي لليهود في فلسطين الـ

---

(١) وفي السنة التالية إحتل العثمانيون القاهرة وقضوا على دولة المماليك قضاء نهائياً.
راجع في هذا الصدد: وزارة الدفاع الوطني، الجيش اللبناني، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٣، ص ٤٣.
وكذلك:

Maoz, Moshe, Studies of Palestine During the Ottoman Period, Jerusalem, 1975, pp. 388 – 391; D'neill, Bard. E, Armed Struggle in Palestine: A political – Military Analysis, U.S.A, 1978, p. 1;0 Freedman, Robert, op. cit., p.2.

(٢) وزارة الدفاع الوطني، المصدر السابق نفسه، ص ٤٣. عندما سيطر الأتراك على فلسطين، كان هناك وقتئذ نحو من حمسة آلاف يهودي. راجع:

Tanyu, op. cit., s. 148.

(٣) Isaiah, Friedman, op. cit. p. 21.

٥ر٠٠٠ ـ ٦ر٠٠٠ وقد ارتفع هذا العدد في عام ١٨٦٧ إلى ٤٠٠ر٠٠٠ نسمة، إلى أن وصـل هذا العدد إلى ٤٥٠ر٠٠٠ في عام ١٨٩٥[٤] ويجب أن نؤكد في هذا المجال أنه في الخمسين سنة الأخيرة نرى بأن الطائفة اليهودية في منطقة صفد فقط بلغت ١٠ر٠٠٠ نسمة[٥].

وعندما وصل السلطان عبدالحميد الثاني إلى السلطنة كانت فلسطين فقيرة ومهملة[٦].

أما عدد اليهود في فلسطين قبل تدفق الهجرة اليهودية من أوربا فقد بلغ على وجه التقريب ٢٤ر٠٠٠ نسمة، وقد استقروا في المدن الرئيسية مثل: القدس والخليل وصفد وطبريا، بينما كان عدد العرب في القرن الأخير في فلسطين قد بلغ نحو ٣٠٠ر٠٠٠ نسمة[٧].

أمـا في أواسط القـرن التـاسـع عشـر فقد بلغ عدد اليهود في فلسطين نحو ١١ر٠٠٠ نسمة تقريباً[٨].

وفي هذا المجـال، لا بد أن نلقي الضـوء، على الجوانب الديموغرافية في فلسطين في تلك الحقبة. حيث كانت هناك ست مدن في فلسطين لم تكن لها كثافة سكانية. في بداية القرن السادس عشر، بلغ عدد السكان في أربع مدن منها نحوا

---

(٤) Landau, Acob, Abdul – Hamids Palestine, Jerusalem, 1979, p. 9.

(٥) Isaiah, Freidman, op. cit., p. 21.

(٦) Landau, Acob, op. cit., p. 21.

(٧) بلغ عدد اليهود في القدس عام ١٨٠٦ نحو ألف نسمة من مجموع السكان الذي بلغ عدده نحو ٨٧٧٤ نسمة. راجع: Freidman, op. cit., p. 25

(٨) قدر عدد اليهود في فلسطين في حقبة ما قبل الميلاد نحو ٦٣٧ نسمة. وفي خلال الفتح العربي لفلسطين بلغ عدد اليهود بين ٣٠٠ر٠٠٠ ـ ٤٠٠ر٠٠٠ نسمة. وقد انخفض هذا العدد إلى عدة آلاف يهودي وذلك بسبب الحروب الصليبية والتي أبيدت فيها العناصر غير المسيحية. راجع في هذا الصدد: Ibid., p. 21.

من خمسة آلاف إلى ستة آلاف[٩].

وفي الحقيقة، بقيت القدس مهمة من الناحية الديموغرافية خلال القرن السادس عشر ـ عدا حقبة قصيرة ـ حيث أنها سجلت في هذه الناحية في المدة الواقعة بين ١٥٣٨ ـ ١٥٣٩ إذ جاءت بعد غزة. وأصغر هذه المدن في هذا القرن كانت الرملة، لم تكن في الحقيقة أكبر كثيراً في هذا الجانب من القرى المجاورة مثل اللد ومجدل أو دير الداروم[١٠].

وفي السنوات الأخيرة من القرن السادس عشر، أصبحت مجدل أكثر صغراً من بعض تلك القرى التي كان لها في المدة الواقعة ١٥٩٦ ـ ١٥٩٧ ضعف عدد سكانها[١١].

ومع أن هذه المدن الفلسطينية كانت تعتبر مهمة في الإعتبارات المحلية، فإنها عدت صغيرة بمعايير الدولة العثمانية بصورة عامة، لو قارناها على سبيل المثال مع ست عشرة مدينة من المدن العثمانية في بداية القرن السادس عشر، وحتى أكبر المدن في فلسطين سوف تقع في الأسفل أي بنسبة ٤٠٪ حيث كانت تضم ١٠٠ أسرة. في هذا الجانب أنها تقارن بصورة منفصلة ليس فقط مع إستانبول أو لذلك الغرض مع مدن مهمة في البحر الأبيض المتوسط، ولكن مع مدن رئيسة في الدولة العثمـانية، أو حتى مع مدن في سوريا خلال القـرن السادس عشر. وهكذا فإن التشخيص السكاني لـ Barkan للمدن الأكثر أهمية للدولة العثمانية as «agglomerations de peuimportance».

---

(٩) Amnon cohen and Bernard Lewis, Population and Revenue in the Towns of Palestine in the Sixteenth Century, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1978, p.19.

(١٠) تكونت مدينة القدس من الأحياء الآتية: باب الحطة وباب العطانين وزرانشة وريشة وبني حارث وأكابت الساعت. راجع: Ibid., p. 81.

(١١) Ibid.,

هذا التشخيص يطبق حتى بشكل أكثر أهمية على مدن فلسطين لا يصل منها حتى إلى أرقام حلب ودمشق[١٢].

والجدول الآتي يوضح هذه الحقيقة[١٣]:

	قبل ١٥٢٠	١٥٢٠-١٥٣٠	١٥٧١-١٥٨٠	بعد ١٥٨٠
حلب	١١ر٢٢٤ر٣٤٤	١٠ر٣٤٢ر ٥٦ر٨٨١	٨ر٢٤٢ر٤٥ر٢٣١	٨ر٤٣٠ر٤٦ر٣٦٥
			٨ر٤٣٠ر٤٦ر٣٦٥	(في ١٥٨٦)
دمشق		١٠ر٤٢٣ر٥٧ر٣٢٦		٧ر٧٧٨ر٤٢ر٢٧٩
				(في ١٥٩٥)

وبإختصار إن الإتجاه العام لسكان مدن فلسطين في النصف الأول من القرن السادس عشر كان متجهاً نحو الزيادة وبإستثناء صفد التي كان الإتجاه فيها نحو الأسفل خلال النصف الثاني من هذا القرن. وحتى مع ذلك فإن الرقم الكلي في نهاية القرن السادس عشر كان على الأقل ثلث أكثر من الرقم المسجل بعد الدخول العثماني لفلسطين[١٤].

إذا أخذنا القرن السادس عشر ككل فلا المدن كلها مجتمعة ولا أي مدينة منفردة تتلائم مع ما يعرف بطراز البحر المتوسطي للنمو، بينما كانت مدن معينة (القدس والخليل) نمت بصورة معتبرة جداً، فإن المدن الأخرى شهدت إما نموا كلياً بطيئاً مثل غزة، أو حتى سقطت دون ذلك (مثل الرملة).

النتيجة الصافية هي نسبة نمو عبر القرن التي كانت حوالي ثلث الإتجاه المسجل من قبل Barkan في حساباته للمدن الأخرى[١٥].

(١٢) Ibi.,

(١٣) Ibid., p. 20.

(١٤) Ibid.,

(١٥) Ibid., p.21.

وفي الحقيقة، تبدو مدينة صفد وبموجب بعض المقاييس مستثناة من التطورات التي أثرت على كل المدن الأخرى لفلسطين. وقد اتبع السكان المسلمون للمدينة نفس الطراز الموصوف أعلاه في حوالي عقد من الزمن، إلا أن الحالة السكانية تقلصت بنسبة ١٠٪ بسبب العنصر اليهودي. نما العامل اليهودي خلال نفس السنوات بنحو ٣٠٪، كان ذلك متماشياً مع التطورات السابقة في العنصر اليهودي في صفد. ربع السكان في عام ١٥٢٥ ارتفع عدد السكان إلى حوالي النصف[١٦]. إذا أخذنا الأمر بشكل منفصل فإن العامل اليهودي تضاعف عن ثلاثة أضعاف في هذه المدينة في أقل من خمسين سنة متماشياً بشكل تدرجي مع نفس إتجاه النمو. في مقابل ذلك فإن الجماعة اليهودية في نابلس هبط عددها، مجاراة للنمط العام في النقصان خلال القرن السادس عشر، ولكن في مجال أكثر سرعة فإنها هبطت بالنصف بين ١٥٣٨ - ١٥٤٨، وقد أسفر هذا العدد في الهبوط بنسبة أربعة أخماس في نهاية القرن السادس عشر[١٧].

وقد بدأت الجماعة اليهودية في الخليل بالإنخفاض بإتجاه أواسط القرن، ولكنها أخذت تعيد بعض موقعها في النصف الثاني من نفس القرن حينما بقيت بدون تغيير في حوالي نصف قوتها الأولية. وقد بدأ السكان اليهود في الإرتفاع في بداية القرن السادس عشر حيث وصلوا إلى أعلى درجة في سجل ١٥٤٨ - ١٥٤٩، ونستنتج من ذلك أن هناك زيادة في ذلك وبنسبة ٧٠٪ و ٣٠٪ على التوالي[١٨].

تناقصت فيما بعد نسبة السكان وبصورة واضحة في كلتا المدينتين في غزة بلغت دون عددها الأول. ونتيجة لبعض حلقات مفقودة فإنه من الصعب أن نتوصل إلى خلاصات عامة كثيرة، ولكن إذا إفترضنا أن لنابلس والخليل في بداية العهد العثماني نفس الأرقام كما كانت مسجلة في عهد لاحق ونطبق نفس المبدأ على

(١٦) Ibid., pp. 28 – 29.

(١٧) Ibid.,

(١٨) Ibid.,

القدس في نهاية القرن السادس عشر فإنه سيبدو أن السكان اليهود في خمس مدن فلسطين الرئيسة (لم يكن هناك يهودي في الرملة) قد تضاعف عبر القرن السادس عشر، حيث شكل هؤلاء نسبة ١٤٪ من المجموع الكلي في عام ١٥٢٥ ونحو ٢٠٪ في عام ١٥٩٥[١٩].

وقد ركز اليهود كثيراً في خلال القرن السادس عشر على صفد[٢٠]، وبينما في المدة الأولى بعد الدخول العثماني إلى فلسطين لم تكن الجماعة في القدس أقل كثيراً، فإن الفجـوة بين الإثنين توسعت بصورة تدريجية بمرور السنين على الأقل الإرتفاع العددي لليهود في صفد قياساً إلى الديانات الأخرى فيها[٢١].

وهذا يعني أن الهجرة اليهودية إلى فلسطين تزايدت تدريجياً بعد تأسيس الحكم العثمـاني، وقـد أثـرت هذه الهجـرة على أجـزاء متنـوعة من فلسطين وعلى وجه الخصوص المناطق الشمالية منها (منطقة الجليل)، أما فيما بين المدن فكان هناك نزعة متزايدة لإختيار صفد إذا ما قارناها بالقدس. وفي الحقيقة ربما تكون هناك عوامـل مختلفة تدعم هذا الإتجاه، منها على سبيل المثال: الظروف القائمة في القدس في تلك الحقبة كانت غير محبذة للقادمين الجدد بسبب ارتفاع الضرائب، بغية الحد من قدومهم إلى هذه المدينة، والروح الأنانية لليهود مما أدى إلى إبتعاد العرب المسلمين منهم[٢٢].

وقد حاول اليهود كما يقول شختر Schechter وبسبب فقدان صفد إلى العنصر

---

(١٩) Ibid., p. 29.

(٢٠) يعزى إهتمام اليهود بصفـد إلى إعتبارات إقتصادية منها أنها كانت تعد من موانيء صيدا وAcre وكذلك إستخدامها مدخلاً سهلاً نسبياً إلى دمشق، وشهرتها في تجارة الصوف كما كانت هناك عوامل دينية ومادية. إضافة إلى موقع صفد، حيث إنها تقع على مقربة من الضريح التقليدي لـ Bar Yohay راجع: Ibid., p. 30.

(٢١) Ibid., pp. 29-30.

(٢٢) Ibid.,

اليهودي إلى إيجاد قواعد تنظيمية محسوبة كانت الغاية منها تخفيض نسبة الضرائب على اليهود القادمين إليها إلى درجة استثناء أولئك الذين كانوا تلموديين من بينهم من الضريبة كلية[٢٣].

وقـد أدخل العثمانيون عدة تنظيمات إدارية في فلسطين وذلك منذ سيطرتهم عليها ولا سيما بعد موجة الهجرة عليها، عندما قامت روسيا القيصرية بطرد اليهود منها. لأهمية هذا الموضوع سوف نتحدث عنه في مبحثين هما: التقسيم الإداري لفلسطين، ومحاولات اليهود للإستيطان في فلسطين.

---

(٢٣) Ibid.,

المبحث الأول

التقسيم الإداري لفلسطين

العثمانيون بعد أن فتحوا بلاد الشام عام ١٥١٦ جعلوا بيت المقدس صنجقية تتبع باشا دمشق الذي كان يطلق عليه أيضاً باشا الشام. وأظهر العثمانيون في هذا الوقت المبكر تقديراً خاصاً لأهمية بيت المقدس. فكان يحكمها أحياناً حاكم بلقب ميرمران أي أمير الأمراء وهو باشا بطوخين. ويتولى حكمها أحياناً أخرى أحد الوزراء وهو باشا بثلاثة أطواخ، وكانت الدولة تكتفي أحياناً بحاكم يلقب متسلم يرسله باشا الشام. وكان عليه أن يرسل مالاً معيناً إلى الباشا في دمشق مما يجمعه من ضريبة الأرض أو «الميري» ومن الجزية على أهل الذمة ومن العوائد المختلفة. وكانت تتبع صنجقية بيت المقدس ثلاث مدن هي أريحا وتقع إلى الشمال الشرقي، ثم بيت لحم والخليل وتقعان إلى الجنوب. أما مدن نابلس، وعجلون وغزة فكانت كل منها صنجقية قائمة بذاتها تتبع باشا دمشق. وكانت يافا تتبع غزة - ميناء بيت المقدس[٢٤].

---

(٢٤) عبدالكريم، أحمد عزت (دكتور)، «التقسيم الإداري لسورية في العهد العثماني. الباشويات العثمانية والعصبيات الإقطاعية»، مجلة كلية الاداب، جامعة إبراهيم باشا الكبير، المجلد الأول، ١٩٥٠، ص ١٤٩. ورد ذلك في كتاب الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها للدكتور عبدالعزيزي محمد الشناوي، ج٢، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٠، ص ٩٧٨. وكذلك:

Zureik, Eliat, The Palestine in Israel, A study in Internal colonialism, London, 1979, p.31.

وقد أحدثت الدولة العثمانية سنة ١٦٦٠ ولاية جديدة وهي صيدا لمراقبة الجبل، وقد امتدح الجنرال دي تورسي طراز الإدارة التي منحها سليم الأول للشام وهي التي كان عليها في الأكثر إلى خروج الأتراك من هذا القطر، وذكر بعضهم أن الشام كانت على عهد أوائل الحكم العثماني أربع ايالات كبرى، أصبح تقسيمها بعد ذلك إلى ثلاث ايالات[٢٥].

وفي سنة ١٢٧٢ هـ كانت الشام تقسم إلى ايالتين: ايالة دمشق وايالة صيدا، ولما نظمت الولايات على أسلوبها المتعارف أخذ لواء الرها (اورفة) من الجزيرة ولواء مرعش من الأناضول والحقا بحلب فجعلت ولاية، وجعلت بقية الشام ولاية جسيمة حاضرتها دمشق[٢٦].

أما بالنسبة للبنان فإنها كانت مؤلفة من أقضية الكورة والبترون وكسروان والمتن والشوف وزحلة وجزين، وظلت بيروت وطرابلس واللاذقية وعكا تابعة لولاية دمشق. وبقي مركز الجيش دمشق على ما كانت عليه قبل دخول إبراهيم باشا[٢٧]. وجعلت الكرك أي ما وراء عبر الأردن متصرفية برأسها، وجعلت بيروت سنة ١٨٨٨ ولاية مستقلة عن دمشق لموقعها الاقتصادي، وأضيفت إليها عكا ونابلس واللاذقية وطرابلس وصيدا ومرجعيون[٢٨].

---

(٢٥) علي، محمد كرد، خطط الشام، ج٣، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠، ص ٢٨٨ وكذلك:

Maoz, Moshe, op. cit., p.361.

(٢٦) علي، محمد كرد، المصدر السابق، ص٢٨٨.

(٢٧) الخولي، حسن صبري (دكتور)، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٢٨) يجب أن نؤكد بهذا الخصوص أنه عندما وقعت المذابح الدينية في لبنان سنة ١٨٦٠، وتدخلت فرنسا عسكرياً نيابة عن الدول الأوربية بمقتضى بروتوكول باريس (٥آب ١٨٦٠) أنشئت متصرفية لبنان. وبناء على ذلك فإن لبنان أصبحت له إستقلالية إدارية، يتولاه متصرف من الباب العالي برتبة وزير، وتصادق على تعيينه الدول الست العظمى. راجع في هذا الصدد: الخولي، حسن صبري (دكتور) المصدر السابق، ص ٢٨٨.

ومما يذكر، أنه لما وضحت أخطار الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر قرر السلطان عبدالحميد الثاني إدخال تغيير على الوضع الإداري لبيت المقدس فجعلها في سنة ١٨٨٧ «متصرفية» خاصة تتبع الباب العالي مباشرة. وكان هدف السلطان عبدالحميد الثاني من رفع الوضع الإداري لبيت المقدس من سنجقية إلى متصرفية مستقلة[٢٩] وجعلها تابعة مباشرة للباب العالي في استانبول هو قيام الإدارة الحكومية في العاصمة بمراقبة الهجرة اليهودية إلى فلسطين والحد منها[٣٠].

وفي الحقبة الأخيرة من الحكم العثماني، كانت فلسطين من الناحية الإدارية، تقع في قسمين إداريين: هو متصرفية القدس المستقلة، وقد ارتبطت بوزارة الداخلية في الأستانة، وكانت قصبة بئر السبع والخليل وغزة ويافا تابعة لها بالإضافة إلى بيت لحم وأريحا اللتين كانتا ناحيتين. وقد خصت القدس بهذا المركز نظراً إلى منزلتها المقدسة، ولأن أكثر الأماكن المقدسة تقع في هذا الجزء من فلسطين. وقد التقت

(٢٩) المتصرفية وحدة إدارية تلي الولاية مباشرة في الأهمية والمساحة، وتعلق الدولة العثمانية أهمية خاصة على هذه الوحدة الإدارية مثل متصرفية لبنان ومتصرفية دير الزور على الفرات وكانت خاضعة للعشائر البدوية. راجع: الخولي، حسن صبري (دكتور) المصدر السابق، ص ٤٧.

(٣٠) الديب، محمد محمود، حدود فلسطين: دراسة تحليلية لوثائق الإنتداب، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٩، ص٨. وأيضاً: الخولي، حسن صبري (دكتور)، المصدر السابق، ص ٤٧ ـ ٤٨. وكذلك أنطونيوس، جورج، يقظة العرب، ترجمة د. ناصر الدين الأسد ود. إحسان عباس، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤، ص ١٣٢ - ١٣٣.

أصدر السلطان عبدالحميد الثاني في ٢٧ تشرين أول ١٨٤٠ فرمانه الشهير المتعلق بـ «تهمة التشهير الدموي» الذي ينص ما يلي: «ومن أجل الحب الذي نكنه لمواطنينا فإننا لا يمكن أن نسمح للجماعة اليهودية (الذين ثبتت براءتهم من الجريمة المدعاة ضدهم) أن تقلق أو تعذب كنتيجة لاتهامات ليس لها أقل أساس من الحقيقة». راجع: Guleryuz, Naim, «The History of the Turkish Jews», op.cit., p.32.

حدود متصرفية القدس الجنوبية بالحدود المصرية في سيناء[٣١].

أما فيما يتعلق بشمال فلسطين فكان يتبع لواءين: لواء نابلس ومن أعماله طولكرم وجنين وطوباس وبيسان، ولواء عكا ومن أعماله صفد وطبريا والناصرة وحيفا. ونتيجة لطلبات بعض المؤسسات المسيحية الأجنبية فقد ضمت الناصرة إلى متصرفية القدس مدة قصيرة[٣٢].

وعند خروج الأتراك عن بلاد الشام، كان يقسم إلى ثلاث ولايات وهي دمشق وحلب وبيروت وثلاثة ألوية مستقلة أي ولايات صغيرة تدار من قبل الباب العالي مباشرة، وهي القدس ولبنان ودير الزور. واصطلح في فلسطين أولاً على جعلها أربعة ألوية وهي كالآتي:ـ

القدس ويافا والجليل والسامرة واللواء الشمالي. وجعلت المدن الأربع دمشق

(٣١) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، المصدر السابق، ص ٤٥ وكذلك قاسمية، خيرية (دكتورة)، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ ـ ١٩١٨، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٣، ص ٩.

اعتبر الأتراك مدينة القدس من المدن المهمة لفلسطين ضمن الإقليم العثماني. وعلى هذا الأساس، منحت السلطة العثمانية وضعاً إدارياً خاصاً منذ عام ١٨٨٧، للأهمية الدينية والدولية التي تمتعت بها. وقد أعاد الأتراك تنظيم القدس في حقبتين هما ١٨٨٧ و ١٨٨٨ لإدارة مستقلة.. وهذا يعني أن مدينة القدس ربطت بالأستانة عاصمة الدولة العثمانية بدلاً من وضعها تحت سيطرة والي المقاطعة. راجع في هذا الصدد:

Henry Cattan, The Question of Jerusalem Thired World Centre For Research and Publishing, London, 1980, p.24.

(٣٢) وفي الواقع، إنه إلى نهاية القرن التاسع عشر لم تكن هناك وحدة إدارية فردية، ولكن كانت هناك متصرفية القدس، ومجموعة من السناجق مثل نابلس وعكا، وأصبحت هذه السناجق، جزءاً من ولاية الشام حتى عام ١٨٨٨، ثم أدمجت بولاية بيروت الجديدة. راجع:

Mandel, Neville., Ottoman Policy and Restrictions on Jewish Settlement in Palestine: 1881–1908, op. cit., p. 312.

وحلب وحماة وحمص وما يتبعها دولة قسمت إلى عدة ألوية وهي الكرك وحوران ودمشق وحمص وحماة ودير الزور وحلب والاسكندرونة، أما لواء اللاذقية فإنه أصبح مستقلاً[٣٣].

وعلى الرغم من هذه التقسيمات الإدارية، واعتبار فلسطين جزءاً من بلاد الشام، إلا أن فلسطين كانت لها خصوصية معينة، حيث كان لها مفهوم عربي جغرافي، ترجع جذوره إلى أسباب دينية مرتبطة بمعنى الأراضي المقدسة، بالإضافة إلى ذلك نجد أن هنـاك عوامل تاريخية تخص تطور الجهاز الإداري الذي اختبرته المنطقة منذ الفتح الإسلامي. إلا أن مفهوم فلسطين أصبح جلياً وواضحاً بالإضافة إلى الأسباب الدينية والتاريخية، منذ أن حاولت الصهيونية أن تتغلغل إليها، كل ذلك قد أدى إلى اتخاذ موقف موحد من جانب العرب تجاه فلسطين[٣٤].

أما فيما يتعلق بالناحية العسكرية، فإن فلسطين كانت جزءاً من القيادة العسكرية العامة لسورية. حيث كان الجيش الثامن في نهاية حكم السلطان عبدالحميد الثاني يشرف على سوريا، وكان قائد هذا الجيش برتبة مشير مقره العام دمشق. إلا أنه منذ قيام الثورة الدستورية في عام ١٩٠٨، أصبحت مهمة الإشراف على سوريا من مهمات الفيلق الرابع وكان قائده ضابطاً برتبة فريق.

أما قائد الجند في متصرفية القدس فكان ضابطاً برتبة فريق أيضاً. إلا أن رئاسة الجند في نابلس وعكا كانت لميرالاي. أما فيما يتعلق بالناحية القضائية، فنرى أنه كان في كل مركز لواء محكمـة بداية. ولكن الأحكـام التي كانت تصدرها هذه المحاكم تستأنف في محكمة الاستئناف في بيروت. وعند قيام حركة الإتحاد والترقي عام ١٩٠٩، أوجـدت حكـومـة البـاب العـالي محكمة استئناف تتعلق بمتصرفية

---

(٣٢) علي، محمد كرد، المصدر السابق، ص ٢٢٩.

(٣٤) قاسمية، خيرية (دكتـورة)، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨-١٩١٨، المصدر السابق، ص ٩.

القدس. كما كانت هذه المحكمة مرجعاً إستئنافياً لمحاكم البداية في لواء نابلس أيضاً[٣٥].

وبعد إعلان دستور عام ١٨٧٦، وإجراء الإنتخابات النيابية، قام يوسف ضيا الخالدي وذلك في عام ١٨٧٨ بتمثيل القدس في مجلس المبعوثان. إلا أن الدستور علق وظل كذلك حتى عام ١٩٠٨. وعند إعادة الدستور بعد حركة عام ١٩٠٨، أصبح نصيب متصرفية القدس المستقلة عضوين،حيث تم انتخاب كل من سعيد الحسيني وروحي الخالدي نائبين عن المنطقة[٣٦].

أما من الناحية التعليمية، فنرى أنه أنشئت مدارس إبتدائية ومتوسطة، أما الثانوية منهـا، فإنها إقتصرت على مراكز الولايات. وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت هناك مدارس أخـرى قامت الجمعيات التبشيرية بإيجـادهـا مثل مدرسة المطران غوبان ومـدرسـة القـديس جورج وشميت ودار الأيتـام السـورية (شنلر) في القدس ودار المعلمين الروسية في الناصرة ودار المعلمات الروسية (بيت جالا). وقد كان طلاب فلسطين يذهبون إلى إستانبول وفرنسا وبريطانيا لإتمام دراستهم. وعليه نرى أنه عند إنتهاء السيطرة العثمانية، ومجيء الإدارة البريطانية، كان في فلسطين عدد كبير ممن درسوا القانون والإدارة والطب، حيث قامت الإدارة المذكورة بإناطة الوظائف الإدارية والقضائية بهؤلاء[٣٧].

---

(٣٥) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٣٦) المصدر السابق، ص ٤٧.

(٣٧) المصدر السابق، ص ٤٧.

المبحث الثاني

محاولات اليهود الاستيطانية في فلسطين

بدأ اليهود يعدون للهجرة إلى فلسطين، وذلك منذ القرن التاسع وقد بدأت الجهود في تأثير اليهود على البيوتات المالية في الولايات المتحدة وآسيا وأوربا[٣٨].

بالإضافة إلى ذلك، كانت الموجة اليهودية التي هاجرت إلى مدينة أزمير - في تركيا الغربية - من البلدان الأوربية عن طريق إيطاليا في القرن التاسع عشر لها أثرها الكبير في التجارة التركية في تلك الحقبة الزمنية، لأنهم أصبحوا الوسطاء التجاريين بين التجار الأتراك والأوربيين، حيث كانت المعاملات التجارية تتم عن طريق هؤلاء اليهود[٣٩].

(٣٨) إن علاقة اليهود بفلسطين قد إنقطعت عنها منذ أن طردهم عنها هارديان إمبراطور الدولة الرومانية سنة ١٣٥ ميلادية، وقد عاش اليهود في فلسطين حقبة قصيرة جداً، وقد استمر اليهود منتشرين خارج فلسطين طوال أكثر من ثمانية عشر قرناً. راجع: قاسمية، خيرية، (دكتورة)، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨-١٩١٨، المصدر السابق، ص ٢٢ - ٢٣. وكذلك الخولي، حسن صبري (دكتور) المصدر السابق، ص٤٨.

(٣٩) ساهم اليهود الأتراك في وضع الحجر الأساسي للكيان الصهيوني منذ أكثر من أربعمائة عام، حيث استغل اليهودي التركي «يوسف ناجي» علاقته بالسلطان سليمان القانوني لإصدار فرمان بإسكان حوالي خمسة آلاف يهودي بالقرب من بحيرة طبريا بعد أن أصبح والياً على قبرص بعد فتحها في عام ١٥٣٥. للمزيد من التفاصيل راجع: Bucun op. cit.,

وقد جاءت معاهدة عام ١٨٥٦[٤٠] التي عقدت بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية على أثر الحرب الضروس بينهما نصراً مؤزراً لليهود القاطنين في تركيا العثمانية، لأنها أعطت للأقليات حق حرية العمل والضمير، فأخذ اليهود يخططون منذ ذلك اليوم من أجل تحقيق هدفهم المنشود نحو إقامة الدولة اليهودية في فلسطين[٤١] بالإضافة إلى هجرة اليهود من روسيا القيصرية إلى الدولة العثمانية وبأعداد كبيرة وذلك منذ السياسة التي اتبعتها روسيا ضد اليهود في المدة الواقعة بين ١٨٨١-١٨٨٢[٤٢].

وهذا يعني أن الموقف الرسمي للحكومة العثمانية خلال هذه المدة - أي قبل

(٤٠) نصت معاهدة عام ١٨٥٦ التي عقدت في باريس بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية، بوساطة كل من فرنسا وبريطانيا على منح الأقليات القاطنة في الدولة العثمانية حرية العقيدة والضمير. فإستغل اليهود هذه الحرية لتشكيل الجمعيات الخاصة بهم تحت ستار إجراء الطقوس الدينية فأصبحت تلك الجمعيات مراكز للتجمع العنصري في تركيا العثمانية وتحولت فيما بعد إلى مراكز للماسونية. راجع في هذا الصدد:

Tanyu, Hikmet, «Tarih Boyunca Yahudiler ve Turkler, op. cit., s. 201; Bucun, op. cit.»

(٤١) Bucun, op. cit.,

(٤٢) من الممكن تصنيف اليهود في فلسطين وذلك إعتباراً من عام ١٨٨٢ إلى قسمين:-

١- سفارديم - يهود الشرق - حيث كان هؤلاء من رعايا الدولة العثمانية، ويتحدثون باللغة العربية، وقد تمتعوا باستقلال داخلي واسع في شؤونهم الدينية.

٢- الاشكنازيم - يهود الغرب - ويتمثل هؤلاء في يهود أوربا وهم من الرعايا الأوربيين، وقد تركزوا في المدن المقدسة. وبعد عام ١٨٨٢، جاء عدد من يهود أوربا للمشاركة مع الطائفة الدينية القديمة، ولكن أكثر من ٥٠٫٠٠٠ يهودي قد بقوا في فلسطين.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن يهود سفارديم في الدولة العثمانية لعبوا دوراً مهماً بالمقارنة مع يهود إشكنازيم في الحياة الإقتصادية في المدن الرئيسة من الدولة. للمزيد من التفاصيل راجع:

Mandel, Neville J.,« Ottoman Practice as Regards Jewish Settlement in Palestine: 1881-1908, Middle Eastern Stedies, Vol. 11, No.1, January, 1975, p. 43.

بروز الحركة الصهيونية ـ اتسم بالتسامح. وبالمقارنة مع التسامح العثماني، نرى أن اليهـود في الدولة العثمانية كانوا يعرفون الشيء القليل عن الفكر الصهيوني ونوايا الايديولوجية الصهيونية في فلسطين. وإستناداً إلى التقرير الذي كتبه أحد جواسيس الحركة الصهيونية في فلسطين وذلك في عام ١٩١٤، أكد فيه أن: «هناك حديث ضد السامية في فلسطين»(٤٣).

تناول النـاس الحديث عن اليهود في فلسطين وبصورة متقطعة وذلك في بداية عام ١٨٣٠. إلا أن هذه الأمور أصبحت واضحة بعد الحركة التي قام بها الدروز في صفد ضد الحكم العثماني وذلك في عام ١٨٣٨. حيث قامت السلطة العثمانية بالهجـوم على اليهود، ومع ذلك فقد قام عربي من صفد يدعى محمد مصطفى بالتوسط عند المتصرف بغية تهدئة هذه الحادثة(٤٤).

وفي الحقيقة أن حكومة الباب العالي لم تدرك النوايا الحقيقية لليهود بعد مرور خمس سنوات على طرد اليهود من روسيا القيصرية. وعلى ذلك فقد قامت حكومة الباب العالي بإصدار تعليماتها للمتصرفين في القدس ويافا وذلك في السماح لليهود بالدخول إلى فلسطين بصفة حجاج أو سياح. علاوة على ذلك فإنها أكدت في هذه التعليمات أن اليهودي الذي يصل إلى يافا عليه أن يمول الخزينة العثمانية بخمسين ليرة تركية، واعتبرت ذلك بمثابة تعهد من اليهودي على تركه فلسطين في مدة لا تتجاوز الواحد والثلاثين يوماً(٤٥).

---

(٤٣) Zureik, Eliat T., op. cit., pp. 31-32.

(٤٤) Hayamson, A., The British Consulate in jerusalem in Relation to the Jews in Palestine, London, p.558.

(٤٥) بعثت حكومة الباب العالي مذكرة رسمية إلى رؤساء البعثات الدبلوماسية في القسطنطينية في ٢١ كانون الثاني عام ١٨٨٣ بنص قرار مجلس الوزراء العثماني بمنع إستيطان اليهود الروس في فلسطين. وأمام ضغط الدول الأوربية أصدر الباب العالي سنة ١٨٨٤ تعليمات جديدة بالسماح لليهود في دخول فلسطين من أجل زيارة الأماكن المقدسة بشرط أن لا تزيد

وكان يكتب على جواز اليهودي عندما ينال سمة إذن الدخول للأرض المقدسة عبارة تشير إلى أن صاحب هذا الجواز ذاهب إلى القدس للزيارة والعبادة ولا ينوي الإقامة في فلسطين، وحتى أن اليهود المقيمين في أملاك الدولة العثمانية في مصر وسوريا والعراق مثلاً لم يكن لهم الحق في أن يهاجروا إلى فلسطين، بل يذهبون إلى الزيارة فيها لمدة محدودة وبإذن خاص، وقد أيد الباب العالي هذه القرارات بقـرارات أخرى مماثلة ومؤكدة لها في سنة ١٩٠٠، وكان ذلك سبباً في احتجاج إيطاليا، التي أكـدت بأن هذه القـرارات تعتبـر قاسية وأنهـا لا تميز بين رعـاياها المسيحيين واليهود، كما واحتجت الولايات المتحدة على ذلك عن طريق سفيرها في الأستانة وذلك في ٢٨ شباط عام ١٩٠١(٤٦).

ولكن من ناحية أخرى، أعلن متصرف القدس، بأنه ليس من أهداف الباب العالي منع اليهود من الصلاة والعمل في القدس، ولكن الحقيقة، نرى أن المتصرف قام بمنعهم من الاستيطان فيهـا، ونتيجـة لهـذه التـطورات، اتجه المتصرف إلى القسطنطينية للتشاور مع المسؤولين. وبعد التشاور، أعلن كل من وزير الداخلية ووزير الشؤون الخـارجية بأن آراء المستشـارين في الباب العالي تؤكد على غلق فلسـطين أمـام رجال الأعمال اليهود، والسماح للأوربيين بممارسة التجارة بحرية ضمن الدولة، ومنح جوازات السفر عن طريق القناصل العثمانيين(٤٧).

إن موضوع هجرة اليهود إلى فلسطين قد تبلور كثيراً، منذ أن أصدر هرتزل كتابه

= إقامتهم على ثلاثين يوماً. إلا أن الدول الأوربية بدأت تضغط على الباب العالي بغية تمديد الإقامة للحجاج اليهود إلى ثلاثة شهور بدلاً من شهر واحد، وقد وافقت الحكومة العثمانية على طلب هذه الدول وذلك في عام ١٨٨٧. راجع في هذا الصدد:ـ الشناوي، عبدالعزيز محمد (دكتور)، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، الجزء الثاني، المصدر السابق نفسه، ص ٩٧٦ ـ ٩٧٧.

(٤٦) علي، محمد كرد، المصدر السابق، ص ٢٠٢.

(٤٧) Mandel, Neville J., «Ottoman Policy and Restriction on Jewish Settlement: 1881-1908», op. cit., p. 322

الموسوم بـ «الدولة اليهودية» عام ١٨٩٥، حيث جاء في جزء منه: «لقد كان ليهود العالم فيما مضى كيان خاص وثقافة خاصة وتاريخ مشترك. وبذلك تتوافر فيهم العناصر اللازمة لتكوين أمة. وعليه فإن المسألة اليهودية ليست مسألة دينية، إنما هي مسألة قومية. هي لا تحل إلا بقيام دولة يهودية مستقلة يتم تحقيقها عن طريق النشاط السياسي على المسرح الدولي .. يكفي أن يعطونا قطعة من الأرض تتناسب مع حاجات شعبنا وتكون لنا السيادة عليها. ونحن لا نريد أكثر من ذلك»[٤٨]. ويردف هرتزل قائلاً: «نحن لا نريد أن نذهب إلى فلسطين بأساليب خداعة، لا نريد أن ندخلها تهريباً. بل أن نذهب إليها جهرة ونحن آمنون نريد أن نستقر فيها ونحن مطمئنون لا نريد أن نبدأ شيئاً من أعمالنا الاستعمارية في فلسطين قبل الحصول على ترخيص قانوني بدخولنا إليها»[٤٩].

وقد عبر هرتزل صراحة عن هذا الهدف عندما أعلن: «.. وتتجه مساعينا الآن للحصول على براءة «اعتراف» من الحكومة التركية، بحيث تأتي هذه البراءة في ظل سيادة صاحب الجلالة السلطان العثماني. وحين تصبح هذه البراءة في حوزتنا، شريطة اشتمالها على الضمانات القانونية. وسوف نجلب للحكومة التركية منافع لقاء

---

(٤٨) Stewart, Desmond, Herzal, Theodor, Artist and Politican, London, 1974, Teodor Herzl, «The Jewish State», Scoups Publishing Co, New York, 1943, pp. 22, 24, 38.

(٤٩) Stewart, op. cit., p. 296.

ولكن هرتزل يناقض نفسه عندما كتب في يومياته عام ١٨٩٥ قائلاً: «سوف نحاول تسريب السكان المعدمين عبر الحدود بتأمين مجالات الإستخدام لهم في بلدان العبور، على أن تسد أمامهم كل مجال للعمل في بلادنا. العمليتان، عملية نزع الملكية وعملية إبعاد الفقراء، يجب تنفيذها بحذر وإحتراس وتكتم. «لا بأس أن إعتقد أصحاب العقارات والأراضي بأنهم يغشوننا، فيبيعوننا الأشياء بأسعار تفوق قيمتها المستحقة. نحن لن نبيعهم شيئاً منها على الإطلاق متى جاءوا لاسترداده بالشراء». راجع: أبو لغد، إبراهيم (دكتور) تهويد فلسطين، ترجمة الدكتور أسعد رزوق، مركز الأبحاث، ١٩٧٢، ص ١٨٥.

منحنا هذه البراءة»[٥٠].

وكان هرتزل يعبر بكلماته هذه عن الرأي السائد في المنظمة الصهيونية آنذاك أي الرأي السياسي الذي كان يؤكد الحصول على موافقة الدول الكبرى على إستيطان اليهود لفلسطين[٥١].

وفي الواقع كانت الحركة الصهيونية تعرف أن السلطان عبدالحميد الثاني كان بحاجة إلى المال في هذه الحقبة، لذا نرى أن الحركة المذكورة استغلت ذلك بغية دفع بعض العوائل الفقيرة اليهودية إلى شراء الأراضي في فلسطين. ولتحقيق ذلك كانت هناك خطوتان أمام الدبلوماسية الصهيونية هما:-

١- قيام الحركة الصهيونية بإقناع أثرياء اليهود لانفاق ثروتهم خدمة للحركة المذكورة.

٢- إقناع القوى العظمى بممارسة بعض الضغوط على الدولة العثمانية[٥٢].

وتجدر الإشارة في هذا المجال، إلى أنه وجدت في تلك الحقبة قوتان كبيرتان هما ألمانيا وبريطانيا. وقد بدأ هرتزل التأكيد على ألمانيا لخدمة أغراض الصهيونية بعد أن استطاعت الصهيونية تغيير موقف بريطانيا إزاء الحركة الصهيونية[٥٣].

ولتحقيق هذا الغرض فقد سلك اليهود طريقين[٥٤].

١- إرسال وكلائهم العسكريين إلى فلسطين لأجل غض النظر عن هجرة اليهود إلى تلك الديار.

---

(٥٠) الدراسات الفلسطينية، العدد ٢١ اذار - نيسان، ١٩٧٧، ص ٢١.

(٥١) المصدر السابق، ص ٢١.

(٥٢) Weizmann, Chaim, Trial and Error, London, 1949, pp. 62–63.

(٥٣) Ibid.,

(٥٤) Bugun, op. cit.,

٢- العمل مع الصهيونيين في العالم كافة والمنظمات المؤتمرة بأمرهم من أجل دفع العالم إلى أتون حرب عالمية كبرى، أو كما يقول الصهيوني البريطاني دنيس الدرسميث في كتابه «الحقائق البريطانية» أن اليهود سيحققون هدفهم في العودة إلى أرضهم الموعودة في نهاية الحرب العالمية الأولى التي دفعنا إليها العالم والتي ستنتهي بإنحلال الدولة العثمانية ليكون اليهود أصحاب الأراضي المقدسة.

وقد قامت أولى هذه المحاولات، من يهود أوربا الشرقية وخصوصاً يهود رومانيا[٥٥]، حيث حاول هؤلاء التدفق إلى فلسطين، إذ أن الدولة العثمانية لم تدرك خطر هؤلاء في المستقبل على فلسطين، وعلى ذلك فقد أدرجت في أرشيف وزارة

---

(٥٥) إتخذت رومانيا إجراءات صارمة ضد اليهود، ولا سيما فيما يتعلق منها بأوضاعهم الاقتصادية، تجاوزت الإجراءات التي اتبعتها روسيا القيصرية. وقد أصبحت هذه الأمور واضحة بعد أن استقلت رومانيا في عام ١٨٧٨، حيث رفضت منح الجنسية الرومانية لليهود، إذ اعتبرتهم غرباء فيها. ولكل هذه الأسباب فإن رومانيا شجعتهم على الهجرة إلى الخارج بغية التخلص منهم. ويجب أن نؤكد في هذا المجال على أن السلطات الرومانية قامت بالسعي لإعفاء اليهود المهاجرين من دفع الرسوم المترتبة على إجراءات الهجرة، تسهيلاً لعملية الهجرة وتشجيعها.

ونتيجة لذلك فقد اتجه يهود رومانيا إلى الدولة العثمانية في عام ١٨٩٩. وبناء على ذلك فقد طلب مجموعة من يهود رومانيا، ويزيد عددهم على المائتين من الباب العالي إمتيازات بغية أن تخصص لهم الحكومة أرضاً يستقرون فيها. وكانت الغاية من ذلك استيطانهم في فلسطين، الأمر الذي أدى إلى أن تقوم الدولة العثمانية بإرسال مذكرة شفهية إلى البعثات الأجنبية، أكدت فيها بأن حكومتها سوف لن تسمح لاستقبال السفن التي تقل اليهود في الأستانة. ودعت المذكرة شركات السفن لعدم حمل اليهود. وقد رفضت الدول الأوربية بما فيها روسيا القيصرية هذه المذكرة. راجع في هذا الصدد:

Mandel, Neville J., «Ottoman Policy and Restrictions on Jewish Settlement in Palestine: 1881–1908»,op.cit., p.327.

وكذلك: جريس، صبري، المصدر السابق، ص ١٠٣.

الخارجية العثمانية قائمة سميت «وضع اليهود» في الدولة العثمانية عام ١٨٨١، وفي هذا الصدد يقول لورنس أولفنت الكاتب الانكليزي في عام ١٨٧٩: «أنه يوجد برنامج لاستيطان اليهود على المنحدر الشرقي لنهر الأردن»[٥٦].

وبتشجيع من بعض المنظمات الصهيونية سافر لورنس اوليفانت إلى القسطنطينية لإقناع السلطان عبدالحميد، على منح براءة تخولهم الاستعمار والاستيطان[٥٧].

بالاضافة إلى جهود اوليفانت، قام جماعة من رجال الأعمال الانكليز والألمان بغية مفاوضة الحكومة العثمانية للحصول على الامتياز لبناء سكة حديد من Smyrna إلى بغداد، وكان هذا جزءاً من المخططات بغية إسكان اليهود على طول هذه المنطقة[٥٨].

ونتيجة لهذه التطورات، أعلن مجلس الوزراء البريطاني في تشرين الثاني عام ١٨٨١: «إن الهجرة اليهودية ستؤدي إلى استقرار اليهود كجماعات متفرقة في الأراضي التركية بإستثناء فلسطين. ويكون تنظيم ذلك تابعاً للقوانين العثمانية وبذلك يصبح هذا الموضوع من اختصاص الدولة العثمانية»[٥٩].

وفي هذا الصدد أكد القنصل العام العثماني في ٢٨ نيسان ١٨٨٢ أن «الحكومة العثمانية قد أبلغت جميع اليهود الراغبين في الهجرة إلى تركيا، ولكن من دون السماح لهم للاستيطان في فلسطين. وهذا يعني أنه يحق لليهود الهجرة إلى مقاطعات أخرى من الدولة والاستيطان حسب رغبتهم بإستثناء فلسطين شريطة أن يصبح هؤلاء من رعايا الدولة العثمانية»[٦٠].

---

(٥٦) Ibid., p. 312.

(٥٧) حلاق، حسان علي، المصدر السابق، ص ٥٨، ٩٠

(٥٨) Mandel, Neville J., «Ottoman Policy and Restrictions on Jewish Settlement in Palestine : 1881–1908», op. cit., p.312.

(٥٩) Ibid., p.313; Eban, op. cit., p.116.

(٦٠) Ibid.,

وعلى الرغم من تأكيد الحكومة العثمانية على هجرة اليهود، إلا أنها لم تكن مطمئنة إلى المهاجرين اليهود الأوروبيين[61]، ولا سيما أنها كانت في أعداد كبيرة نسبياً. إذ عرفنا أن الأتراك كانوا يكنون العداء للأوروبيين منذ القرن التاسع عشر[62].

---

(٦١) بدأ اليهود بالتدفق إلى فلسطين وهم قادمون من أوربا وذلك إعتباراً من عام ١٨٨٢، على شكل جماعات، وقام هؤلاء بالعمل في المزارع حاملين معهم التجربة الأوربية في الزراعة. وقد استقروا في المدن والأرياف على حد سواء. راجع في هذا الصدد: Landau, op. cit., p. 17.

(٦٢) بموجب «نظام الامتيازات» الذي منحته الدولة العثمانية للأقطار الأوربية أنه يحق للأوربيين حرية السفر والإنتقال إلى الدولة العثمانية بحرية تامة، ويبدو أن المساعدات التي حصل عليها المستوطنون اليهود من خلال استغلال نظام الامتيازات، كانت مهمة لدرجة دفعت مؤرخ الهاغاناه إلى تقييمها بقوله: «إننا لا نبالغ إن قلنا، أنه لولا نظام الامتيازات، لما استطاع الييشوف الجديد الصمود في البلد، ولما خرج حتى الييشوف القديم عن كونه طائفة شرقية على غرار يهود إيران وأفغانستان».

ولقد لعب القناصل استناداً إلى نظام الإمتيازات دوراً مهماً للغاية في تسهيل عمليات الاستيطان الصهيوني في فلسطين في بداية عهدها، بتسهيل دخول الأجانب من مواطني دولهم إلى البلد، أو بمساعدتهم على استملاك الأراضي والحصول على الرخص الضرورية لتأمين إقامة الأبنية والمنشآت ثم المستوطنات.

ونتيجة لذلك فقد خاطب مجلس الإدارة في القدس وزير الداخلية حول الإجراءات التي أدت إلى إقامة الأبنية الجديدة في المستعمرات. وتحت هذه الظروف خاطب أيضاً مجلس الإدارة في القدس الوزير الأعظم في الأستانة حول موقفه من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فقد أجاب الوزير المذكور عن عدم إقتناعه بوجود يهود مستقرين في فلسطين.

ولكل هذا فقد قام وزير خارجية الدولة العثمانية بإرسال مذكرات للبعثات الدبلوماسية الأجنبية في الأستانة والتي أشارت جميعها إلى إجراءات عام ١٨٨٤ والخاصة بتقييدات هجرة اليهود إلى الدولة العثمانية، إلا أن هذه المذكرات أكدت من جانب آخر حول إمكانية زيارة اليهود السياح إلى فلسطين شريطة أن لا تتجاوز ثلاثة أشهر.

وقد قدم سعيد باشا وزير خارجية الدولة العثمانية مذكرة إلى الدول الكبرى في نيسان عام ١٨٨٧ أكد فيها على مساوىء نظام الامتيازات، حيث حققت القوى الكبرى مطامع لا =

وقد أدى هذا الأمر، إلى أن يقوم سيلاميرل القنصل الأمريكي في القدس بارسال تقارير إلى الحكومة الأمريكية جاء فيها: «إن تركيا المسلمة غير راضية بإقامة دولة لليهود في فلسطين، ولا سيما أن فلسطين بلد فقير، وإذا استمرت الهجرة في التدفق فإن ذلك يعتبر وبالاً على اليهود وعلى السكان الأصليين معاً»[63].

وفي نفس الوقت، كتب القنصل البريطاني في القدس تقريراً إلى حكومته وذلك في عام ١٨٩٢، جاء فيه «أن التعليمات الصادرة من حكومة الباب العالي، تفيد عدم السماح لليهود بالاستقرار في القدس، أما فيما يتعلق بالحجاج اليهود فإن ذلك

= تعد ولا تحصى، كما طلبت المذكرة من القوى العظمى سحب تأييدها وحمايتها لليهود في الدولة العثمانية. وقد استغلت القوى الكبرى هذا النظام للتأثير على الدولة العثمانية، بينما حاولت الأخيرة إلغاء هذا النظام من جانبها. وتحت هذه الظروف قام سفراء الدولة العثمانية بمخاطبة القوى الأوربية بعدم السماح لليهود في زيارة فلسطين. راجع:

Mandel, Neville J., «Ottoman Policy and Restrictions on Jewish Settlement in Palestine: 1881–1908», op. cit., pp. 315–326; Oke, Bulent Kemal, «Zionists and the Ottoman Foreign Ministry during the Reign of Abdulhamid II (1876–1909)», Arab Studies Quarterly, Vol. 2, N0. 4, 1980, p.373.

وكذلك: جريس، صبري، المصدر السابق، ص ١٠٧.

عندما استولت جمعية الاتحاد والترقي الحكم، حاولت إلغاء الامتيازات الأجنبية، ولكن الضغط الذي مارسته الدول الغربية وظروف الحرب في البلقان حالت دون القيام بمثل هذا الإجراء. ولكن عند نشوب الحرب العالمية الأولى أبلغ الصدر الأعظم سفراء الدول الأجنبية يوم التاسع من شهر أيلول ١٩١٤ عزم الحكومة العثمانية على إلغاء الامتيازات بدءاً من أول تشرين الأول. وقد رفضت الدول الأجنبية قبول هذا القرار، ولكن رفضهم لم يغير شيئاً من عزم الدولة العثمانية على الإلغاء، وبالفعل ألغيت الامتيازات الأجنبية في اليوم المحدد له. وفيما بعد ألغيت رسمياً بناء على المادة الثامنة والعشرين من معاهدة لوزان في ٢٤ تموز ١٩٢٣ - راجع: زين نورالدين زين، نشوء القومية العربية، المصدر السابق، ص ٢١٨.

(٦٣) حلاق، حسان علي، المصدر السابق، ص ٩٧.

مسموح لهم شريطة أن لا تتجاوز إقامتهم فيها أكثر من شهرين»[٦٤].

وفي الحقيقة فإن هناك اعتبارات معينة أمام معارضة الدولة العثمانية لاستيطان اليهود في فلسطين، وتتركز هذه الاعتبارات في نقطتين رئيسيتين هما[٦٥].

١- بعد أن وافقت السلطات الروسية على الترخيص القانوني لحركة أحباء صهيون[٦٦]، بدأت تضغط على الحكومة العثمانية لقبول نشاط هذه الحركة في

---

(٦٤) Dickson to E. Fane, 14 February, in Fo. No. 6, 1892,

(٦٥) Mandel,Neville J., «Ottoman Policy and Restrictions on Jewish Settlement in Palestine: 1881–1908», op. cit., p. 315.

وكذلك: عبده، علي إبراهيم، قاسمية، خيرية (دكتورة)، يهود البلاد العربية، المصدر السابق، ص ص١٨-١٩، ٢٦. وراجع أيضاً: السوداني، صادق حسن. النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤-١٩٥٢، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠، ص ص ٩-١٠.

(٦٦) تأسست حركة أحباء صهيون في عام ١٨٨٢ من خمسة وعشرين طالباً روسيا من جامعة «خاركوف». وقد نشأت هذه الجمعية نتيجة لموقف حكومة القيصر من اليهود الروس وذلك قبل سنة من تأسيس هذه الجماعة. وقد قامت بإصدار منشورات تؤكد على الهجرة إلى فلسطين وقد تزعم هذه الحركة ليون بنسكر صاحب كتاب «التحرر الذاتي» الذي دعا فيه إلى تجميع يهود العالم في دولة خاصة بهم. ولما وقفت الدولة العثمانية موقفاً مضاداً لحركة ومطلب هذه الجماعة، اتجهت أنظارها إلى الهجرة من شرق أوربا إلى غربها وإلى الولايات المتحدة، وبلغ عدد المهاجرين اليهود الذين كانوا يفرون إلى الولايات المتحدة سنوياً إلى ما قبل عام ١٨٨٢ بعشرين ألف مهاجر يهودي، وتضاعف هذا العدد بعد هذا التاريخ. وقد عبرت هذه الحركة بأن ليس لها أغراض سياسية كما لم تكن لها أغراض قومية. وقد نشطت أعمال هذه الجماعة إعتباراً من نهاية حزيران عام ١٨٨٢، حيث قامت هذه الجماعة بإرسال أربعة عشر شخصاً إلى استانبول ويافا. وفي الحقبة نفسها فقد أبرقت الحكومة العثمانية لمتصرف القدس تأمره بعدم السماح لأي يهودي روسي أو بلغاري أو روماني النزول من السفينة إلى يافا وحيفا وحبرون وصفد وطبريا والذهاب إلى أماكن أخرى من الدولة العثمانية عن طريق السفن. =

داخل الدولة العثمانية، مؤكدة أن هذه الحركة واسعة وقوية أكثر من الحجم الحقيقي لها. وقد بالغت الصحافة الأوربية في أوربا في عدد هؤلاء وتحت هذه الظروف، قامت حركة محبي الصهيون على إرسال مندوبين إلى القسطنطينية، ليطلبوا الالتماس بإسم ألف يهودي لإمكانية الهجرة اليهودية إلى الدولة العثمانية.

٢- أن المسألة اليهودية كانت مسألة روسية[٦٧]، وأن روسيا كانت العدوة الرئيسة للدولة العثمانية، حيث دخلت الأخيرة معها في القرن التاسع عشر أربعة حروب، بالإضافة إلى ذلك، فإن العثمانيين وضعوا مسؤولية القومية البلقانية على روسيا وذلك

= وفي هذه الحقبة بالذات فقد ظهرت جماعة أخرى شبيهة بحركة أحباء صهيون سميت بحركة Biluim ، وهي جماعة صغيرة من المشترين الصهيونيين الذين تدفقوا إلى فلسطين من روسيا.

وقد أعلنت كلتا الحركتين عن إخفاق أعمالها الإستيطانية في فلسطين وذلك في عام ١٩٠٣.

وقد وصف Lucas تجربة الجماعة الاستيطانية العثمانية قائلاً: «إن المشترين أنفسهم كانوا رأسماليين وإستيطانيين على حد سواء، واقتصرت مهمتهم على شراء الأراضي العربية. وكان أمام أعيننا في فلسطين مستودع رخيص من العمل الرخيص. وتحت مشروع بارون اليهودي أخذت هذه الجماعة على عاتقها نكهة الإستيطان الفرنسي في تطوير أفريقا الشمالية». راجع في هذا الصدد:

Zureik, Eliat, op cit., pp. 32-33; Ben – Gurion, Translated by Peretz Mic hel Bar-Zohar Kidron, London, 1977, pp.2-3.

وراجع أيضاً: مجلة الأرض المقدسة، الجزء ١٣، مطبوعات المكتبة الهاشمية بدمشق، (بلا)، ص ٤٤٢، وكذلك: الدراسات الفلسطينية، المصدر السابق، ص ٤٤٢. وأيضاً: سنقرط، داود عبدالعفو، اليهود في الوطن العربي، المصدر السابق، ص ١٢.

(٦٧) تجدر الإشارة في هذا المجال، إلى أن يهود روسيا اتبعوا كافة السبل والطرق غير القانونية، والأسماء المستعارة لشراء الأراضي في فلسطين. كما قام بلهيني رئيس وزراء روسيا بالضغط على السلطان العثماني للسماح لهجرة اليهود الروس إلى الدولة العثمانية. راجع في هذا الصدد: عطية، على امام، المصدر السابق، ص ١٥١.

في الحقبة الواقعة بين ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨. ولما كان أصحاب حركة محبي صهيون هم المنادون بالقومية اليهودية، لذلك لم ترغب الحكومة العثمانية بتعليم هؤلاء، الذي نشأوا على تربية روسية[٦٨].

وعلى الرغم، من أن الدولة العثمانية، كانت تؤكد على عدم استيطان اليهود في القسطنطينية إلا أن اليهود حاولوا معرفة النوايا الحقيقية للعثمانيين تجاههم، أملاً منهم بالهجرة إلى فلسطين.

ومع ذلك فقد كانت هناك جماعات من حركة محبي صهيون قد انتقلوا من أوديسيا إلى القسطنطينية، بغية الحصول على منح الأراضي في فلسطين لثلاثمائة مستعمرة. وقد وجد لورنس أوليفنت أن هناك في القسطنطينية حوالي مائتين من المهاجرين اليهود، وأكد على أن دخول هؤلاء إلى الدولة العثمانية يعني الحصول على الجنسية العثمانية، كما أن ذلك لا يعني فقط قبولهم للقوانين العثمانية، بل لا يعني الاستيطان في فلسطين. وقد اقترح أوليفنت للوزير الأمريكي في القسطنطينية بأن يقوم الأخير بتوضيح هذا الأمر لدى الحكومة العثمانية. ونتيجة لذلك فقد بعث أوليفنت برقية إلى الحكومة العثمانية من بوخارست أكد على الأمور السالفة الذكر[٦٩].

وقد بعث الجنرال والاس برقية مماثلة لبرقية اوليفنت إلى الحكومة العثمانية وذلك في ٦ حزيران من العام نفسه، حيث التقى بعد أيام مع وزير خارجية الدولة

---

(٦٨) وبالإضافة إلى حركة محبي صهيون، فقد لعب روتشيلد دوراً فعالاً بغية إستيطان اليهود في فلسطين وذلك منذ عام ١٨٨٢. راجع في هذا الصدد:

Ussis hkin, Aune, «In Falestine the Jewish Colonisation Association and a Rothschild», Middle Eastern Studies, Vol. 9, No. 3, 1973, pp. 347-349.

(٦٩) J. Mandel, Neville, «Ottoman Policy and Restrictions on Jewish Settlement in Palestine: **1881-1908**» op. cit.,p.313.

العثمانية. ودارت مباحثات بينهما حول هجرة اليهود إلى الدولة، شريطة عدم ذهابهم إلى فلسطين، وعلى شكل جماعات صغيرة والتخلي عن جنسيتهم الأجنبية، وأن يكونوا من رعايا الدولة العثمانية، بالاضافة إلى عدم تمتعهم بأي امتيازات خاصة، إضافة إلى سريان القوانين العثمانية عليهم[٧٠].

وعلى الرغم من ممارسة الضغط على الحكومة العثمانية من قبل الاقطار الأوربية، فإن الأولى لم تظهر قناعتها حول جميع هذه التوضيحات[٧١].

إن السفارات الأوربية في الأستانة كانت تؤيد هجرة اليهود إلى الدولة العثمانية، وموقف Nelidow السفير الروسي في الأستانة واضح في هذا المجال وذلك منذ عام ١٨٨٢. بالإضافة إلى تأييد وزير خارجية روسيا لجمعية «محبي صهيون»[٧٢].

وقد أخبر M. Fernandez رئيس التحالف العالمي الإسرائيلي وزير الداخلية العثماني معبراً عن قلقه وخوفه في أن اليهود من الممكن أن يشكلوا مشكلة بلغارية ثانية في حالة عدم اتخاذ الترتيبات اللازمة لتحسين وضعهم[٧٣].

وعلى الرغم من ممارسة الضغط على الحكومة العثمانية من قبل الأقطار

---

(٧٠). Ibid.,

(٧١) دلت المناقشات التي أثيرت عام ١٨٨٧ بأن الغالبية من المهاجرين كانوا من الطبقات المعدمة، وعليه فإن هؤلاء قد طالبوا بمنح امتيازات لهم في القدس، زد على ذلك أن اليهود كان لهم التهديد على النظام العام بسبب موقف الكنيسة منهم، حيث أن اليهود كما أكد على ذلك الوزير الأعظم كمال باشا كانوا يعتكفون في بيوتهم أيام عيدالفصح خشية قتلهم في الشوارع.

راجع: Ibid., p. 314.

(٧٢) Friedman, Isaiah, op. cit.p.40.

(٧٣) Ibid.,

الأوروبية، فإن الأولى لم تظهر قناعتها حول جميع هذه التوضيحات(٧٤).

وفي الحقيقة، أن هناك عوامل أخرى ساهمت في عدم موافقة الدولة العثمانية على هجرة اليهود إلى الدولة العثمانية، وهذه العوامل هي:-

١- خشية الدولة العثمانية من إمكانية نشوء مشكلة قومية أخرى فيها.

٢- لم تحاول الحكومة العثمانية توسيع القضايا المتعلقة بالسلوك السياسي الخارجي، ولا سيما الأوروبية منها.

٣- إن السلطان عبدالحميد كان يخشى موافقته لليهود علىٓ طلباتهم في فلسطين، حتى لا يفتح على نفسه باباً للمطالب المسيحية بحكم تبعية أراضيهم المقدسة للسيادة العثمانية، ولهذا فضل أن يرفض مطالب الصهيونية في فلسطين، حتى لا يفتح على نفسه مشاكل أخرى قد تثيرها الدولة المسيحية الكبرى(٧٥).

ونتيجة لهذه العوامل أخبر الوزراء العثمانيون Fernandez بأن الدولة العثمانية لا توافق على هجرة اليهود إلى سوريا وبلاد ما بين النهرين، مؤكداً له أن حكومته غير راغبة في نشوء القومية في الدولة العثمانية(٧٦).

وبعد مرور سنة على ذلك وضح وزير الشؤون الداخلية لـ Fernandez بأنه ينظر إلى المستعمرات اليهودية في فلسطين كموضوع سياسي، وعليه لا ينبغي بعد حوادث بلغاريا ورومانيا أن تنشأ قضايا أخرى في الدولة العثمانية(٧٧).

وقد أشار «كمال بك» أحد المسؤولين الأتراك في القدس في عام ١٨٨٨ إلى

---

(٧٤) Ibid., pp. 40-41.

(٧٥) بعيو، مصطفى عبدالله المصدر السابق، ص ص ٧٧ -٧٨.

(٧٦) Ibid., p. 314.

(٧٧) Ibid., p. 314.

التقرير الذي شاع إنتشاره في الخارج بأن اليهود في العالم، يحاولون تقوية أنفسهم في القدس أكثر من أي وقت مضى، وذلك لإعادة دولتهم المزعومة. ونتيجة لذلك فقد قامت الدولة العثمانية على تقوية الإدارة في القدس(٧٨).

إن النزاع بين العرب واليهود في بداية الأمر لم يأخذ طابعاً سياسياً، وذلك عند قيام اليهود بشراء الأراضي في فلسطين ودون التقيد بالاعراف المحلية. إلا أن هذا الموضوع أصبح ذا طابع سياسي وذلك في عام ١٨٩١، حيث أصبحت هناك معارضة سياسية في هذه الحقبة الزمنية، إذ قام مجموعة من وجهاء العرب في القدس بالالتماس من الحكومة المركزية في إستانبول لمنع اليهود من الهجرة إلى فلسطين ومنعهم من شراء الأراضي في القدس، كما وأكد هؤلاء بأن اليهود قاموا بشراء الأراضي من العرب المسلمين، وبالتدريج فإنهم سوف يحاولون السيطرة على التجارة المحلية.

وقد تحدث السلطان عبدالحميد الثاني في ٢٨ حزيران ١٨٩١ مقيماً محاولات اليهود إلى القدس قائلاً: «ليس من الجائز أن نسمح قبول اليهود في الدولة العثمانية، لأنهم طردوا من كل مكان، لأن قبولهم يعني بأن هؤلاء سوف يكونون حكومة يهودية في القدس. وما دامت هناك فكرة لإرسال هؤلاء إلى الولايات المتحدة، فمن باب أولى إرسالهم بواسطة السفن مباشرة»(٧٩).

---

(٧٨) Ibid.,

(٧٩) Ma'oz, Moshe, op. cit., p. 376.

كانت هناك محاولات من جمعية إيكا وفاعوليم والاليانس وغيرها في إسترجاع فلسطين، حيث قاموا بشراء سهل يزرعيل. وفي هذا المجال جاء في الإصحاح الثاني والثلاثين من أرميا من الكتاب المقدس ما يأتي: «يشترون الحقول بفضة ويكتبون ذلك في صكوك ويختمون ويشهدون شهوداً في أرض بنيامين وحوالي أورشليم، وفي مدن يهودا ومدن الجبل ومدن السهل ومدن الجنوب لأني أرد سببهم بقول الرب اه».

وفي هذا المعنى كتب شكري العسلي قائلاً: «وهكذا اشتروا الكثير من القرى واستولوا =

ونتيجة لتصريحات عبدالحميد، إمتنعت الحكومة العثمانية عن منح تصريحات الدخول لليهود الروس إلى الدولة العثمانية. حيث قام سعيد باشا بتطبيق تعليمات الدولة حول سد الأبواب أمام اليهود الأجانب من جميع الجنسيات، على اعتبار أن هؤلاء يعرضون الصحة العامة للخطر. وقد استمر سعيد باشا في الضغط على اليهود لمدة سنتين، حيث قام بمنع شركات السفن من نقل اليهود إلى الدولة العثمانية. ولكن في الحقيقة أن جهود سعيد باشا لم تنجح بسبب حصة روسيا في قانون «الإمتيازات الأجنبية»[٨٠].

ولكن من ناحية أخرى، أعلنت الحكومة العثمانية، بأن بإمكان اليهود زيارة القدس فيما إذا توفر شرطان:ـ

= عليها وهم لا يخالطون العثمانيين ولا يشترون منهم شيئاً، ولهم بنك أنكلو فلسطين يقرضهم بفائدة لا تتجاوز الواحد في المائة في السنة. وقد جعلوا كل قرية إدارة فيها مدرسة، وكل قضاء مديرية ولكل جهة مدير عام، ولهم راية لونها أزرق وأبيض وفي وسطها ترس أو مجن داود وتحته كلمة عبرانية معناها صهيون، لأنه جاء في التوراة أن أورشليم إبنة صهيون، ويرفعون هذا العلم مكان العلم العثماني في أعيادهم واجتماعاتهم، ويترنمون بالنشيد الصهيوني، وقد احتالوا على الحكومة فقيدوا أنفسهم عثمانيين في سجل النفوس كذباً وبهتاناً، وهم لا يزالون حاملين الجوازات الأجنبية التي تحميهم، وعندما يصيرون إلى المحاكم العثمانية يظهرون جوازاتهم ويدعون الحماية الأجنبية، ويحلون دعاويهم واختلافاتهم فيما بينهم بمعرفة المدير ولا يراجعون الحكومة، ويعلمون أبناءهم الرياضة البدنية وإستعمال السلاح، وترى بيوتهم طافحة بالأسلحة، وفيها كثير من المارتين ولهم طوابع بريد في قراهم وغير ذلك مما يبرهن على أنهم بدأوا بإنفاذ دعوتهم السياسية». راجع: علي، محمد كرد، المصدر نفسه، ص ١٢٩-١٣١.

(٨٠) Getin, A. Alaaddin, Yildiz, Ramazan, Sultan II . Abdulhamid Han, Devlet Ve Memleket Goruslerim, Istanbul, 1976, ss. 20-28; J. Mandel, Neville, «Ottoman Policy and Restrictions on Jewish Settlement in Palestine (1881-1908), op. cit., pp. 324-325.

١ـ أن يقدم اليهودي طلباً رسمياً إلى ضابط الارتباط في القدس، مرفقاً باستمارة من القنصل، ومصدقاً عليه من قبل المتصرف، يقرر فيه بأن الإقامة هي قانونية.

٢ـ عدم قبول اليهود الّذين يزورون القدس بصورة غير قانونية، أي عدم السماح لهم في العيش هناك، سواء في المدينة، أو إقامتهم مستعمرات في الريف[٨١].

وقد أدت هذه الإجراءات، إلى تقديم السفارة البريطانية في الأستانة، شكوى إلى وزير الخارجية، وقيام الولايات المتحدة بإستدعاء سفيرها Oscar Straus من الباب العالي. ونتيجة لذلك فقد خاطب توفيق باشا Straus قائلاً: «إن هدف الدولة العثمانية لم يكن القصد منه دخول المواطنين الأمريكيين سواء أكانوا يهوداً أو مسيحيين بغية زيارة سوريا أو فلسطين كسياح، بل الغاية من ذلك هي منع اليهود من إيجاد مستعمرات إضافية في فلسطين»[٨٢].

كما قام الوزير المفوض العثماني في واشنطن بتوضيح هذه المسألة لوزارة الخارجية الأمريكية، وذلك في ٢٨ آب ١٨٩٣، حيث أكد أن مسألة اليهود هي مسألة داخلية تخص الدولة العثمانية، وان على الأمريكيين أن يقوموا باحترام مبدأ مونرو عن طريق عدم تدخلهم في شؤون الدول الأخرى[٨٣].

وقد كانت هناك منافسة بين القنصليات الأجنبية حول حماية اليهود في الدولة العثمانية[٨٤]، وعليه نرى أنه في بداية عام ١٨٥٠ من بين ٥٠٠٠ نسمة وقع ٣٠٠٠

---

(٨١) Ibid.,

(٨٢) Ibid., p. 326.

(٨٣) Oke, Bulent Kemal, «Zionists and the Ottoman Foreign Ministry During the Reign of Abdulhamid. (1867-1909)», op.cit., p.373.

(٨٤) الغريب في ذلك نرى أن إسبانيا التي قامت على طرد اليهود من أراضيها في نهاية القرن الخامس عشر كما رأينا في الصفحات السابقة، قامت قنصليتها بالدفاع عن حقوق اليهود. راجع في هذا الصدد. Friedman, Isaiah, op. cit., p.33.

نسمة من الاشكنازيم تحت حماية النمسا، كما أن ألفاً منهم كانوا مسجلين في القنصلية البريطانية، أما البقية الباقية فقد وقعوا تحت حماية بروسيا والولايات المتحدة وهولندا وروسيا. وعندما قامت الحكومة الروسية بسحب إختصاصها من الرعايا اليهود في فلسطين، إتجهت الغالبية العظمى من اليهود إلى القنصلية البريطانية لنيل حمايتها. وقد بقي هذا الموضوع على حاله إلى عام ١٨٩٠، حيث اتخذت الحكومة الروسية قراراً عكسياً، إذ إستردت نتيجة لهذا القرار حق حماية اليهود[٨٥].

وفي الحقيقة فإن الحكومة العثمانية حاولت من جانبها إلغاء حق حماية اليهود عن طريق الضغط على اليهود الأجانب لتبني الجنسية العثمانية، ونتيجة لذلك فقد طلب رشيد باشا وزير الخارجية العثماني في ١٢ مايس ١٨٧٤ من السفارة البريطانية في الأستانة، التخلي من حمايتها عن عدد من اليهود في سوريا وفلسطين. وقد جاء في مذكرته: «إن الظروف قد تغيرت، وأصبحت الحماية كمؤسسة آيلة إلى الزوال، كما أنها تعتبر مصدراً للقلق والنزاع»[٨٦].

إن نشر قانون الجنسية العثماني في عام ١٨٦٩ قد أنهى فعلياً حق يهود روسيا من الحماية الأجنبية[٨٧].

ونتيجة لهذه التطورات، أكدت السلطة العثمانية على تقوية الجهاز الإداري في فلسطين، لذلك نرى أن أشخاصاً ثلاثة تعاقبوا على إدارة المتصرفية في فلسطين، وهؤلاء هم: محمد شريف رؤوف باشا[٨٨]

(٨٥) Ibid.,

(٨٦) Ibid., p.36.

(٨٧) Ibid., p.37.

(٨٨) ينتمي رؤوف باشا إلى عائلة تركية قديمة، وبعد دراسته الخاصة، أكمل تعليمه في باريس، وقد مكث في القدس إثنتي عشرة سنة (١٨٧٧-١٨٨٩)، وكان من الموالين للعرب، وهو

ورشيد باشا[٨٩] وإبراهيم حقي باشا[٩٠].

وقد حاول رؤوف باشا إدخال التقييدات على دخول اليهود إلى فلسطين ولا سيما أن الحكومة العثمانية أكدت على منع استيطان اليهود في المتصرفية، وفعلاً قام بإدخال بعض الصعوبات لليهود الأجانب الذين أصبحوا رعايا عثمانيين والذين حاولوا شراء وبناء المستعمرات[٩١]، كما قام البوليس باتخاذ الاجراءات اللازمة لطرد المقيمين الأجانب غير الشرعيين في المتصرفية، علاوة على ذلك فقد فرضت ضرائب كبيرة على اليهود في المتصرفية الذين أصبحوا من الرعايا العثمانيين[٩٢].

وعلى الرغم، من هذه الاجراءات، كان اليهود يقومون ببناء المستعمرات، وعلى

= معروف بعدائه للأوربيين، وكان يقوم بين حقبة وأخرى بإرسال القوات العثمانية للبحث عن اليهود الذين أقاموا في فلسطين بطريقة غير شرعية. إلا أن هذه القوات في أغلب الأحيان كانت تتبع سياسة المرونة مع اليهود بسبب ما يقدمه اليهود من رشوة لها. راجع في هذا الصدد:

Mandel, Neville J., «Ottoman Practice as Regards Jewish Settlement in Palestine 1881–1908», op. cit., pp. 33–34.

(٨٩) تلقى رشيد باشا دراسته في باريس، حيث أكمل دراسة الحقوق هناك، وهو على خلاف رؤوف باشا كان يميل إلى الأوربيين، وقد سمح للروس والفرنسيين والألمان ببناء الكنائس في القدس، وبيت لحم ويافا ومدن أخرى، وسمح للمستعمرات اليهودية في Rishonel-Ziyyon ببناء أقبية الخمر، كل ذلك قد أدى إلى عدم نيل رضى العرب في القدس، ونتيجة لذلك فقد إحتج العرب عليه لدى السلطان العثماني حيث إستبدل به آخر وهو إبراهيم حقي باشا راجع: Ibid.,

(٩٠) تسلم إبراهيم حقي إدارة المتصرفية من عام ١٨٩٠-١٨٩٧. راجع: Ibid.,

(٩١) أسس اليهود صحيفة عبرية أطلقوا عليها Havazzelet وكانت الغاية منها هي تشجيع اليهود للهجرة إلى فلسطين. راجع: Ibid., وكذلك: السلطان عبدالحميد الثاني: مذكراتي السياسية ١٨٩١-١٩٠٨، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٧٩، ص٩٢.

(٩٢) Ibid., p.34.

سبيل المثال نرى أن اليهودي فتاح تكفا قرر في عام ١٨٨٣ بناء المستعمرات بدون رخصة من المتصرفية. كان على رؤوف باشا أن لا يقدمه إلى المحكمة فحسب بل كان قادراً على أن يطبق عليه الحد الأقصى من العقوبة، بما فيها تدمير المستعمرات التي أقامها. ونتيجة لاجراءات رؤوف باشا احتج القنصل الألماني لصالح هذا اليهودي، ولا سيما أنه كان أحد رعايا الألمان. وقد أمر رؤوف باشا جميع المحامين في المتصرفية بعدم التوكل عن هذا اليهودي والدفاع عنه، ومع ذلك تولى محام من دمشق الدفاع عنه، إلا أن الحكام أجلوا النظر في القضية بصورة متعمدة. ونتيجة لذلك فقد أحال القنصل الألماني هذه القضية إلى سفارته في القسطنطينية كي تتولى الدفاع عن هذا اليهودي، وبعد أشهر قليلة أصبحت القضية في صالح القنصل الألماني[٩٣].

وعلى الرغم من هذه الاجراءات المشددة التي اتبعها رؤوف باشا، لم يستطع إيقاف اليهود عن الاستيطان في المتصرفية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الموظفين العثمانيين كانت رواتبهم قليلة. وكان من النادر أن يرفضوا الرشوة في هذا المجال.

وفي هذا الصدد يقول عبدالحميد: «لقد حملت التقارير إلينا إتهامات موجهة ضد والي بيروت، وقد شاركه في التهمة مدير البوليس وقائد المنطقة الساحلية. هؤلاء الخونة لم يعطوا ملايين المهاجرين الوثائق الضرورية لإقامتهم إلا بعد أن أخذوا من كل واحد منهم ثلاث ليرات كرشوة وبذا غصبوا ملايين الليرات من خزينة الدولة»[٩٤].

وفي الحقيقة، إن الإعتماد على الرشوة كان شيئاً إعتيادياً، والذي شاع بين الموظفين العثمانيين، تعاملهم مع المستوطنين الصهيونيين، وفي هذا الصدد يعلق أحد الصهاينة على تعيين رؤوف باشا متصرفاً في القدس قائلاً: «يتهامسون ـ على

(٩٣) Ibid., pp. 34-35.

(٩٤) Certin, A. Alaadin, Yildiz, Ramazan, op. cit., pp. 20-28

حد تعبير ـ يهودا ـ فيما بينهم أن الضائقة الكبيرة التي حلت بنا (أي المستوطنين) لأن الوالي الجديد نظيف الكفين لا يقبل الرشوة»[٩٥].

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن رؤوف باشا يتصف بالدهاء والفطنة، وحسن السيرة، وعليه، فإنه لم يتعامل مع الصهيونيين بالرشوة، إلا أن الصهيونيين اتبعوا كافة الوسائل للضغط على رؤوف باشا، حيث اتصلوا مع الحكومة الروسية بغية إلفات نظرها في هذا المجال، ولا سيما أن القياصرة في تلك المدة اهتموا بإطلاق باب الهجرة إلى فلسطين، ونتيجة لذلك فقد قامت الحكومة الروسية بإعطاء تعليمات محددة لقناصلها في القدس، مؤكدة لهم على تقديم مذكرة احتجاج ضد رؤوف باشا عند حكومة الباب العالي. وقد أدت هذه الإحتجاجات من جانب الحكومة الروسية، إلى تخفيف حدة إجراءات الحكومة العثمانية فيما يتعلق بموضوع الهجرة[٩٦].

لم تمض مدة طويلة على إجراءات الحكومة العثمانية باستئناف الهجرة، حتى عادت الأوضاع إلى عهدها السابق، وفرضت القيود مجدداً، ولا سيما بعد أن اكتشفت الحكومة أن «موظفي ميناء يافا ٠٠٠ المرتشين كانوا يرسلون كل شهر إلى الوالي بيانات كاذبة، تفيد أن كل اليهود الذين دخلوا البلاد خلال الشهر السابق، قد عادوا من حيث أتوا»[٩٧].

ولهذه الأسباب، فقد أعطت الحكومة العثمانية تعليمات صارمة إلى متصرف القدس تحثه على منع المهاجرين اليهود من الدخول إلى فلسطين، إذا عرفنا أنه في خلال هذه الحقبة، وقعت صدامات بين العرب ومستوطني بيتح تكفا، حيث عززت قوة الشرطة في ميناء يافا، واستبعدت العناصر التي ساهمت في هذه الصدامات ضد العرب. وقد أدت هذه الصدامات إلى فرض حظر شبه كامل وفعال

(٩٥) جريس صبري، المصدر السابق، ص ١٠٨.

(٩٦) المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٩٧) المصدر السابق، ص ١٠٩.

على دخول المهاجرين اليهود إلى فلسطين، كل ذلك قد أدى بالحركة الصهيونية إلى البحث عن وسيلة أخرى لإلغاء هذه الإجراءات، وقد انصبت جهودها الدبلوماسية نحو تحريك الدول الأجنبية لممارسة الضغط على الحكومة العثمانية.

ونتيجة لذلك، فقد قامت وزارة الداخلية العثمانية بتعميم منشور في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٠٠ على جميع متصرفيات الدولة العثمانية، بخصوص منع توطين اليهود في فلسطين، وقد جاء في هذا المنشور ما يلي: «إن الدولة العثمانية لا تسمح أبداً في أي حال من الأحوال ولا لسبب من الأسباب بتوطين اليهود في الأراضي المقدسة. وقد بُلِّغ هذا القرار لجميع سفراء الدول والقنصليات الأجنبية بواسطة وزارة الخارجية، مرفقاً بالتعليمات الخاصة بزيارة اليهود لأراضي فلسطين. وهي القرارات التي أقرها مجلس الوزراء ومجلس الشيوخ في ٥ تشرين الأول عام ١٩٠٠، وصدرت إرادة مقام الخلافة بتنفيذها، والتي نرفق لحضرتكم صورة منها لمراعاة تطبيق موادها في الولاية وملحقاتها»[٩٨].

وقد تكللت هذه الجهود بالنجاح، عندما قام سفراء الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بالضغط على الحكومة العثمانية، حيث أجبر هؤلاء الحكومة العثمانية على إلغاء تلك الإجراءات. ويجب أن نؤكد في هذا المجال أن اوسكار شتراوس سفير الولايات المتحدة، واليهودي الأصل، قد لعب دوراً مهماً في عزل متصرف القدس رؤوف باشا[٩٩].

بالإضافة إلى ذلك، إن شتراوس استطاع إنقاذ ٤٠٠ مهاجر من السجن[١٠٠].

وفي هذا المعنى يقول وايزمن في مذكراته، «كنا نعلم بأن أبواب فلسطين مغلقة أمامنا، وكنا نعرف بأن أي يهودي يروم دخول فلسطين، كان عليه أن يحمل «شارة

(٩٨) بعيو، مصطفى عبدالله، المصدر السابق، ص ص ٧١-٧٢.

(٩٩) جريس، صبري، المصدر السابق، ص ص ١٠٩-١١٠.

(١٠٠) Friedman, Isaiah, op. cit., p.44.

حمراء»[١٠١] وإلا كان يطرد من قبل السلطات التركية. وكنا نعرف بأن القانون التركي يحظر على اليهود شراء الأراضي، ولربما لو اعتبرنا هذا الموضوع مغلقاً أو حاولنا أن نكون نظاميين لرعبنا. ولكننا إستطعنا العبور إلى فلسطين وبصورة منتظمة ومستمرة في جنح الظلام، وعليه نرى بأن اليهود قد استقروا في فلسطين ولم يطردوا، حيث قاموا بشراء أراض عن طريق أشخاص وهميين، وفي بعض الأحيان عن طريق الرشوة، لأن طبقة الموظفين كانت فاسدة أكثر من الجهاز الإداري الروسي[١٠٢]. وقد

(١٠١) بموجب نظام «الشارة الحمراء» كان على المهاجر اليهودي أن يسلم جواز سفره إلى السلطات العثمانية في حالة وصوله الأراضي المقدسة في فلسطين، ويستبدل به بطاقة حمراء اللون، يسمح لحاملها بالإقامة فيها مدة لا تربو على ثلاثة أشهر. ولكن على الرغم من هذه الاجراءات. فإن الهجرة اليهودية استمرت في التدفق إلى فلسطين، وتعزى أسباب إخفاق الحكومة العثمانية في ذلك إلى عوامل كثيرة، بالإمكان إيجازها في نقطتين رئيستين هما:-

١- الجهاز الإداري غير الكفء، الذي تميز بإصدار تعليمات متناقضة بهذا الخصوص بين حقبة وأخرى.

٢- إستغلال الدول الأجنبية نظام الامتيازات، والتدخل في السياسة الداخلية والخارجية للدولة العثمانية، كل ذلك قد أدى إلى وضع عقبات أمام السلطة بغية تنفيذ قراراتها.

راجع في هذا الصدد: جريس، صبري، المصدر السابق، ص ١١١.

ولد وايزمن في ٢٧ تشرين الثاني ١٨٧٤ في بلدة «موتيله» بروسيا البيضاء - وهي بلدة شبه معزولة عن العالم الخارجي، معظم سكانها من الروس حوالي خمسمائة عائلة. وفي عام ١٨٨٥ أرسل وايزمن إلى مدرسة في مدينة «بينسك» المجاورة، قضى وايزمن في بينسك سبع سنوات، وواصل دراسته حيث تخصص في الكيمياء، أنهى عام ١٨٩٢ الثانوية العامة، وقرر التوجه إلى ألمانيا لمواصلة دراسته العليا. وإنتقل في عام ١٨٩٨ من برلين إلى جامعة «بريبوغ» في سويسرا للحصول على شهادة الدكتوراه، وقد حصل عليها بعد ذلك بعام - راجع:

آباء الحركة الصهيونية، ترجمة عبدالكريم النقيب، دار الجليل للنشر، عمان ١٩٨٧، ص ٩٥-٦١.

(١٠٢) إتهمت الحكومة العثمانية، عبدالسلام بن عُمر الحسيني قائمقام يافا بأخذ رشوة من اليهود =

بنيت البيوت بعيداً عن القـانـون، كمـا بنيت في ظل تلك الأوضاع المستعمرات الصهيونية الأولى»(١٠٣).

وفي هذا الصدد يقول المؤرخ اليهودي «بولان»: «إن هؤلاء اليهود تمكنوا من البقاء في البلاد بفضل الرشوة، كما تمكن كثيرون من الإفلات من قبضة الحكم بسبب كونهم رعايا أجانب وقد حظر على السلطات التركية في حينه التدخل في شؤون رعايا الدول الأخرى أو اعتقالهم أو محاكمتهم دون تدخل القناصل»(١٠٤).

وعندما أصبح اليهود على تماس مباشر بالأوضاع المحلية في المتصرفية، حيث قدموا إلى فلسطين عن طريق بور سعيد بمصر، إذ قاموا على شراء الأراضي ليس فقط بأسماء عثمانية ولكن أيضاً بأسماء عربية محلية(١٠٥).

إن الأسلوب الذي استخدمته الصهيونية في العهد العثماني، هو نفس الأسلوب المتبـع من قبـل الحـركـة الصهيونية بعد إتفاقيات سايكس بيكو والحرب العالمية الثانية، لأن الدبلوماسية الصهيونية انطلقت من الأقطار الأوربية مؤكدة أن العرب هم الـذين قامـوا ببيع أراضيهم لليهود في فلسطين. إن الصهيونية اتبعت الدبلوماسية الميكيافيلية وذلـك باستخدامها الطرق والسبل غير الشرعية كافة في الوصول إلى أهـدافهـا. وفي الحقيقة أن الدبلوماسية العربية في إطار جامعة الدول العربية لم تستطع أن تقف أمام الدبلوماسية الصهيونية بعد وجود الكيان الصهيوني في الأرض العـربية المحتلة، وكـان عليها أن تبث دعاية مضادة للدبلوماسية الصهيونية وذلك

= الممنـوعين من الإقامة في فلسطين، وذلك للسماح لهم بدخول الميناء دون تسجيل أو تقديم أوراقهم الشخصية. وعزل من أجل ذلك، بالإضافة إلى اتهامات أخرى في هذا المجال.

(١٠٣) Weizman, op. cit., p. 41.

(١٠٤) حلاق، حسان علي، المصدر السابق، ص ٩٨.

(١٠٥) Mandel, Neville J., «Ottoman Practice as Regards Jewish Settlement in Palestine 1881-1908» op. cit., p.35

بالرجوع إلى سجلات الطابو، والتأكيد على الأسماء الوهمية. وبالإمكان أن نقول أن هناك أسباباً متعددة حول عجز الجامعة العربية عن القيام بدبلوماسية دينامية، وتتركز هذه الأسباب:ـ

١ـ كانت هناك خلافات في هذه الحقبة الزمنية بين الأقطار العربية، كل ذلك قد أدى إلى ضعف الدبلوماسية العربية.

٢ـ عدم وجود جاليات عربية في الأقطار الغربية كي تقوم بهذه المهمة، وحتى إن وجدت هذه الجالية، كانت بحاجة إلى دعم ومساندة الجامعة العربية لها في مقابل الدعاية الصهيونية.

ويجب أن نؤكد في هذا المجال أن رؤوف باشا كان في صراع مع اليهود وذلك منذ عام ١٨٧٨. وكان من المعارضين للهجرة اليهودية، وكثيراً ما دخل في منازعات ولا سيما مع القنصلين الروسي والألماني لاحتجاجهما ضده بسبب ملاحقته لليهود المهـاجـرين. وكـان رؤوف باشـا يجتمع بين مدة وأخرى مع العرب الذين أيدوا معارضتـه للهجرة(١٠٦).

ونتيجة لذلك فقد بدأت الجماعة اليهودية في فلسطين في النمو المستمر، حتى إن العدد الكلي لليهود في فلسطين عام ١٨٨٢ كان ٢٤٫٠٠٠ يهودي، تضاعف هذا العـدد في عام ١٨٩٠ إلى ٤٧٫٠٠٠ يهودي(١٠٧). وقد تأسست خمس مستعمرات زراعية في المتصـرفية في عام ١٨٨٠ تحت حكم رؤوف باشـا، وأكثر من أربع مستعمرات زراعية في عام ١٨٩٠ تحت حكم رشيد باشا وإبراهيم حقي باشا. وفي شمال المدينة كانت الحالة كما هي في المتصرفية، حيث أقيمت أربع مستعمرات

---

(١٠٦) حلاق، حسان علي، المصدر السابق، ص ٩١

(١٠٧) وعنـد احتلال الدولة العثمانية لبلاد الشام، كان سكان فلسطين يتكونون من ٩٥٪ من العرب ـ المسلمين والمسيحيين ـ ونحـو ١٪ من الجاليات الأجنبية ونحو ٤٪ من اليهود الاشكنازيين والسفارديين.

وذلك في بداية عام ١٨٩٠، وأكثر من خمس مستعمرات في منتصف عام ١٨٩٠، وعند تأسيس الحركة الصهيونية في عام ١٨٩٧ كان هناك في فلسطين حوالي ٥٠,٠٠٠ يهودي وثماني عشرة مستعمرة يهودية[١٠٨].

وتجدر الإشارة في هذا المجال أن ناحوم أفندي رئيس الحاخاميين في تركيا العثمانية، وعن طريق صداقته لطلعت باشا (الصدر الأعظم)، إستطاع إقامة مستوطنات يهودية في فلسطين في الوقت الذي كان يؤيد التدخل الدبلوماسي من قبل القوى العظمى بغية إقرار حق السيادة على فلسطين[١٠٩].

وفي الواقع أن الحكومة العثمانية لم تكن راضية عن بناء هذه المستوطنات، فقد قامت من جانبها بإلغاء المستوطنات التي بنيت بدون موافقتها[١١٠].

وقد عبر عن هذه الصورة شكري العسلي النائب العربي في مجلس ـ المبعوثان العثماني ـ عندما كتب مقالة، جاء فيها: «إن الجمعية الصهيونية ورفيقاتها جمعيات البيكا وفاعوليم ولاليانس وغيرها لاسترجاع فلسطين التي وعدهم بها ربهم في الاصحاح الثاني والثلاثين من أرميا من الكتاب المقدس، والان عملاً بهذه الآية، يشترون الأراضي في فلسطين على حساب الفضة، ويشترطون البيع على أن يكون الثمن فضة، ويكتبون الشكوك ويشهدون ․․ ولكن بما بذلوه من الدنانير التي تسحر

(١٠٨) أوجد Mishmar Ha – Yarden مستوطنة في شمال Judaca وذلك في عام ١٨٩٠، وفي عام ١٨٩١ بني مستوطنان كبيران Rohovot في الجنوب وHadera والتي تقع بين يافا وحيفا. وفي عام ١٨٩٦ نرى أن رجلين من رجال الأعمال أوجدا مستوطنات Beer Tuvia في جنوب Judaca أوجدها جمعية محبي صهيون و Metulla في شمال Galiee أوجدت من قبل بارون روتشيلد.

راجع:

Friedman,Issiah, op. cit., p. 46; Mandel, Neville J., «Ottoman Practice as Regards Jewish Settlement 1881-1908», op. cit., pp. 46.

(١٠٩) Ibid., p. 37.

(١١٠) Ibid., pp. 39-40

الباب الخائنين من الحكام والمستخدَمين، استطاعوا أن يستولوا على ثلاثة أرباع قضاء طبرية ونصف صفد وأكثر من نصف قضاء يافا والقدس والقسم المهم من نفس حيفا وبعض قراها، واليوم يسعون للدخول إلى قضاء الناصرة ليستولوا على سهل شارون ويزرعيل المذكور بالتوراة ․․․ وعندما يسيرون إلى المحاكم العثمانية يظهرون جوازاتهم ويدعون الحماية الأجنبية ويحملون دعاويهم وإختلافاتهم فيما بينهم بمعرفة المدير ولا يراجعون الحكومة ويعلمون أبناءهم الرياضة البدنية واستعمال السلاح. وترى بيوتهم طافحة بالأسلحة وفيها كثير من المارتين «البنادق» ولهم بريد خاص وطوابع خاصة وغير ذلك، كما يبرهن على أنهم بدأوا بتأسيس مقاصدهم السياسية»[١١١].

وقد قامت مجموعة من زعماء المسلمين في القدس بإرسال برقية إلى الصدر الأعظم، أكدوا فيها خشيتهم من تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وطالبوا باتخاذ إجراءات صارمة بمنع دخول اليهود إليها[١١٢].

إن الأوامر المتعاقبة من الباب العالي بعد عام ١٨٩٧ لم تنجح في منع اليهود من الاستيطان في فلسطين، وفي الحقيقة إن هذه الأوامر لم تؤد إلى نتيجة مرجوة منها سوى تجديد بيع الأراضي لليهود[١١٣] حيث إن اليهود كانوا مستمرين في نشاطهم. وعلى سبيل المثال قامت السلطة في بيروت في عام ١٩٠٠ بإبلاغ وزير

(١١١) معهد البحوث والدراسات العربية، الاستعمار الصهيوني في فلسطين ١٨٨٢-١٩٤٨، الجزء الأول، دار نافع للطباعة والنشر، ١٩٧٥، ص ١٣٠-١٣٣.

(١١٢) المصدر السابق، ص ١٣٣.

(١١٣) أبدى محمد طاهر الحسيني مفتي القدس (والد الحاج أمين الحسيني مفتي القدس خلال الحرب) معارضته لاستيطان اليهود في فلسطين خلال عامي ١٨٨٠ و ١٨٩٠. وقد ترأس الحسيني اللجنة التي دققت التطبيقات المتعلقة بنقل الأراضي في المتصرفية. وتكللت جهوده بالنجاح، حيث استطاع إيقاف جميع المشترين من اليهود للسنوات القليلة التي تلتها.

الشؤون الداخلية بأن بعض الممتلكين يرغبون ببيع ممتلكاتهم في منطقة طبريا لليهودي الفرنسي Leven ، ونتيجة لذلك فقد أصدر مجلس الوزراء العثماني حكمه على Leven ، حيث عومل معاملة الأجنبي بموجب القوانين الصادرة عام ١٨٦٧ المتعلقة بالحصول على الأرض في الدولة العثمانية(١١٤).

وفي الحقيقة ازداد عدد اليهود في فلسطين خلال عام ١٩٠٥، حيث دخل نحو ٣٤٥٠ يهودياً من المشترين إلى فلسطين، وعليه فقد أبلغ رشيد بك الباب العالي

---

(١١٤) حصلت بعض المنظمات الصهيونية مثل «جمعية التوطين اليهودية» (وجدت هذه الجمعية من قبل Baron Maurice وذلك في عام ١٨٩١، وقد أنشئت خصيصاً لصالح المستعمرات في فلسطين) وذلك في عام ١٩٠١ على ٣١٫٥٠٠ دونم من الأرض قرب طبريا.

وقد قامت الجمعية المذكورة في بداية الأمر بإرسال Joseph Niego والذي كان مشرفاً في مدرسة زراعية قرب يافا كي يقوم بدراسة الأراضي الواقعة في شمال فلسطين وفي شرق نهر الأردن. وبعد انتهائه من مهمته كتب تقريراً حول الأراضي الموجودة في طبريا والعائدة لعائلة سرسق في بيروت، أكد صلاحيتها بغية إقامة المستعمرات، كما بين أن الأراضي الموجودة في Acre من الممكن أن تكون صالحة لإقامة المستعمرات. علاوة على ذلك أكد Niego من أن دافييد حاييم بين له أن السلطة المحلية في المتصرفية قد عارضت هجرة اليهود إلى المنطقة المذكورة.

وقد أقلق هذا الأمر الفلاحين العرب، الذين قاموا بإحالة هذا الموضوع إلى محكمة طبريا، وقد وقف أمير أرسلان بك قائمقام طبريا بجانب الفلاحين العرب. وقد أدى الأمر إلى قيام السلطة العثمانية بإلغاء إمتيازات Leven وذلك في نهاية عام ١٩٠١. ومع ذلك فإن جمعية التوطن اليهودية حصلت على أراضي كافية في المدة الواقعة بين ١٨٩٨-١٩٠١، وحري بالذكر أنه بعد إلغاء إمتيازات Leven ، كان والي بيروت يقظاً في تطبيق التقييدات على اليهود، ولا سيما أنه كان ضعيفاً أمام السلطان، وعليه فإنه اتبع هذه السياسة بغية نيل ثقة قصر يلدز، كما كان يفعل السكرتيرون في القصر المذكور. راجع:

Mandel, Neville J. «Ottoman Practice as Regards Jewish Settlement in Palestine 1881–1908», op. cit., pp. 37–38;

Friedman, Isaiah, op. cit., p. 45.

بأنه من المستحيل تقييد هجرة اليهود من الاستيطان في فلسطين بدون التعاون مع القناصل(١١٥).

وقد ازدادت الشكاوي ضد رشيد بك، ووصلت هذه الشكاوي إلى السلطة العثمانية في القسطنطينية، واتهم من قبل السكان المحليين بنقل الأراضي لليهود بطرق غير قانونية، ونتيجة لذلك فقد استبدل به علي أكرم بك(١١٦)، نزولاً عند الضغوط العربية وذلك في عام ١٩٠٦(١١٧) وعندما تسنم علي أكرم بك المتصرفية، كتب رسالة إلى رئيس إتحاد التحالف الصهيوني في القسطنطينية، جاء فيها: «إن اليهود كأي جماعات أخرى من الممكن أن يقوموا بشراء الأرض، ولكن هذا لا يعني قيامهم بإخضاع فلسطين، وإني سوف أقوم بمنع بيع الأرض عند الشك بأن ذلك يقوم على طرق غير شرعية»(١١٨).

وقد أدت كل هذه التطورات، إلى أن يبعث آصف بك القائمقام رسالة إلى علي أكرم بك، أكد فيها على تدفق اليهود إلى فلسطين في كل أسبوع، وربما في كل يوم وبصورة رئيسة من روسيا والنمسا، وعليه فإنه قدم اقتراحاً لعلي أكرم بك أكد فيه على معالجة هذا الموضوع، ولاسيما أن روسيا والنمسا كانتا العدوتين الرئيستين للدولة العثمانية. وبالاضافة إلى ذلك أخبر آصف بك علي أكرم بك بأن اليهود هم

---

(١١٥) Ibid., p. 39.

(١١٦) علي أكرم بك هو ابن الشاعر والكاتب التركي نامق كمال، وقد بقي في المنصب حتى قيام ثورة تركيا الفتاة، إذ جرى نقله إلى بيروت. راجع في هذا الصدد: رزوق، أسعد (دكتور)، إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٨، ص١٤٥.

(١١٧) المصدر السابق، ص ١٤٥.

(١١٨) Mandel Neville J., «Ottoman Practice as Regards Jewish Settlement in palestine 1881–1908» op. cit., pp. 30–40.

فوضويون ومتمردون، وقد شبههم بالعصابات في أرمينيا وبلغاريا(١١٩).

ونتيجة لهذا الضغط، قام علي أكرم بك بإرسال تقرير كامل عن الوضع في فلسطين أرفق فيه رسالة آصف بك، وبعض الوثائق الأخرى التي كانت موجودة في أرشيف متصرفية القدس إلى السكرتير الثاني للسلطان بغية نقله إلى الوزير الأعظم(١٢٠).

وقد أوصى علي أكرم بك بعد إخفاقه من التعاون مع القناصل في فلسطين بإتباع سياسة صارمة بمراقبة السياح اليهود، وتوسيع قوة البوليس، وإلغاء الأراضي المنقولة بطرق غير قانونية، وربما القيام بتدمير الأبنية المشيدة والتي بنيت بطريقة غير شرعية على مدى عشر سنوات مضت(١٢١).

وقد تسلم أكرم بك بعض التعليمات السرية من الحكومة العثمانية التي أكدت عرقلة نشاطات «جمعية المستوطنين الصهيونية»(١٢٢) في فلسطين ونشاطات الجمعيات الصهيونية الأخرى بصورة عامة، بالإضافة إلى ذلك فإن أكرم بك قد تسلم أوامر من القسطنطينية تؤكد على منع نقل الأراضي الأميرية لليهود العثمانيين(١٢٣).

---

(١١٩) Ibid., p.40.

(١٢٠) Ibid.,

(١٢١) Ibid., p. 41.

(١٢٢) «حصلت جمعية التوطين الصهيونية» على ١ر٦٠٠ دونم من الأرض قرب اللد في عام ١٩٠٧ بالمقارنة مع ١٩ر٠٠٠ دونم على عهد قاسم ورشيد بك عام ١٩٠٤. راجع: Ibid.,

(١٢٣) مارست متصرفية القدس، سياسة إتسمت بالشدة على اليهود في حادثة ١٦مارس ١٩٠٨، التي حصلت في يافا، حيث أدت هذه الحادثة إلى جرح عربي وثلاثة عشر من اليهود. وفحوى هذه الحادثة يتركز في شجار بعض العرب واليهود قبل يوم من عيد البوريم (عيد من أعياد اليهود). وقد تجمهر اليهود في منطقة مجاورة من فندق Baruch ونتيجة لذلك اقتحم البوليس الفندق المذكور، حيث ألقى البوليس القبض على خمسة من اليهود، وفي نفس =

ونتيجة لازدياد نشاطات جمعية المستوطنين الصهيونية، كتب انتوبونوس باشا السفير العثماني في لندن تقريراً إلى حكومة الباب العالي جاء فيه: «إنه على الرغم من الزيادة المستمرة لعدد المستوطنات في فلسطين، فإن اليهود المستوطنين غير راضين من العيش بموجب القوانين العثمانية المحلية»(١٢٤). وأردف قائلاً: «إن الصهاينة يناقضون أنفسهم عما قالوه في مؤتمر بازل، أنهم سوف يقومون بالضغط على الدول بغية الحصول على اعتراف دولي بموجب قانون الأمم المتحدة»(١٢٥).

ودفع هذا الأمر، سليمان التاجي من الرملة في عام ١٩١١ أن يحدد هذه المخاطر في مقالة له في صحيفة المفيد البيروتية، أكد فيها النقاط الآتية(١٢٦):

١- منع تدفق اليهود إلى فلسطين، عن طريق تطبيق قانون الجواز الأحمر.

٢- عدم القيام ببيع الأراضي إلى اليهود مع إحصائية جديدة لنفوس اليهود، ومنح العثمانيين منهم تذاكر نفوس تؤكد على أسمائهم الحقيقية.

٣- تطبيق نظام المعارف على المدارس اليهودية.

= الوقت اقتحم البوليس فندقاً آخر يسمى بفندق Spector. وبعد ربع ساعة من هذا الاقتحام، قامت مشاجرة بين اليهود والعرب، الأمر الذي أدى إلى قيام قائد عسكري تركي مع مجموعة من جنوده بإطلاق النار على اليهود، مما أدى إلى قتل ثلاثة عشر يهودياً. ونتيجة لهذه الحادثة استدعت السلطة العثمانية في القسطنطينية آصف بك متصرف يافا للمثول أمام القضاء في القسطنطينية وذلك بعد إسبوعين من وقوع الحادثة. كما أثرت هذه الحادثة على أكرم بك، لأنه اتهم من قبل اليهود بأنه ضد السامية، ونتيجة لذلك فقد نقل علي أكرم بك إلى بيروت. راجع في هذا الصدد:

Mandel, Neville J., «Ottoman Practice as Regards Jewish Settlement 1881–1908» op. cit., p.42.

(١٢٤) معهد البحوث والدراسات العربية، الإستعمار الصهيوني في فلسطين ١٨٢٢-١٩٤٨، المصدر السابق.

(١٢٥) المصدر السابق.

(١٢٦) المصدر السابق، ص ١٣٦ - ١٣٧.

٤ـ لا يمكن عقد الإجتماعات الخاصة إلا بإذن ومعرفة من الحكومة.

٥ـ إحصاء الأملاك وأراضي المستعمرات واستيفاء الأموال الأميرية منهم لصالح الخزينة.

ويتضح من ذلك، أنه على الرغم من التعليمات المشددة من السلطة المركزية في القسطنطينية، وحذر الموظفين العثمانيين من هذه التعليمات، لأنهم كانوا يخشون عدم تنفيذ هذه الأوامر، باعتبار أن ذلك كان يعني توقيع العقوبات الصارمة ضدهم، فقد استمر اليهود في الدخول إلى فلسطين كسياح، وقد قام هؤلاء بشراء الأراضي، ويمكن أن يعزى السبب في ذلك إلى عوامل متعددة، وهي :-

١ـ ضعف الجهاز الإداري سواء في القسطنطينية أو في فلسطين، حيث افتقر هذا الجهاز إلى موظفين أكفاء.

٢ـ إن رواتب الموظفين العثمانيين في فلسطين وفي مناطق أخرى كانت قليلة مما أدى كل ذلك إلى تقاضي هؤلاء الموظفين الرشوة من المنظمات الصهيونية.

٣ـ لم تمنع السلطة العثمانية قيام اليهود بشراء الأراضي، كل ذلك قد أدى إلى تزايد عدد الأراضي المشتراة من قبل اليهود، وتشييدهم مستعمرات زراعية.

٤ـ تعاون بعض المسؤولين العثمانيين في متصرفية القدس مع الجمعيات الصهيونية العالمية، كل ذلك قد أدى أن تكون التعليمات الصادرة من السلطة المركزية في العاصمة، تعليمات لا قيمة لها بالنسبة لهؤلاء، إذا عرفنا أيضاً أن بعض التقارير المرسلة من قبل هؤلاء إلى قصر يلدز، كانت تخفض من عملية هجرة اليهود إلى فلسطين. كما أن العقوبات المتبعة من قبل السلطة المركزية ضد الأشخاص الذين لم ينفذوا هذه التعليمات لم تكن رادعة إلى حد بعيد. وكان ذلك سبباً في تدفق اليهود إلى فلسطين، وبالتالي قيامهم بشراء الأراضي.

الفَصْل الثَّالِث

سياسة عبد الحميد ازاء فلسطين

اهتم عبدالحميد بفلسطين منذ ظهور الحركة الصهيونية، حيث إن العثمانيين نظروا للصهيونية نظرة تتسم بالتخوف والحذر، واتبعوا سياسة خاصة للتعامل معها، وبإمكاننا أن نقول في هذا المجال أن عبدالحميد هو الذي أرسى معالم هذه السياسة تجاه الحركة الصهيونية(١).

ونتيجة لذلك، فقد عرض عبدالحميد مناقشة هذا الموضوع في مجلس الوزراء العثماني، حيث تبنى الأخير مجموعة من السياسات، أصبحت من إختصاصات وزارة الخارجية ووزارة الداخلية. بحيث كرست وزارة الخارجية جهودها لإقناع الدول الكبرى بعدم تقديم أية مساندة للحركة الصهيونية، في الوقت الذي نرى بأن وزارة الداخلية اتبعت كل السبل ووضعت جميع العراقيل ضد دخول اليهود إلى الدولة العثمانية.

وقد لعبت وزارة الخارجية العثمانية دوراً ملموساً في هذا المجال، بحيث أن عبدالحميد اتخذ قرارات سياسية متعددة بناء على التقارير التي بعثتها السفارات العثمانية في العواصم الأوربية(٢).

وعلى هذا نتحدث في هذا الفصل عن مبحثين، نحدد الأول منه في الحديث

---

(١) أحيط عبدالحميد علماً بقرار المؤتمر الصهيوني العالمي في بازل، وكان على علم بوصول المهاجرين اليهود من روسيا. راجع: طوران، مصطفى، أسرار الإنقلاب العثماني، ترجمة كمال خوجة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٧.

(٢) Oke, Bulent Kemal, «Zionists and the Ottoman Foreign Ministry During the Reign of Abdulhamid (1876-1909), op. cit., pp. 364-365.

اهتم عبدالحميد بفلسطين منذ ظهور الحركة الصهيونية، حيث إن العثمانيين نظروا للصهيونية نظرة تتسم بالتخوف والحذر، واتبعوا سياسة خاصة للتعامل معها، وبإمكاننا أن نقول في هذا المجال أن عبدالحميد هو الذي أرسى معالم هذه السياسة تجاه الحركة الصهيونية[1].

ونتيجة لذلك، فقد عرض عبدالحميد مناقشة هذا الموضوع في مجلس الوزراء العثماني، حيث تبنى الأخير مجموعة من السياسات، أصبحت من إختصاصات وزارة الخارجية ووزارة الداخلية. بحيث كرست وزارة الخارجية جهودها لإقناع الدول الكبرى بعدم تقديم أية مساندة للحركة الصهيونية، في الوقت الذي نرى بأن وزارة الداخلية اتبعت كل السبل ووضعت جميع العراقيل ضد دخول اليهود إلى الدولة العثمانية.

وقد لعبت وزارة الخارجية العثمانية دوراً ملموساً في هذا المجال، بحيث أن عبدالحميد اتخذ قرارات سياسية متعددة بناء على التقارير التي بعثتها السفارات العثمانية في العواصم الأوروبية[2].

وعلى هذا نتحدث في هذا الفصل عن مبحثين، نحدد الأول منه في الحديث

---

(١) أحيط عبدالحميد علماً بقرار المؤتمر الصهيوني العالمي في بازل، وكان على علم بوصول المهاجرين اليهود من روسيا. راجع: طوران، مصطفى، أسرار الإنقلاب العثماني، ترجمة كمال خوجة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٧.

(٢) Oke, Bulent Kemal, «Zionists and the Ottoman Foreign Ministry During the Reign of Abdulhamid (1876-1909), op. cit., pp. 364-365.

عن السياسة الداخلية والخارجية للسلطان عبدالحميد، وتأثير هذه السياسة على مواقفه إزاء فلسطين، أما المبحث الثاني، فنخصصه لمحاولات هرتزل عند عبدالحميد.

المبحث الأول

السياسة الداخلية والخارجية لعبد الحميد الثاني

بقيت السياسة العثمانية ثابتة إزاء الصهيونية طوال عام ١٨٨٠ والنصف الأول من عام ١٨٩٠[٣]، ولم تطرأ عليها أية آراء جوهرية حتى ظهور كراسة تيودور هرتزل

---

(٣) أنجزت هذه الكراسة في شباط ١٨٩٦، وقد أكد هرتزل فيها أن المشكلة القومية اليهودية تنتهي بتكوين الدولة اليهودية، والتي يعيش فيها اليهود بأمان وحرية. وقد أدت هذه الكراسة إلى إيجاد الحركة الصهيونية، وذلك إعتباراً من عام ١٨٩٧. وقد ترأس هرتزل الحركة الصهيونية منذ هذه الحقبة حتى وفاته عام ١٩٠٤. للمزيد من التفاصيل راجع:

Ro'iyacov, «The Zionist Attitude to the Arabs 1908–1914» Middle Eastern Studies, Vol. 4, No. 3, April, p.200, ONeill, Military Analysis, op. cit., pp. 2–3.

ويعلق هرتزل على مصطلح «وطن قومي» والذي ورد في مؤتمر بازل قائلاً: «ليس هناك من حاجة للقلق فالشعب سوف يفسرها وكأنها الدولة اليهودية». راجع: مجموعة من الكتاب الأمريكيين، جذورنا لا تزال حية، المصدر السابق، ص ١٩.

كتب هرتزل في يومياته قائلاً: «الحدود الشمالية جبال كبادوكيا (في تركيا) والحدود الجنوبية قناة السويس، أما شعارنا فهو: فلسطين داود وسليمان». وحين كان في طريقه إلى القسطنطينية في ١٥ تشرين الأول ١٨٩٨ لعرض موضوع اليهود على السلطان عبدالحميد الثاني، كتب في يومياته يقول: «المساحة المطلوبة من نهر مصر إلى نهر الفرات. نريد فترة إنتقالية في ظل مؤسساتنا الخاصة، وحاكماً يهودياً في هذه الحقبة. وما أن يصبح السكان اليهود في منطقة ما، ثلثي سكانها حتى تصبح الإدارة اليهودية سارية المفعول، على الصعيد السياسي». راجع: كنعان، جورجي (دكتور)، سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية، مكان الطبع

والمعروفة بـ «الدولة اليهودية».

وضمن تأييد اليهود لكتاب هرتزل والدعاية له، فقد أخبر الدكتور «Arbelq» مدير مستشفى روتشيلد هرتزل في القدس عن جميع محادثات اليهود حول خطتهم القومية، والأهم من ذلك فقد قام جماعة من اليهود الإنكليز بالتمهيد للمؤتمر الصهيوني الأول، وفي الحقيقة أن هذه الجماعة من اليهود أيدت إقامة المؤتمر المذكور في ميونيخ إلا أن المؤتمر كما هو معروف قد عقد في بازل بدلاً من ميونيخ.

= (بلا)، ١٩٨٠، ص ١٦.

ظهرت محاولات عديدة قبل هرتزل، لتبني الأفكار الصهيونية، حيث قام بيشنو في عام ١٧٨٤ من إعادة طبع كتابه الموسوم «حول بعث اليهود». وبعد إنقضاء عدة سنوات على ظهور هذا الكتاب، تبنى أفكار هذا الكتاب، اليهودي السير موسى مونتفيور Moses Montefiore ولتنفيذ هذا المشروع قام بزيارات عديدة إلى فلسطين في المدة الواقعة بين ١٨٢٧-١٨٧٤.

كما قام جيمس بيشنو James Bicheno بنشر كتابه الموسوم بـ «بعث اليهود، أزمة كل الأمم» في عام ١٨٠٠.

The Restoration of the Jews. The Crisis all Nations

ونتيجة لذلك قام ويزربي Witherby بالرد على هذا الكتاب، في كتابه المسمى «برسم اليهود: ملاحظات حول كتاب بيشنو». Dedicated to the Jews. Observations on Mr. Bicheno's Book.

راجع: حجار، جوزيف، المصدر السابق، ص ٢٢٨.

وكما سبق هرتزل في الحركة الصهيونية هنري دونانت. Henry Dunant

حيث دافع عن مشروعين كبيرين رعاهما منذ عام ١٨٦٦ على الأقل. يتعلق الأول منه بفلسطين، ويخص الثاني حماية أسرى الحرب. وفيما يتعلق بالأول يقول دونانت في هذا الصدد: «ينبغي إعادة إستيطان فلسطين من قبل الشعب اليهودي». وفي الحقيقة اعتبرت الصهيونية دونانت بمثابة رائد عبر لسان تيودور هرتزل في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في عام ١٨٩٧ في بازل. وتجدر الإشارة في هذا المجال، أن اليهود في الأرض المحتلة في الوقت الحاضر، أطلقوا على شجرة وعلى المنحدرات المحيطة بالقدس إسم هنري دونانت.

راجع:

Boissier, Pierre, Henry Dunant, Institute Henry – Dunant, Geneve, 1975, pp. 21-22.

إن تصريحات هؤلاء حول إقامة المؤتمر في «ميونيخ» أثارت غضب إبراهيم حقي باشا متصرف القدس، الأمر الذي أدى بإبراهيم حقي باشا إلى التشاور مع القنصل الألماني في القدس. وبعد الإنتهاء من هذا التشاور، كتب إبراهيم حقي باشا تقريراً إلى حكومة الأستانة حول الموضوع المذكور مؤكداً بأنه اتخذ الإجراءات اللازمة حول عدم عقد مؤتمرهم هذا في ميونيخ والتقييدات اللازمة لدخول اليهود إلى فلسطين[٤].

وعلى الرغم من تغطية الصحافة الأوربية وقائع المؤتمر الصهيوني الأول، إلا أن أهداف الحركة الصهيونية في بداية الأمر لم تكن واضحة عند الحكومة العثمانية على الرغم من البيان الذي صدر في مؤتمر بازل والذي أكد بأن هدف الصهيونية هو تأسيس الدولة اليهودية[٥]. كل ذلك قد أدى إلى إثارة حماس يهود أوربا الشرقية للهجرة إلى فلسطين. وبعد أن أصبحت أهداف الحركة الصهيونية واضحة عند العثمانيين ونتيجة لذلك انتاب القلق الدوائر السياسية في الدولة العثمانية، حيث قام الوزير الأعظم العثماني بإخبار «Isaac Fernandez» اليهودي المعروف في القسطنطينية بأن الدولة العثمانية لم تعط أي تشجيع لأفكار هرتزل[٦].

---

(٤) Mandel, Neville J., «Ottoman Policy and Restrictions on Jewish Settlement in Palestine 1881–1908», op. cit., p. 318.

(٥) وقد تبنى المؤتمر الصهيوني الأول المباديء الأربعة الأتية:-

١- تطوير المستعمرات اليهودية في فلسطين عن طريق المزارعين والعمال الصناعيين اليهود.

٢- تنظيم وتوحيد جميع اليهود في العالم بالوسائل الممكنة محلياً ودولياً وحسب قوانين الدول التي يوجدون فيها.

٣- إيجاد حكومة يهودية والتي تعتبر من الأهداف الرئيسية للصهيونية.

للمزيد من التفاصيل راجع:

Jr. Arthur Goldschmid, A concise History of the Middle East, U.S.A, 1979.

(٦) Mandel, Neville J., «Ottoman Policy and Restrictions on Jewish Settlement in Palestine: 1881–1908», op. =

ونتيجة لهذه التطورات، قام عبدالحميد الثاني[٧] بإستبدال أحد سكرتيري قصره بمتصرف القدس، وفي السنة التالية من ذلك، قام الدبلوماسيون العثمانيون في أوربا الشرقية، وواشنطن ولندن، وفينا وبرلين بكتابة تقارير عن تقدم الحركة الصهيونية، كما اعتمدت السلطة العثمانية ميزانية خاصة للقيام بدعاية مضادة للحركة الصهيونية[٨].

وقد قام هرتزل برحلات إلى القسطنطينية وذلك منذ حزيران ١٨٩٦، إذ أصبح

= cit., p. 318.

(٧) ولد عبدالحميد الثاني عام ١٨٤٢. والده السلطان عبدالمجيد أول سلطان يضفي على حركة تغريب الدولة العثمانية صفته الرسمية. شاهد عبدالحميد والده ومن بعده عمه السلطان عبدالعزيز يحميان حركة الأخذ عن الغرب، كما شاهد أيضاً ولمس عن قرب أطماع الدول الغربية وروسيا في الدولة العثمانية. وقد تولى عبدالحميد زمام الأمور وذلك في ٣١ آب ١٨٧٦ وكيلا عن أخيه مراد الخامس، حيث تسلم الحكم على أساس الشورى ونشر الدستور ودعوة مجلس المبعوثان وذلك بموجب المادة ١٠٨ من الدستور، وتجدر الإشارة هنا، إلى أن دستور عام ١٨٧٦ قام على أساس دمج الأجناس والطوائف في إطار واحد. وقد حكم ثلث قرن أطاحت به جمعية الإتحاد والترقي في ٢٧ نيسان ١٩٠٩. وأرسل إلى سلانيك وبقي هناك تحت الإقامة الجبرية، ثم نقل إلى أحد قصور إستانبول النائية، حيث توفي في ١٠ شباط ١٩١٨ إثر نزف داخلي عن عمر يناهز الثامنة والسبعين. راجع في هذا الصدد:

Osmanoglu, Sadiye, Hayatimin Active Tatli, Cunleri, Istanbul 1966, ss. 6-31; Ocan, M.Raif, Abdulhamid Ve Bugunku Muarzlari, Istanbul, 1965, ss. 5-15.

وراجع أيضاً: انطونيوس، جورج، يقظة العرب، ترجمة ناصرالدين الأسد، ود. إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٧٤، ص ١٢٨ وأيضاً محمد كرد علي، المصدر السابق، ص ١١٩ وكذلك: مذكرات السلطان عبدالحميد: خاطراتي السياسية ١٨٩١-١٩٠٨، المصدر السابق، ص ١٥.

(٨) Mandel, Neville J., «Ottoman Policy and Restrictions on Jewish Settlement in Palestine : 1881-1908, op. cit., p.316. =

له إتصال مباشر ليس فقط مع الموظفين في قصر يلدز بل أيضاً مع السلطان عبدالحميد الثاني. وقد استغل هرتزل بعض الظروف الداخلية والخارجية التي مرت بها الدولة العثمانية في هذه الحقبة الزمنية، وهذه العوامل من الممكن تلخيصها فيما يلي[٩]:-

١- العوامل الداخلية:-

في هذه المرحلة، ظهر إسم مدحت باشا في السياسة العثمانية[١٠] وذلك منذ

= (٩) Davision, Roderic H., Turkey, New Jersey, 1968, p.92.

وكذلك: ارنست أ. رامزور، تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠ ص ٤١-٤٦. وكذلك أنطونيوس، جورج، المصدر السابق، ص ١٢٩ وأيضاً: برو، توفيق علي: العرب والترك في العهد العثماني ١٩٠٨-١٩١٤، دار الهنا للطباعة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢٩.

(١٠) ولد مدحت باشا (وهو من يهود الدونمة) في القسطنطينية سنة ١٨٢٢، وتولى مناصب إدارية مختلفة إلى أن أصبح وهو في الأربعين من عمره والياً على ولاية بلغاريا، ثم والياً على الدانوب، وعين في سنة ١٨٦٨ والياً على بغداد. كان متأثراً بالأفكار الغربية، وكان حينئذ وزيراً للعدل في وزارة محمد رشدي باشا في عهد السلطان عبدالعزيز. وإستطاع مدحت الإطاحة بالسلطان عبدالعزيز في ٣٠ مايس ١٨٧٦ بالإتفاق مع إنجلترا وألمانيا وفرنسا. وفي اليوم نفسه رفع مراد الخامس إلى العرش، وقام عبدالحميد بإقالة مدحت باشا كصدر أعظم في شباط ١٨٧٧ بعد أن تبين له إتصال مدحت باشا مع إنجلترا حيث إتهم بالخيانة العظمى. فحكم عليه بالإعدام، ثم أجل تنفيذ الحكم نتيجة تدخل السفراء الأجانب. وفي الحقيقة إستغلت اليهودية العالمية هذه الحادثة ضد عبدالحميد. وتوفي مدحت باشا في الطائف عندما كان منفياً في الجزيرة العربية. راجع: أنطونيوس، جورج، المصدر السابق، ص ١٢٩، وكذلك: رامزور، المصدر السابق، ص٤٦. وأيضاً: النعيمي، أحمد نوري (دكتور)، تركيا وحلف شمال الأطلسي، المطبعة الوطنية، عمان، ١٩٨١، ص ٣٠- ٣١ وكذلك س. ناجي، المصدر السابق، ص٣١٣. وأيضاً: أبو غنيمة، زياد، المصدر السابق، ص ٥٢.

عام ١٨٦٠ كموظف في ولايات تركيا الأوربية أولاً ثم في بغداد ثانياً. وقد أدت سياسته في النهاية إلى الأخذ بنظام جديد لإدارة الولايات. وقد حكم مدحت باشا في سوريا وأزمير ووصل إلى إستانبول عام ١٨٨١. ويعتبر مدحت باشا أبرز شخصية في حركة عزل عبدالعزيز عام ١٨٧٦، حيث استبدل به مراد الخامس، وجدير بالإشارة أن السلطان عبدالعزيز كان يفضل الأرمن على اليهود، حيث أبعد اليهود عن المراكز الحساسة في الدولة.

وقد لعب مدحت باشا دوراً مهماً في السياسة الداخلية، إذ بإيعاز منه أعلن عبدالحميد وضع دستور الدولة وتأسيس مجلس نيابي على غرار المجالس النيابة في بعض الأقطار الأوربية مثل فرنسا وبلجيكا. وقد جاء في هذا الدستور أن الإسلام هو دين الدولة، ولكنه ضمن للناس في الوقت ذاته حرية الفكر والمعتقد ضمن إطار القانون والنظام، بالإضافة إلى منحه حريات لجميع الملل الأخرى في الدولة[١١].

وأراد عبدالحميد من إعلان هذا الدستور تحقيق بعض الأهداف على المستويين الداخلي والخارجي، حيث ارتأى إسكات المعارضة السياسية في الداخل، والحصول على تأييد الأقطار الأوربية له في الخارج.

٢ـ العوامل الخارجية:

اكتنفت بعض الصعوبات للسياسة الخارجية العثمانية منذ مؤتمر برلين عام ١٨٧٨، أثرت في الدولة العثمانية، وقد تحددت هذه الصعوبات في استقلال رومانيا وصربيا، كما حاولت بلغاريا تحقيق استقلالها، أما بوسنا والهرسك فإنهما قد احتلتا من قبل النمسا، كما احتلت قبرص من قبل بريطانيا. أما فيما يتعلق بروسيا القيصرية فإنها قد سيطرت استراتيجياً على مناطق في آسيا وأوربا، كما استقلت كريت بعد

---

(١١) حتي، فيليب، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، المجلد الثاني، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٥، ص ٢٧-٢٨.

سلسلة من الثورات وذلك في عام ١٨٩٨[١٢] بالإضافة إلى التطورات السياسية في أرمينيا[١٣] والثورة في حوران (شمال شرق فلسطين) واليمن. كما أن السيطرة العثمانية كانت ضعيفة على مصر التي أصبحت تحت الحماية البريطانية منذ عام ١٨٨٢. كما وضعت تونس تحت الحماية الفرنسية في عام ١٨٨١[١٤].

وتحت هذه الظروف، حاول السلطان عبدالحميد الثاني تقوية الرابطة الإسلامية، عن طريق مفهوم الجامعة الإسلامية، وإستطاع استقطاب بعض زعماء العرب إلى جانبه، حيث قام ببناء سكة حديد الحجاز في المدة الواقعة بين ١٩٠١ ـ ١٩٠٨ والتي تبدأ من دمشق وتنتهي في المدينة المنورة[١٥].

---

(١٢) كريت جزيرة كبيرة في البحر الأبيض المتوسط، كانت تابعة للدولة العثمانية. وقد خصصت الحكومة العثمانية دستوراً خاصاً لها، وعينت لها والياً مدة خمس سنوات. وقامت في كريت وذلك منذ عام ١٨٦٨ مجموعة من الإضطرابات، كانت الغاية من ذلك الحصول على مزيد من الإمتيازات. راجع في هذا الصدد: مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني: مذكراتي السياسية ١٨٩١-١٩٠٨، المصدر السابق، ص ٦٤. وكذلك: الشناوي، محمد عبدالعزيز (دكتور)، المصدر السابق، ص ١٠٨٤-١٠٨٥. وأيضاً.

Roderic, op. cit., p. 92; Jr, Arthur, Goldschmidt, op. cit., pp. 174-176.

(١٣) Ercan, Yavuz, Gadirci, Musa, «The Armenian Question-Ahistorical Conspectus», Foreign Policy, Nol. 3, B No. I, Ankara, 1972, pp. 90-91.

وأيضاً: شفيق، أحمد، مذكراتي في نصف قرن، الجزء الثاني ب، من ١٩٠٣ - ١٩١٤، مطبعة مصر، ١٩٣٤، ص ٢٨٨.

(14) Roderic, op. cit., p. 92.

(١٥) كان مشروع سكة حديد الحجاز يعتبر من المشاريع الضخمة ذي التكاليف الباهظة، يقدر طول الخط بنحو ١٢٠٠ ميل، وقد قدرت تكاليفه بثلاثمائة ملايين من الجنيهات. إكتتب فيها العرب في سائر بقاع الوطن العربي. وتجدر الإشارة في هذا المجال، إن هذا المشروع كان أساساً من تفكير عزت باشا العابد، حيث خصص سبع سنوات لبناء هذا المشروع. راجع في هذا الصدد: =

وكان الغرض من ذلك تسهيل زيارة الحجاج إلى الديار المقدسة، وفي هذا المجال جاء في تقرير سفير بريطانيا في الأستانة عام ١٩٠٧ ما نصه: «يمكننا أن نقرر بأن من بين حوادث السنوات العشر الأخيرة على الأقل يوجد عنصران بارزان في الموقف السياسي العام، الأول هو خطة السلطان الماهرة التي استطاع بها أن يظهر أمام ثلاثمائة مليون من المسلمين في ثوب الخليفة الذي هو الرئيس الروحي في الدين الإسلامي، وأن يقيم لهم البرلمان على قوة شعوره الديني وغيرته الدينية ببناء سكة حديد الحجاز التي ستمهد الطريق في القريب العاجل أمام كل مسلم للقيام بفريضة الحج، وقد ترتب على هذه السياسة التي أصبح حائزاً على خضوع رعاياه له خضوعاً أعمى بشكل لم يسبق له مثيل ..»[١٦].

وقد أدت هذه الظروف جميعاً إلى بروز فكرة الجامعة الإسلامية، والتي كانت كرد فعل ضد مفهوم التنظيمات في الدولة العثمانية والذي كان يؤكد على توحيد المسلمين وغير المسلمين في إطار الدولة العثمانية. بموجب فكرة الجامعة الإسلامية أن المسلمين في الدولة العثمانية يجب توحيدهم وبزعامة السلطان العثماني. أما

= Kurkuoglu, Omer E., Turkiye nin Arap Orta Docusuna Karsi Politikasi (1945–1970), Sevinc Matbaasi, Ankara, 1972, ss. 3–4; Jr; Arthur Goldschmidt, op. cit., p. 175; Watson, Hazell and Uiney, The Ottoman and its Successors, Peter Manfield, Great Britian, 1973, p.20; Keddie, Nikki R., «The pan – Islamic Appeal : Afghani and Abdulhamid», Middle Eastern Studies, Vol. 3, No. 1, October, 1966, pp. 50-52.

وكذلك: حسين، محمد محمد (دكتور)، الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر من الثورة العرابية إلى قيام الحرب العالمية الأولى، ج١، ط٢، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٣١.

(١٦) جاء في كتاب جمال الدين الأفغاني: الأعمال الكاملة ما يلي:
«ومن السلطان عبدالحميد، الخليفة العثماني الداهية الذي «بنى الجامعة الإسلامية وشيد أركانها وأضاف إليها كل مطمع بعيد وغاية جليلة والذي ظلت دعوته إليها «تسير سيراً متوالياً مدة تقرب من ثلاثين سنة ..». راجع: جمال الدين الأفغاني: الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة، ج١، بيروت، ١٩٧٩، ص٦٥.

بالنسبة للمسلمين خارج الدولة العثمانية يجب أن يلتفوا على الخليفة العثماني في صراعهم من أجل الإستقلال والتخلص من السيطرة الأوربية. وفي الحقيقة ومنذ عام ١٨٨٢، انصبت الأحاديث والكتابات حول وحدة المسلمين وتجديد الفكر الإسلامي. إن طبيعة الوحدة الإسلامية أصبحت واضحة، ولكن الآراء إختلفت حول هذه الطبيعة. على الرغم من هذا التباين والاختلافات حول ذلك، إن المفكرين في تلك الحقبة إتفقوا فيما بينهم أن الخليفة لم يكن مجرد قوة روحية بل له علاقة وثيقة مع مفهوم الدولة، إنطلاقاً من مبادىء الإسلام برمتها، هذه المباديء التي تؤكد على العلاقة العضوية بين العالمين الروحاني والدنيوي، كما اتفق المفكرون على أن سبب الانحراف لم يكن فقط في فقدان وحدة المسلمين فحسب، بل تغلغل الأفكار العلمانية من الخارج[١٧].

إن عبدالحميد قد أكد على الأفغاني فيما يتعلق بفكرته عن الجامعة الإسلامية، وعلى هذا الأساس فإن وجود الأفغاني كان ضرورياً في هذه الحقبة في الأستانة، بالإضافة إلى ذلك فإن هذا الوجود كان يعطي السمعة لحكم عبدالحميد في كافة أنحاء العالم الإسلامي. وبالإمكان أن نضيف سبباً آخر، حيث كانت هناك أفكار متعددة عن الجامعة الإسلامية، وفي هذه الحالة إن وجود الأفغاني في الأستانة بالإمكان أن يكون حلقة وصل بين تركيا والعالم الإسلامي[١٨].

وفي الحقيقة إنه كانت هناك مفاهيم متعددة حول الجامعة الإسلامية، إذ أن بلنت[١٩] أراد أن يكتشف صورة جديدة للجامعة الإسلامية عن طريق إنتقاله وتجواله

---

(١٧) Berkes, Niyazi, The Development of Secularism in Turkey Montreal, Mcgill University press, Canada, 1964, pp. 266–268.

(١٨) Ibid., p. 267.

(١٩) كان بلنت شاعراً، حيث زار صحارى سوريا والجزيرة العربية في المدة الواقعة بين ١٨٧٧-١٨٧٩، كما وصل نجد عام ١٨٧٩، إلا أن بلنت قد إستقر في مصر لتقوية لغته العربية، ودراسة بعض الحركات السياسية والقضايا الحديثة في الفكر الإسلامي، وأثناء وجوده =

في مصر وسوريا ونجد، وعن طريق إتصالاته مع رؤساء البدو وبعض وجهاء مصر وعلماء جامعة الأزهر. إن الإختلاف بين الشكلين يعود إلى الشرعية في صحة

= في مصر تعرف بالشيخ محمد عبده. وسمع الكثير عن الأفغاني عن طريق الشيخ محمد عبده. وإلتقى بالأفغاني في عام ١٨٨٣، ونتيجة لذلك فإن الأفغاني يبدو أنه قد تأثر ببلنت. وقد رتب بلنت مؤتمراً ضم كبار موظفي وزارة الخارجية في لندن، ولبى الأفغاني دعوة بلنت حضور المؤتمر. ويبدو أن الأفغاني أصبح حلقة وصل بين المهدية في السودان والسياسة البريطانية في مصر، وقد إستخدمه بلنت في هذا الإتجاه.

يعتبر بلنت الأفغاني وعبده وعباس حلمي والكواكبي من الرواد الأوائل لحركة القومية العربية. وفي إعتقادنا أن هذه الصورة تعتبر خاطئة، لأن هؤلاء تحدثوا عن النهضة الإسلامية دون الحديث عن القومية العربية، ولا سيما أن قضايا القومية العربية قد إندمجت في تلك المدة إندماجاً تاماً مع الفكر الإسلامي، أما كون هؤلاء قد إستخدموا مصطلح القومية العربية، إنما استخدموها لمحاربة القوى الأجنبية، ولكن برداء إسلامي. أما فيما يتعلق بأفكار بلنت عن الجامعة الإسلامية، في إعتقادنا أن هذه السياسة إتبعتها بريطانيا للسيطرة على قناة السويس والبحر الأحمر. وكما يقول ارنولد توينبي بأن هذا المفهوم للجامعة الإسلامية قد خدم كثيراً نشأة فكرة القومية المحدودة، أكثر من توحيد المسلمين، كما أراد تحقيق السياسة البريطانية. راجع: Berkes, op. cit., pp. 268–270. وكذلك: الحوراني، ألبرت، الفكر العربي في عصر النهضة، المصدر السابق، ص ١٣٩-١٤٠. وبلنت هو مؤلف كتاب «مستقبل الإسلام»، وقد دعا في هذا الكتاب إلى نقل مقر الخلافة الإسلامية إلى الحجاز بدلاً من القسطنطينية.

وكان بلنت على صلة بزعماء الثورة العرابية، وقد تولى بلنت الدفاع عن عرابي بعد أسره ومحاكمته.

«يبدو أن الأفغاني أثناء وجوده في ضيافة بلنت قد غير رأيه تجاه بريطانيا، فهو أصبح يعتقد - كما يروي عن بلنت - أن في روسيا خطراً على العالم الإسلامي أشد من خطر بريطانيا، وهو يرغب في تحقيق تقارب بين بريطانيا والعالم الإسلامي».

أما عداوة الأفغاني بعد ذلك ضد بريطانيا، فإن ذلك يرجع إلى نزوة نفسية فلما أغضبه بلنت لأمر تافه، غضب على بريطانيا. راجع: غزال، مصطفى فوزي بن عبدالطيف، دعوة جمال الأفغاني في ميزان الإسلام، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٣، ص ١٢٣ - ١٢٨.

الخلافة، إن الأفضلية في الخلافة عند بلنت، هو أن يكون الخليفة من نسب قرشي. وقد كان بلنت يعتقد أن بريطانيا لا تشبه من حيث سياستها بقية الأقطار الأوروبية، إذ أن بريطانيا تعتبر صديقة للمسلمين، ولا بد في مثل هذه الحالة أن تقوم بالدفاع عن الخليفة[٢٠].

وتحت هذه الظروف، حاول السلطان عبدالحميد الثاني تقوية الرابطة الإسلامية عن طريق مفهوم الجامعة الإسلامية. واستطاع استقطاب بعض زعماء العرب إلى جانبه، حيث قام ببناء سكة حديد الحجاز في المدة الواقعة بين عام ١٩٠١ - ١٩٠٨ والتي تبدأ من دمشق وتنتهي في المدينة المنورة[٢١].

وفي الحقيقة أن بعض زعماء العرب قد ساندوا السلطان عبدالحميد أمثال

---

(٢٠) الحوراني، البرت، المصدر السابق، ص ١٤٠.

(٢١) كان مشروع سكة حديد الحجاز يعتبر من المشاريع الضخمة ذي التكاليف الباهظة. يقدر طول الخط بنحو ١٢٠٠ ميل، وقد قررت تكاليفه بثلاثة ملايين ليرة تركية إنتهى مده حتى المدينة على أيدي مهندسين ألمان ما بين سنة ١٩٠٠ - ١٩٠٨ إكتتب فيها العرب في سائر بقاع الوطن العربي، كما تبرع المسلمون في كافة أنحاء العالم بثلث نفقات الخط.
للمزيد من التفاصيل راجع:

Kurkcuoglu, Omer E., Turkiye Nin Arap Orta Docusuna Karsi Politikasi (1945–1970), Scvinc Matbaasi, Ankara, 1972, ss. 3–4; Jr, Arthur Goldschmidt, op. cit., p. 175.

وراجع أيضاً: حسين، محمد محمد (دكتور)، الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر من الثورة العرابية إلى قيام الحرب العالمية الأولى، المصدر السابق، ص ٣١. وراجع أيضاً:

بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين. ط٩، بيروت، ٩٨١، ص ٥٩٤. وكذلك

Keddie, Nikki R., «The Pan- Islamic Appeal : Afghani and Abdulhamid», Middle Eastern Studies, Vol. 3, No. I, October, 1966, pp. 50–52.

السنوسيين، بجانب ذلك كانت هناك معارضة من قبل الآخرين وعلى رأسهم الشريف حسين بن علي، حيث أجبر على البقاء في القسطنطينية بعيداً عن البلاد المقدسة «الحجاز»[٢٢].

إن تأكيد عبدالحميد الثاني على فكرة الجامعة الإسلامية، كان من ورائه تحقيق الأهداف التالية في السياسة الخارجية العثمانية:ـ

١ـ أراد عبدالحميد عن طريق فكرة الجامعة الإسلامية، تقويض المشاكل التي هزت كيان الدولة العثمانية، بعد موجة من حركات الاستقلال للشعوب التي كانت خاضعة لدولته. حيث ارتأى أن يواجه الأقطار الأوربية عن طريق العالمين العربي والإسلامي، دون أن ينفرد الأتراك العثمانيون بذلك.

٢ـ إن الفكر الإسلامي، كان يؤكد على الولاء والطاعة لشخص الخليفة، بما فيه من قوة ونشاط في العالم الإسلامي وهذا يؤدي إلى سيطرة عبدالحميد على أرجاء العالم المذكور. ولا سيما أنه كان يعاني من بعض المشاكل الداخلية، وذلك بعد ظهور مدحت باشا، وبعض الحركات السياسية التي تؤكد الانقضاض على السلطنة.

٣ـ إن الفكر الإسلامي كان في صراع مع الفكر السياسي الغربي الذي أخذ يعم أرجاء العالم الإسلامي، حيث أراد المسلمون التخلص من السيطرة الأجنبية سواء أكانت بريطانية أو فرنسية أو روسية. وكان ذلك خير وسيلة بيد عبدالحميد لمحاربة الدول المذكورة.

٤ـ أما فيما يتعلق ببناء سكة حديد الحجاز، فإن الغرض لم يكن دينياً بحتاً فحسب، وإنما كانت هناك أغراض سياسية وعسكرية، يأتي في مقدمتها تسهيل عمليات نقل الفيالق التركية إلى المناطق العربية في حال نشوب حروب أو ثورات معادية للدولة العثمانية. وفي هذا الصدد يقول عبدالحميد: «... فإذا أوصلنا هذا

---

(٢٢) Roderic, op. cit., p. 94; Kurkcuoglu, op. cit., ss. 3-4.

الخط بسوريا وبيروت والإسكندرية وحيفا نكون قد أوجدنا طريقاً تجارياً جديداً. ولن يقتصر هذا الطريق على در الفوائد الاقتصادية العظيمة لدولتنا، بل سيتعداها إلى الناحية العسكرية فيدعم قوة جيشنا هناك»[٢٣].

---

(٢٣) السلطان عبدالحميد الثاني: مذكراتي السياسية: المصدر السابق، ص ٦٧. وكذلك حلاق، حسان علي، المصدر السابق، ص ٢٧٤ـ٢٧٥.

المبحث الثاني

محاولات هرتزل عند عبد الحميد الثاني

في خضم التطورات السابقة تحرك هرتزل[٢٤] للتأثير على الدولة العثمانية بغية

---

(٢٤) ولد تيودور هرتزل (بنيامين زئيف) في مدينة بودابست بهنغاريا على نهر الدانوب لابوين يهوديين كان أبوه موظف بنك هنغاري. وأدخل في مدرسة إبتدائية هناك، وكان عمره نحو ست سنوات، ثم إنتقل إلى مدرسة ثانوية علمية وعمره عشر سنوات، ومنها انتقل إلى الكليه الإنجيلية وعمره نحو الخامسة عشرة، حيث أنهى دراسته فيها في عام ١٨٧٨، وفي الحقبة نفسها توفيت أخته الوحيدة، فقررت العائلة الهجرة إلى فينا، حيث التحق فيها هرتزل إلى جامعتها وتخرج منها سنة ١٨٨٤، حاصلاً على درجة الدكتوراه في القانون. وفي الحقيقة كان هرتزل مصمماً على دراسة الأدب والمسرح الألمانيين، ولكن والديه رأيا أنه بحاجة إلى مهنة، فادخلاه كلية الحقوق في جامعة فينا. وقد عمل فترة قصيرة في المحاكم. وكان معجباً بغوته وشيلر وموزارت وبتهوفن. راجع جريس، موسى، المصدر السابق، ص ١٤٣ وكذلك: الدملوجي، صديق، مدحت باشا، مطبعة الزمان، بغداد، ص ١٤٧.

نشأ هرتزل بين بحرين غير متكافئين بين التقاليد الدينية اليهودية وبين الثقافة الألمانية العصرية الأقوى أثراً، ومع أنه كان يراعي التقاليد الدينية، إلا أن حماسته اتجهت إلى الثقافة التي مركزها فينا، وقد جذب هذا المركز عائلة هرتزل فرحلت إليه في عام ١٨٧٨. راجع: الدملوجي، مدحت، المصدر السابق، ص١٤٧.

«تأثر هرتزل بموشي هيس وكتابه «الدولة اليهودية» كذلك تأثر حاييم وايزمن بليون نبسكر وكتابه «التحرير الذاتي» ولهذا كان هرتزل يقول بحث المشكلة على أساسي دبلوماسي دولي بالدرجة الأولى، عن طريق الاتصال بالمحاكم وذوي النفوذ والسلطة والجاه في العالم، بينما =

تحقيق الأهداف الصهيونية المرسومة. ومن هنا ركز هرتزل على فلسطين، ولكن من جانب آخر أدركت الحكومة العثمانية نوايا الحركة الصهيونية بعد دراسة الأفكار السياسية لهرتزل.

ونتيجة لذلك خاطب المندوب العالمي العثماني في مصر السير Evelyn Baring القنصل العام البريطاني[٢٥] مؤكداً قلق السلطات لمحاولات استيطان اليهود في الساحل الشرقي من خليج العقبة[٢٦]. ومع ذلك فقد أخبر عبدالحميد في سنة تالية رئيس الحاخاميين في الدولة العثمانية حول إمكانية استيطان اليهود الروس واللاجئين اليهود من دول أخرى في أناضول الشرقية[٢٧].

= كان وايزمن يقول بوجوب تغليب الهجرة وإنشاء المستعمرات، وبعث الشعور القومي عند اليهود بإحياء اللغة العبرية والتراث العبري. وعلى هذا الأساس اتجه هرتزل إلى الملوك والقياصرة وكل من بيده شيء من النفوذ والسلطة.. وايزمن اتجه إلى بارونات المال اليهود، يشتري بأموالهم الأرض وينشيء المستعمرات ويهجر اليهود إلى فلسطين، ويحيي اللغة العبرية والتراث العبري». راجع سنقرط، داود عبدالعفو، اليهود في الوطن العربي، المصدر السابق، ص ١٥.

(٢٥) على الرغم من أن مجلس الوزراء العثماني قد عالج مسألة استيطان اليهود في فلسطين في عام ١٨٨١، إلا أن موضوع إتخاذ القرار كان بيد عبدالحميد إلى قيام الثورة الدستورية عام ١٩٠٨ راجع في هذا الصدد:

J. Mandel, Neville «Ottoman Policy Restrictions on Jewish Settlement : 1881–1908», op. cit., p. 316.

(٢٦) Ibid.,

(٢٧) ارتأى اليهود الهجرة إلى شبه جزيرة سيناء على أساس أنها تضم الوادي المقدس طوى الذي كلم الله سبحانه وتعالى فيه موسى عليه السلام تكليماً. إلا أن السلطان سليم الأول الذي دخل مصر عام ١٥١٧ منع اليهود من الهجرة إليها، حيث أصدر فرماناً خاصاً بهذا الصدد. كما أصدر السلطان سليمان فرماناً لاحقاً، أكد على فرمان والده في عام ١٥٢٠، وفي أثناء حكم سليمان الذي دام ستة وأربعين عاماً (١٥٢٠-١٥٦٦) لم يستطع اليهود تحقيق مآربهم في سيناء. إلا أن الأمر تغير بعد وفاته، حيث تسلم الحكم سلاطين ضعفاء، لم يدركوا =

= مخاطر الصهيونية، حيث قامت هجرات على فترات متقطعة إلى سيناء لاستيطانها وذلك على عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ ـ ١٥٩٦). وقد إنصبت جهود اليهود في هذه الحقبة على الإستقرار في مدينة الطور، حيث أن المدينة المذكورة تقع على الساحل الشرقي لخليج السويس، لها ميناء يصلح لرسو السفن التجارية. وكانت مركزاً للسفن القادمة من ينبع وجدة وسواكن والعقبة والتزم والسويس، بالإضافة إلى إرتباطها من الناحية البرية بخطوط قوافل مع القاهرة والفرما. كل ذلك قد ساهم في قيام اليهود بإيجاد علاقات خارجية، وعدم وقوعهم في عزلة عن العالم الخارجي، علاوة على ذلك فإن المدينة سوف تصبح مركزاً لجماعات من اليهود الجدد الذين يتدفقون إليها من الدول المجاورة.

وقد تزعم فكرة هجرة اليهود إلى مدينة الطور رجل يهودي تطلق عليه وثائق ذلك العصر إبراهام اليهودي إستوطن الطور مع أولاده وسائر أفراد أسرته. إلا أن الوضع قد تفجر بين هؤلاء اليهود ورهبان دير سانت كاترين، حيث شكا الأخير عند السلطات المحلية العثمانية في القاهرة، وقد إستند هؤلاء على مجموعة من الحقائق، بالإمكان إيجازها في الآتي:-

١- إن دير سانت كاترين هو مكان مقدس يجب ألا يتعرض رهبانها إلى الاضطهاد والإيذاء من قبل اليهود المهاجرين.

٢- لم يكن من حق اليهود الاستقرار في مدينة الطور بأي حال من الأحوال.

٣- تمسك الرهبان بمجموعة من الفرمانات والأوامر التي أصدرتها السلطة العثمانية في القاهرة لصالحهم والتي تقضي بمنع اليهود من الاستيطان في سيناء ومن الإقامة في الطور.

٤- يهاجر اليهود وبأعداد كبيرة إلى سيناء، من أجل إثارة الفتن فيها.

٥- عدم تقيد اليهود بالعادات والتقاليد السائدة في المجتمع.

ونتيجة لذلك، فقد قامت السلطة العثمانية في القاهرة بإصدار فرمانات ديوانية ثلاثة، كان من نتيجتها إخراج إبراهام اليهودي وزوجته وأولاده وسائر اليهود من سيناء، ومنعهم من العودة إليها بما فيها مدينة الطور والإقامة فيها.

وفي الحقيقة يرجع اهتمام اليهود بسيناء للمرة الثانية بعد إخفاق جهود الصهيونية من الحصول على فلسطين، حيث أطلق هرتزل عليها إسم فلسطين المصرية. ولتحقيق ذلك فقد فكرت الصهيونية في استيطان منطقة العريش أي في شمال سيناء بدلاً من جنوبها، وعلى ذلك فقد حاول هرتزل استمالة بريطانيا بجانب الحركة الصهيونية لتحقيق هذا الغرض، ولاسيما أن =

= بريطانيا أصبح لها بعض النفوذ على أسرة محمد علي. وقد تم ذلك فعلاً عندما دخل هرتزل في مفاوضات مع الجانب البريطاني. وبعد سلسلة من المفاوضات تكونت لجنة وذلك في عام ١٩٠٢ من ثمانية أعضاء أكدت الصهيونية أنها تمثل السلطة المصرية، ولكن الواقع هو غير ذلك إذ ليس من بين أعضائها مصري واحد، بل كان هؤلاء من الأجانب، وكان من الصعوبة بمكان تحديد الأسماء اليهودية والأسماء الإنكليزية من غير اليهود، وكانت الغاية من هذه اللجنة هي إقامة دولة يهودية في المنطقة المذكورة في إطار الإمبراطورية البريطانية. وقد حددت اللجنة أهدافها التي تركزت في دراسة المشروع بشكل ميداني، وإنشاء إدارة يهودية في العريش، وإيجاد مجالس بلدية يهودية في سيناء بغية إستغلال الأراضي. وتمكنت اللجنة من أداء مهمتها في آذار ١٩٠٣ حيث توصلت إلى مجموعة من القرارات التي تقضي أن سيناء منطقة صالحة لاستيطان اليهود، وأن العريش هي الانطلاقة لإدخال المشروع إلى حيز الوجود، كما قدمت اللجنة إقتراحين حول المشروع المذكور، يتركزان في:-

١- أن لا تكون الدولة المقترحة تحت حكم مصر، وإنما تحت حكم بريطانيا.

٢- أن يسمح لها بجلب ماء النيل إلى سيناء.

إلا أن مقترحات اللجنة بقيت حبراً على ورق لاعتبارات كثيرة بالإمكان إيجازها فيما يلي:

١- رفض الرأي العام المحلي المصري مقترحات اللجنة.

٢- إعتراض السلطان عبدالحميد الثاني مقترحات اللجنة هذه.

٣- أكدت حكومة الباب العالي في الأستانة، على عدم موافقتها على قيام أسرة محمد علي وعدم شرعية القرارات التي أصدرتها هذه الأسرة لصالح إستيطان اليهود في الأراضي المصرية.

٤- اعتذار الحكومة البريطانية عن تنفيذ مقررات اللجنة، حيث أرسلت وزارة الخارجية البريطانية مذكرة إلى هرتزل في ١٩ حزيران ١٩٠٣ في هذا الصدد، كما أنها بعثت بمذكرة أخرى في تموز ١٩٠٣، أكدت فيها على تنازلها بصفة نهائية عن المشروع المذكور. للمزيد من المعلومات راجع: الشناوي، عبدالعزيز (دكتور)، المصدر السابق، ص ٩٦٦ ـ ٩٧٢.

ويجب أن نؤكد في هذا المجال أن عبدالحميد كان يحاول تجريد خديوي مصر من جزيرة سيناء وضمها إلى الدولة العثمانية، كي تكون بعيدة عن محط أنظار اليهود، لأن وصول اليهود إلى العريش كان معناه وصولهم إلى فلسطين، ومن جانب آخر فإن عبدالحميد كان =

وقد رحب رئيس الحاخاميين بهذا الإقتراح، وإن لم يدخل ذلك في حيز التنفيذ. وفي هذا الصدد يؤكد المؤرخ اليهودي التركي ابراهام غالانتي. أن مجلس الوزراء العثماني اعتبر اقتراح عبدالحميد اقتراحاً سيئاً[٢٨].

وقد حاول هرتزل التأثير على عبدالحميد، بغية استيطان اليهود في فلسطين ولا سيما أن الدولة العثمانية كانت تعاني من مشاكل مالية متعددة، إذ كانت الأحوال الاقتصادية في البلاد على درجة من السوء بحيث فرضت الدول الأوربية الدائنة وجود بعثة مالية أوربية في تركيا العثمانية للإشراف على أوضاعها الاقتصادية ضماناً لديونها، الأمر الذي دفع عبدالحميد أن يجد حلا لهذه المعضلة.

كانت هذه الثغرة هي السبيل الوحيد أمام هرتزل، كي يؤثر على سياسة عبدالحميد تجاه اليهود. وفي هذا الصدد يقول هرتزل في مذكراته: «علينا أن ننفق عشرين مليون ليرة تركية لاصلاح الأوضاع المالية في تركيا ••• مليونان منها ثمناً لفلسطين والباقي لتحرير تركيا العثمانية بتسديد ديونها تمهيداً للتخلص من البعثة الأوربية ••• ومن ثم نقوم بتمويل السلطان بعد ذلك بأي قروض جديدة يطلبها[٢٩]

= على دراية تامة لأهمية مصر بالنسبة لفلسطين، وعليه فقد إنصبت جهوده على الاستحواذ والسيطرة عليها. ولكن الظروف السياسية والعسكرية التي أحاطت بحكم عبدالحميد، وتأكيد بريطانيا على مصر، كان السبب وراء عدم تحقيق ذلك.

راجع: حلاق، حسان علي، المصدر السابق، ص ٢٧٣-٢٧٤

(٢٨) J. Mandel, Neville, «Ottoman Policy and Restrictions on Jewish Settlement: 1881–1908», op. cit., pp. 316–317.

(٢٩) اتضح الموقف البريطاني من الحركة الصهيونية وذلك منذ عام ١٨٤٠، حيث كتب بالمرستون وزير خارجية بريطانيا رسالة إلى نائب القنصل الإنكليزي في القدس يأمره فيها: «من الواضح أنه سيكون للسلطان مصلحة كبيرة في أن يشجع اليهود على أن يعودوا إلى فلسطين، وأن يستقروا فيها... أحمل هذه الفكرة سراً للحاكم التركي، وأطلب منه في صراحة تامة أن يشجع يهود أوربا على العودة إلى فلسطين». راجع: سوسة، أحمد (دكتور)، العرب واليهود في التاريخ: حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية، ط٢، العربي =

ونتيجة لهذه الظروف فقد أجرى هرتزل إتصالات مكثفة مع المسؤولين في ألمانيا والنمسا وروسيا وإيطاليا وإنكلترا[٣٠].

وكانت الغاية من هذه الاتصالات هي إجراء حوار مع عبدالحميد. وفي هذا الصدد فقد أوحى لاندو منذ ٢١ شباط ١٨٩٦ الصديق اليهودي لهرتزل أن يقوم بواسطة صديقه نيولنسكي رئيس تحرير «بريد الشرق»[٣١]. وفي هذا المجال يقول هرتزل: «إن نحن حصلنا على فلسطين، سندفع لتركيا كثيراً أو سنقدم عطايا كثيرة لمن يتوسط لنا. ومقابل هذا نحن مستعدون أن نسوي أوضاع تركيا المالية. سنأخذ الأراضي التي يمتلكها السلطان ضمن القانون المدني، مع أنه ربما لم يكن هناك فرق بين السلطة الملكية والممتلكات الخاصة»[٣٢].

وتكللت جهود هرتزل بالاجتماع مع خليل رفعت باشا عن طريق خير الدين بك أمين سره، وقد قامت محاورة بينهما، إذ قال رفعت باشا لهرتزل: «إن فلسطين واسعة وكبيرة، فما ذلك القسم من البلاد الذي يفكر به». وطلب هرتزل أن يكون جوابه: «يجب قياس ذلك لقاء المنافع التي نقدمها. كلما حصلنا على مزيد من الأرض، نكون على إستعداد للقيام بتضحيات أكبر»[٣٣].

ونتيجة لذلك، قام هرتزل بزيارة إلى القسطنطينية وذلك في حزيران عام

= للإعلان والطباعة والنشر، (بلا)، ص ٣٥٤.

(٣٠) هويدي، أمين، كيف يفكر زعماء الصهيونية، دار المعارف بمصر، ١٩٧٤، ص ٢٩-٣٠.
وكذلك يوميات هرتزل: إعداد أنيس صايغ، ترجمة هلدا شعبان صايغ، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ط٢، بيروت، ١٩٧٣، ص٢٨.

(٣١) نيولنسكي، بولوني عمل في السابق ملحقاً في سفارة النمسا في الأستانة، وكان على إطلاع حسن على أوضاع البلد وحكامها. راجع: جريس، صبري، المصدر السابق نفسه، ص ١٥٢.

(٣٢) Laqueur, Walter, A history of Zionsim, London, 1972, p. 100; Eban, op. cit., p. 116.

(٣٣) رزوق، أسعد (دكتور)، إسرائيل الكبرى، المصدر السابق نفسه، ص ٨٧.

١٨٩٦، ورافقه في هذه الزيارة نيولنسكي، وإنصبت جهودهما في لقاء ابن الصدر الأعظم، كي يرتب لهما لقاء مع والده، إلا أن ابن الصدر الأعظم قد أكد لهما بأن الإحتلال اليهودي لفلسطين يعتبر إساءة لمشاعر المسلمين فيها[٣٤].

وأشار نيولنسكي لهرتزل بأن يعمل جاهداً في لقاء القنصل الروسي في Pera on Yokoulev ولا سيما إن تأثير روسيا في تلك المرحلة كان قوياً في قصر يلدز. واستطاع فعلاً أن يلتقي مع القنصل وذلك في ١٨ حزيران عام ١٨٩٦[٣٥].

وقد حاول هرتزل أن يلتقي مع محمد نوري بك الدبلوماسي في وزارة الخارجية العثمانية[٣٦].

إلا أن نوري بك قد أدرك أراء هرتـزل، وعلى هذا الأسـاس قدمه إلى داود أفندي[٣٧] المترجم الأول في وزارة الخارجية العثمانية، وقد قدم الأخير هرتزل إلى وزير الخارجية[٣٨].

وعندما باءت جهود هرتزل بالإخفاق عند وزير الخارجية العثماني، حاول أن يلتقي ثانية مع صديقه نيولنسكي، ولا سيما كانت هناك علاقات ودية بين نيولنسكي وعبدالحميد، ونتيجة لذلك فقد نقل نيولنسكي آراء هرتزل إلى قصر يلدز، وقد دارت محاورة بين نيولنسكي وعبدالحميد[٣٩] إذ قال السلطان له: «هل بإمكان اليهود أن

---

(٣٤) Stewarl, Desmond, Theodor Herzl Artist and Politician, London, 1974, p. 236; Laqueur, op. cit., p. 108.

(٣٥) Ibid., pp. 236-237.

(٣٦) كان والده فرنسياً، دخل إلى الإسلام، ومن أم جركسية، تعلم في فرنسا وقد تدرج في الخارجية العثمانية إلى أن وصل إلى درجة السكرتير الأول وذلك منذ عام ١٨٩٣. راجع:
Stewart, op. cit., p. 237.

(٣٧) داود أفندي يهودي عثماني.

(٣٨) Stewart, op. cit., p. 237.

(٣٩) عهد هرتزل لنيولنسكي بأن يعرض على عبدالحميد رشوة بمبلغ مليون جنيه مقابل الحصول =

يستقروا في مقاطعة أخرى غير فلسطين؟[٤٠] أجاب نيولنسكي قائلاً:-

«تعتبر فلسطين هي المهد الأول لليهود، فعليه فإن اليهود لهم الرغبة في العودة

= على فلسطين، بالإضافة إلى تقديم قرض للدولة العثمانية، يبلغ قيمته عشرين مليون جنيه إسترليني مقابل استيطانهم في فلسطين. راجع في هذا الصدد: الشناوي، عبدالعزيز محمد، المصدر السابق، ص ٩٩ وكذلك: س. ناجي، المصدر السابق، ص ص ٤٤-٤٥.

(٤٠) كانت هناك مجموعة من الاقتراحات حول استيطان اليهود في الدولة العثمانية، وتتركز هذه الاقتراحات في نقطتين رئيستين هما:

١- منح اليهود حرية الإقامة واستعمار الأراضي في الأناضول والعراق وسوريا في نظير مليون وستمائة ألف جنيه استرليني، ولكن هرتزل رفض هذا الإقتراح. وكان هذا من اقتراح عبدالحميد.

٢- إستيطان اليهود في أفريقيا الشرقية والتي سميت بمشروع أوغندا.

وقد تردد هرتزل في بداية الأمر قبول هذا المشروع إلا أنه عاد وقبل ذلك، ويعزى السبب في ذلك إلى:-

أ- أرادت الحركة الصهيونية ممارسة الضغط الدبلوماسي على تركيا العثمانية عن طريق هذا المشروع.

ب - إن ذلك يعتبر إعترافاً ضمنياً من قبل بريطانيا بالحركة الصهيونية، لأن بريطانيا كانت طرفاً في هذا الإقتراح. ومع ذلك فإن هذه الإقتراحات لم تغير من المخططات الصهيونية بشأن إستعمار فلسطين حيث يقول في هذا الصدد هرتزل: «آمالنا في تحقيق هدفنا النهائي، لم تكن في يوم من الأيام أقوى مما هي عليه الآن، وسيقوى نضالي من أجل أرض صهيون ويعظم ويشتد بفضل القوى والظروف الجديدة التي أصبحت من جانبنا». راجع في هذا الصدد:

Weizmann, op. cit., p. 113.

وكذلك: سوسة، أحمد، المصدر السابق، ص ٣٥٨.

وتجدر الإشارة في هذا المجال، أنه كانت هناك مشاريع أخرى لاختيار أماكن أخرى لانشاء الوطن القومي لليهود، كانت هناك فكرة لاختيار أستراليا وأماكن أخرى مثل كندا وبعض الولايات الأمريكية. راجع: بعيو، مصطفى عبدالله، المصدر السابق، ص ٥٨.

إليها»، ورد السلطان قائلاً: «إن فلسطين لا تعتبر مهداً لليهود فقط، وإنما تعتبر مهداً لكافة الأديان الأخرى». أجاب نيولنسكي قائلاً: «في حالة عدم استرجاع فلسطين من قبل اليهود فإنهم سوف يحاولون الذهاب وبكل بساطة إلى أرجنتين»(٤١).

بعد كل هذه الوساطات من قبل هرتزل، بعث عبدالحميد رسالة إلى نيولنسكي جاء فيها: «انصح صديقك هرتزل، أن لا يتخذ خطوات جديدة حول هذا الموضوع، لأني لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدسة، لأنها ليست ملكي، بل هي ملك شعبي. وقد قاتل أسلافي من أجل هذه الأرض، ورووها بدمائهم. فليحتفظ اليهود بملايينهم. إذا مزقت دولتي، من الممكن الحصول على فلسطين بدون مقابل، ولكن لزم أن يبدأ التمزيق أولاً في جثتنا. ولكن لا أوافق على تشريح جثتي وأنا على قيد الحياة»(٤٢).

وفي هذا الصدد يقول عبدالحميد في مذكراته:-

«من المناسب أن نقوم باستغلال الأراضي الخالية في الدولة، وهذا يعني من جانب آخر، أنه كان علينا أن ننهج إتباع سياسة تهجير خاصة، ولكننا لا نجد أن هجرة اليهود مناسبة، لأن غايتنا هي استيطان عناصر تنتمي إلى دين أسلافنا وتقاليدنا، حتى لا يستطيعوا من الهيمنة على زمام الأمور في الدولة»(٤٣).

---

(٤١) وفي هذه المدة بالذات، إزدادت النشاطات الصهيونية، حيث بعث اليهود في الدولة العثمانية برقية إلى عبدالحميد، تضمنت النقاط الآتية:-

١- قيام العمال الزراعيين والصناعيين اليهود بإيجاد المستعمرات الزراعية.
٢- تقوية العاطفة والقومية اليهودية.
٣- خطوات تمهيدية نحو إيجاد الحكومة.
٤- إيجاد الإرتباطات المحلية والدولية مع اليهود في جميع أنحاء العالم.

راجع: Stewart, op. cit., pp. 243, 255.

(٤٢) Stewart, op. cit., p. 238; J. Mandel, Neville, op. cit., p.317.

(٤٣) Abdul Hamit, Sultan, Siysai Hatiratim Haraket Yayinlari, Istanbul, 1974, s. 57.

وبعد هذه الزيارة إلى القسطنطينية وعودته منها، كتب هرتزل قائلاً: «عندما أتذكرك أيتها القدس في المستقبل فإن ذكرياتي ستكون حزينة ... فإن ما مر بك من ظلم ومهانة على مدار ألفي عام جعل رائحة العفونة تنبعث من شوارعك الضيقة، وجعل القاذورات تملأ كل شبر فيها ... وقد لعب الرجل - ذلك الناصري الحالم طيلة فترة وجوده هناك دوره في زيادة الكراهية لنا. فإذا ما حصلنا على القدس في يوم من الأيام فسأبدأ بتنظيفها ... سأزيل كل ما هو غير مقدس وسأحرق كل الأثار العلمانية، ولن أبقي داخل أسوار القدس إلا على الأماكن المقدسة وبيوت العبادة والمؤسسات الخيرية. أما خارج الأسوار فستبنى القدس الجديدة على الجبال العريضة التي تحيط بالمدينة، وحينئذ سوف يراها كل من هو قادم إليها من جبل الزيتون. إني أريد أن أحول القدس إلى جوهرة»(٤٤).

وبعد إخفاق جهود هرتزل في واسطة نيولنسكي، اتجه هرتزل إلى قيصر وليم الثاني امبراطور ألمانيا، ولا سيما أنه كان صديقاً لعبدالحميد، بالإضافة إلى كون وليم الثاني هو الحليف الوحيد للعثمانيين في أوربا(٤٥).

---

(٤٤) هويدي، أمين، المصدر السابق، ص ٣١.

في الحقيقة بعد تأسيس الكيان الصهيوني في الأرض المحتلة، قامت الدبلوماسية الصهيونية وعلى مراحل، السيطرة على القدس، وقد تم لها ذلك في أعقاب ٥ حزيران عام ١٩٦٧، حيث قام الكيان الصهيوني بتطبيق مقولة هرتزل السابقة، إذ أزالت جميع الآثار العربية في مدينة القدس، حيث أن هرتزل يقصد بها الآثار العلمانية، وتم ذلك في حرق المسجد الأقصى في عام ١٩٦٩. وهذا يعني أن التخطيط الصهيوني يرجع إلى تاريخ أسبق من قيام الكيان الصهيوني في الأرض المحتلة، حيث أن هذا التخطيط يؤكد التفاعل بين القوى والمواقف، والربط بين الفكر والحركة في عملية مستمرة، يرجع إلى المؤتمرات الصهيونية الأولى. أما الوطن العربي فإنه دخل في دوامة من الخلافات، ولم يدرك مخاطر الصهيونية إلا في أعقاب حرب حزيران عام ١٩٦٧. وقد ان للعرب أن يدركوا هذه الأمور بصورة جيدة، وأن يحسبوا لحسابات المستقبل.

(٤٥) Kurkcuoglu, Omer, «Towards the Middle East Conflict» Foreign Policy Vol. V, No. 4, 1976, Tisa Mat- =

ولأجل ذلك، اتصل هرتزل بصديقه دوق الأكبر، ثم اجتمع مع إفلبنيرغ سفير ألمانيا في النمسا وفون بيلوف وزير خارجية ألمانيا، وأخيراً مع مستشار ألمانيا نفسه هو هوهنلوهي. وفي هذه اللقـاءات أقنع هرتزل المسؤولين الألمان بالتوسط لدى القيصر مؤكداً «إن أساساً ثقافياً ألمانيا سيدخل مع اليهود إلى الشرق» وإن الحركة الصهيونية «تبعد اليهود عن الاشتراكية» وإنها تطالب بالسيطرة على مساحة من الأرض في فلسطين بغية الهجرة إليها»(٤٦).

---

baacilik Sanayii, Ankara, p. 24; Eban, op. cit., p. 335.

= بعد موقف روسيا من اليهود في أعقاب محاولة اغتيال القيصر الروسي إسكندر الثاني في آذار ١٨٨١، أخذ عدد كبير من اليهود الهجرة إلى ألمانيا والنمسا. وفي هذا المجال أصدرت وزارة الداخلية الألمانية تعليمات مؤقتة عام ١٨٨٢ بغية إبعادهم من ألمانيا. وفي الحقيقة لم تنقطع الهجرة اليهودية من أوربا الشرقية إلى ألمانيا حتى بداية الحرب العالمية الأولى.

راجع: محافظة، علي (دكتور)، العلاقات الألمانية ـ الفلسطينية ١٨٤١-١٩٤٥، المصدر السابق، ص١٣٩.

قدم اليهود مذكرة إلى المستشار الألماني أوتوفون بسمارك خلال إنعقاد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨، والتي تتضمن دعوة الأقطار الأوربية المساهمة في المؤتمر إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين. وقد أجاب بسمارك على مذكرتهم قائلاً: «إنها فكرة حمقاء».

إضافة إلى ذلك، بعث هرتزل نسخة من كتابه: «الدولة اليهودية» إلى بسمارك، مرفقة برسالة، جاء فيها: «أضع بين أيديكم مشروعي حول تأسيس دولة يهودية في فلسطين المجزأة، وإذا ارتأيتم واقعية مشروعي فستكون هذه الدولة من أخلص حماة مصالحكم في المنطقة».

راجع: المصدر السابق، ص١٤١.

(٤٦) جريس، صبري، المصدر السابق، ص ص ١٦٣- ١٦٤.

زار وليم الثاني جامع عمر برفقة ممثل سوريا العام، كما التقى مع الطائفة الرومانية الكاثوليكية اليونانية. راجع في هذا الصدد:

Stewart, op. cit., pp. 274-275.

حاول هرتزل عن طريق صديقه فورت اليهودي الاتصال مع وليم الثاني وبناء على =

وقد استغل هرتزل زيارة قيصر ألمانيا إلى القدس وذلك في تشرين الأول عام ١٨٩٨، حيث تسلم رسالة من القنصل الفرنسي ومندوب اليهود في القدس، وقد تضمنت هاتان الرسالتان وجهة النظر اليهودية لإقامة المستعمرات في فلسطين.

وقد ألقى هرتزل كلمة أمام قيصر ألمانيا جاء فيها: «يتقدم وفد من أبناء إسرائيل إلى القيصر بإحترامهم العميق وهم على أرض البلاد التي كانت لآبائهم في الأيام الخالية والتي لم تصبح لهم الآن. لقد نجحنا في إثارة الشعور القومي عند أبناء ديننا المتفرقين في كل أنحاء العالم، ففي مؤتمر بازل وضعنا برنامج حركتنا تحت أنظار العالم أجمع. ذلك البرنامج الذي يدعو إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي ضمن إطار القانون ... فهي أرض أجدادنا وهي أرض صالحة للزراعة والاستثمار .. لقد رأيتم جلالتكم البلاد ولمستم أنها تستصرخ أناساً يعملون فيها وبين إخواننا جماعات ضخمة من العمال يصرخون بدورهم طالبين أرضاً يزرعونها. لذلك نطلب مساعدة جلالتكم السامية من أجل تحقيق المشروع».

أجاب وليم الثاني على كلمة هرتزل قائلاً: «بأن هذه المساعي سوف تبقى في ذهنه بغية تحسين الزراعة في فلسطين وذلك لرفاهية ومصلحة الدولة العثمانية»(٤٧).

= تشجيع القس البريطاني وليم هشلر الذي كان مربياً في بلاط فريدريش دوق بادن الكبير من أقرباء وليم الثاني. وفي هذا الصدد قال هشلر للدوق: «كنت يا صاحب السمو أول أمير ألماني دعا في فرساي لتنصيب وليم إمبراطور فما رأيك بأن تلعب دوراً في إنشاء عظيم الدولة تقوم في هذا القرن أيضاً، لأن اليهود سيكونون أمة عظيمة». وقد نجحت جهود هشلر في مقابلة هرتزل بدوق بادن في ٢٣ نيسان ١٨٩٦.

وقد اهتم بادن الكبير باقتراح هرتزل بإنشاء دولة يهودية، ولا سيما بعد أن طمأنه هرتزل بأن الذين سيذهبون من اليهود إلى فلسطين هم فقط الفئة التي تبغي الذهاب إليها. كما أن هرتزل بين للدوق مدى الامتيازات التي تحصل عليها الأقطار الأوربية من قيام الدولة اليهودية. راجع المصدر السابق، ص ١٤٢-١٤٣.

(٤٧) هويدي، المصدر السابق، ص٣٤. =

. . . .

= وفي هذا المجال كتب هرتزل إلى دوق بادن، جاء فيها: «أليس غريباً هذا التطور في الحوادث الـذي جرى في الشـرق منذ حظيت منذ سنتين بالسماح لي بأن أقدم الحركة الصهيونية في كارلسـروه. لقـد تحولت سياسة ألمانيا في إتجاه شرقي ورحلة القيصر إلى القدس ترمز إلى أكثر من معنى. ولهذا فأنا متأكد أكثر من أي وقت آخر أن حركتنا ستنال المساعدة . . .». راجع: محافظة، علي، العلاقات الألمانية ـ الفلسطينية ١٨٤١-١٩٤٥، المصدر السابق. ص١٤٥.

والأكثر من هذا بعث هرتزل رسالة إلى وليم الثاني، جاء فيها: «دعني أوضح نقطة واحدة من نقـاط كثيرة تدعم فكرة الصهيونية: وهي أن العنصر الحضاري الذي يمكنه أن يحتل فلسـطين هو اليهـود. إن البـلاد أفقـر من أن تجذب غيرهم. أما بالنسبة إلينا فإنها غنية بالذكريات والآمال.

وفلسطين يجب أن تحتل إلى أوفير وإلى كياشو . . وإني أرى أن أوربا مستعدة لأن تشجع اليهود على الإحتلال أكثر من غيرهم . . ستذهب يا صاحب الجلالة إلى فلسطين، وسيكون لموكبكم عظمة رمزية . . إن هذه الرحلة إلى صهيون ستترك أثراً لا يمحى في التاريخ إذا كانت لها علاقات مع الحركة الصهيونية الجديدة. منذ وقت وأنا أشعر أن المساعدة ستأتينا من جلالتكم أن يأمرني متى أراد، وليكن ذلك قريباً. إن من صالح القضية أن أعرف بقبولك طلبي قبل ذهابك إلى فلسطين وقبل إنعقاد المؤتمر الثاني في بازل على أن الإنسان أمام مشاريع كهذه يجب أن يكون صاحب صبر وطول أناة».

راجع: المصدر السابق، ص١٤٦.

وقد أعلن قيصر ألمانيا عن رغبته في مقابلة وفد يهودي في القدس عند زيارته إليها. وفي هذا المجال كتب هرتزل قائلاً: «ستمكن الصهيونية اليهود من حب ألمانيا ثانية، ألمانيا التي ظلت قلوبنا متعلقة بها بالرغم من كل شيء.» راجع: المصدر نفسه، ص ١٤٧.

ونتيجة لهذه الجهود تم اللقاء بين قيصر ألمانيا وهرتزل في القدس في ٢٩ تشرين الثاني ١٨٩٨. وفي هذا المجال كتب هرتزل في يومياته قائلاً: (قال القيصر): إن للبلاد مستقبلاً. قلت: إنها في الوقت الحاضر ما تزال مريضة. قال إنها بحاجة إلى الماء. كثير من الماء. أجبت نعم يا صاحب الجلالة، ري على نطاق واسع فكرر قائلاً: «إنها بلاد ذات مستقبل. وربما قال بعض أشياء أخرى لم أسمعها لأنه توقف معي لعدة دقائق. ثم مد يده ثانية ومضى =

ومن جانب آخر، أكد وليم الثاني لهرتزل، أنه سوف لا يقوم بأية محاولات عند السلطان العثماني، فيما يخص استيطان اليهود في فلسطين، لأن مثل هذا الإجراء يعد تدخلاً في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية. وان ذلك سيثير الخوف والذعر لدى بريطانيا وفرنسا وروسيا(٤٨). وقد زار وليم الثاني القدس ودمشق وألقى خطاباً في بلدية دمشق جاء فيه: «أبتهج من صميم الفؤاد بأنني وطئت بلداً عاش فيه من كان أعظم أبطال الأعصر السالفة بأسرها الذي كان بأفعاله يعلم أعداءه أنفسهم كيف يكون الأبطال العالي المقدار المشهور السلطان عبدالحميد خان الثاني . . .»(٤٩).

وبعد إنتهاء زيارة وليم الثاني صدر البيان الآتي: «تبغي الحكومة الألمانية على تحقيق الرفاهية في الدولة التركية ضمن الاحترام الكامل لسلطة السلطان»(٥٠) وأضاف

= على حصانه». راجع: المصدر نفسه، ص ١٤٨-١٤٩.

علاوة على ذلـك، التقى القيصر مع الوفد اليهودي في القدس في ٢ تشرين الثاني ١٨٩٨. وقد أوضح لهم: «إن المسألة تحتاج إلى مجهود إضافي في دراسة مستفيضة. إن مجيئي إلى القدس الشريف لم يكن مبنياً على غايات سياسية وإنما لأنني كنت أود زيارة هذه المدينة المقدسة التي مات فيها المسيح». راجع: المصدر نفسه، ص ١٤٩.

وفي الـواقـع، إنتهى لقـاء الوفد اليهودي بالقيصر، دون الحصول على وعد بمساندة المشروع اليهودي. وفي هذا المجال قال هرتزل: «لم يقل القيصر نعم ولا قال لا. يبدو أن أموراً كثيرة تحدث في الخفاء». راجع: المصدر نفسه، ص ١٤٩.

(٤٨) تايلر، الن، المصدر نفسه، ص ١٧.

(٤٩) علي، محمد كرد، المصدر نفسه، ص ١٣١.

(٥٠) طعيمـة، صابر عبـدالرحمن، إسـرائيل بين المسير والمصير: دراسـة في تكوين الدولة ومستقبلها، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٧٣، ص٤٨.

أمر السلطان عبدالحميد الثاني إقامة نصب في خرائب بعلبك نقش عليه: «من السلطان عبدالحميد الثاني خليفة الدولة العثمانية إلى صديقه المعظم غليوم الثاني إمبراطور ألمانيا وملك بروسيا والي الإمبـراطـورية أوغوسطا فيكتوريا ذكرى صداقة متبادلة لا يغيرها الدهر وذكـرى زيارتهمـا الإمبـراطـورية لبعلبـك ـ تشـرين الثـاني ١٨٩٨.». راجع: زين، زين =

البيان قائلاً: «فليطمئن صاحب الجلالة السلطان عبدالحميد خان الثاني، وليطمئن معه الثلاثمائة مليون من المسلمين القاطنين في أقطار الدنيا والذين تربطهم بالعاهل التركي روابط وثيقة بصفته خليفة المسلمين، ومع ذلك فإنهم سيجدون في امبراطور ألمانيا الصديق الدائم لهم»(٥١).

وقد عبر هرتزل عن استيائه من تصريحات وليم الثاني، وبيان الحكومة الألمانية، مؤكداً أن إمبراطور ألمانيا لا يريد أن يغضب السلطان عبدالحميد»(٥٢).

وفي الواقع أن وليم الثاني اعترف في مناسبة معينة حول تأثير اليهود عليه عندما قال: «إن الفكرة الجوهرية للصهيونية كانت تستهويني دوماً وتثير عطفي»(٥٣).

ويؤكد هذا القول إيفر لنبورغ السفير الألماني في فينا عندما كتب رسالة إلى هرتزل في أيلول عام ١٨٩٨، أكد فيها: «إن جلالة الامبراطور على إستعداد للتدخل عند السلطان بغية حماية اليهود في المشرق»(٥٤).

ويعزز هذا الرأي فون بيلوف في مذكراته عندما يقول بأن وليم الثاني كان

= نورالدين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، المصدر نفسه، ص٢٠٢.

(٥١) زين، زين نورالدين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، ط٢، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٧، ص ٥١.

وأثناء لقاء القيصر بالسلطان العثماني، طرح الأول بحماس عن رغبات اليهود في فلسطين. ولكن فوجيء وليم الثاني بعدم إهتمام السلطان برغباتهم عن طريق الحديث نحو موضوعات أخرى كانت النتيجة أن وجد وليم الثاني صعوبة في الحديث مرة أخرى عن هذا الموضوع. راجع: محافظة، علي، العلاقات الألمانية ـ الفلسطينية ١٨٤١ ـ ١٩٤٥، المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٥٢) مجلة الأرض المقدسة، المصدر السابق، ص ٤٤٣.

(٥٣) Oke, Bulent Kemal, op. cit., p. 368.

(٥٤) Ibid.,

متعاطفاً مع الحركة الصهيونية، لأنه حاول إستغلال هذه الحركة لاصلاح الظروف المالية التي كانت تمر بها الدولة العثمانية. علاوة إلى ذلك أن وليم الثاني صدق أقوال هرتزل في تدعيم الوضع المالي للدولة العثمانية، كما أن تجمع اليهود في فلسطين أثار إهتمام قيصر ألمانيا، لأن ذلك يضع حداً لاستغلال اليهود للمسيحيين، كما رأى فيه وسيلة لإضعاف نفوذ الديمقراطيين الاشتراكيين الألمان المعادين له. أما موقف الحكومة الألمانية، فإنه اتسم بموقف مخالف لآراء قيصر، إذ لم تأخذ بنظر الاعتبار تأكيدات هرتزل بولاء اليهود لألمانيا والدولة العثمانية. وفي الواقع أن موقف عبدالحميد من الحركة الصهيونية، وللتحفظات التي قدمها فون بيلوف حول الحركة الصهيونية، والخوف من تأثير ذلك على العلاقات الألمانية العثمانية الأثر الكبير في تغيير سياسة وليم الثاني(٥٥).

وبالإمكان معرفة السياسة الألمانية تجاه الحركة الصهيونية عن طريق الرجوع إلى المذكرة التي كتبها سكرتير الدولة في وزارة الخارجية في ٢٨ كانون الثاني عام ١٩٠٤، وقد جاء فيها: «إن الصهيونية كما هي الآن لا تثير إهتمام ألمانيا .. وإن أية خطوات فعالة من جانب الصهيونية قد تثير غضب السلطان العثماني ... وإذا نظرنا إلى المستوطنين اليهود في فلسطين بعين الرضا فالمعنيون هم من اليهود الذين لا صلة لهم بالتطلعات السياسية للصهيونية. أما اليهود الناطقون بالألمانية فمن المحتمل أن يقدموا لنا خدمات جلى ..»(٥٦).

---

(٥٥) محافظة، علي، العلاقات الألمانية ـ الفلسطينية ١٨٤١-١٩٤٥، من إنشاء مطرانية القدس البروتستانتية وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص ص ١٥٤-١٥٥.

(٥٦) المصدر السابق، ص ١٥٥.

إن فكرة فصل فلسطين عن الدولة العثمانية، ووضعها تحت السيطرة الأوروبية، لم تكن خافية عن أذهان القادة الألمان، حيث اقترح السفير الألماني في إستانبول في رسالة بعث بها إلى المستشار الألماني فون هيرتلنغ إنشاء مملكة في فلسطين لحل مسألة الأماكن =

ويجب في هذا الصدد أن نحلل العلاقات العثمانية الألمانية، وخير من يعبر عن ذلك هو وايد دافيد عندما يقول: «إن الدولة الوحيدة التي سعى السلطان عبدالحميد إلى مصادقتها بإخلاص ومثابرة كانت ألمانيا. ولم تكن الزيارة التي قام بها القيصر سنة ١٨٩٨ وما رافقها من معالم الأبهة والفخفخة سوى ذروة إنحراف السياسة الخارجية العثمانية عن خطها التقليدي الذي كان إتجاهه دوماً نحو بريطانيا. . ومنذ ذلك الحين أخذ غليوم الثاني يتعهد تنمية العلاقات الودية بين تركيا العثمانية وألمانيا، تلك العلاقات التي أحسن التمهيد لها المارشال فون بيبر شتين، والتي ينظر إليها السلطان بعين العطف والود. ذلك لأن عبدالحميد كان يرى في ألمانيا من بين الدول الغربية، هي أقل الدول انتفاعاً من انحلال الإمبراطورية العثمانية وتجزئة ممتلكاتها، كما أنه يرى في القيصر، النصير القوي والصديق المخلص الوحيد. وفضلاً عن هذا فإن تركيز المصالح الاقتصادية الألمانية في كل من بر الأناضول والعراق كان بمثابة منح الحكومة الألمانية ذريعة للدفاع عن سلامة تركيا وضمان استقلالها(٥٧)».

= المقدسة، وكان على اعتقاد أن هذا الحل سوف يكون مقبولاً من قبل المسيحيين واليهود في العالم، شريطة إيجاد حل مرض للأماكن المقدسة في القدس.

ونتيجة لذلك فقد اقترح الدكتور بروده Brode القنصل الألماني العام في القدس ـ على السفير الألماني في إستانبول إقامة مملكة صغيرة في القدس تضم بيت لحم جنوباً وتمتد إلى نهر الأردن والبحر الميت شرقاً وإلى قرية رام الله شمالاً. وأن يعتلي عرشها أمير كاثوليكي ألماني، على أن تبقى هذه المملكة تحت حوزة الدولة العثمانية، وأن تقوم بدفع مليون جنيه إسترليني للخزينة العثمانية، وأن يحتفظ المسلمون والمسيحيون واليهود بأماكنهم المقدسة فيها. علاوة على ذلك، اقترح بروده أيضاً أن تسعى الحكومة الألمانية لدى الدولة العثمانية للتوسع في الاستعمار اليهودي في فلسطين ومنح اليهود حكماً ذاتياً في البلاد. راجع: المصدر السابق، ص ١٢٧.

(٥٧) زين، زين نورالدين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، المصدر نفسه، ص٤٩.

ويردف دافيد قائلاً: «من جهة ثانية لم يكن لدى السلطان ما يخيفه من التغلغل الإقتصادي الألماني في بلاد الأناضول، فإن ولاية الأناضول، وغالبية سكانها من الأتراك، كان بمثابة قلب الإمبراطورية العثمانية، إلى جانب كونها أقل الولايات تعرضاً للتيارات الغربية. كذلك كان عدم إهتمام ألمانيا بمنطقة البحر الأبيض المتوسط، وبعدها جغرافياً عن الممتلكات التركية، عاملين يشكلان ضمانة إضافية لدى السلطان ضد النوايا السياسية الألمانية»(٥٨).

وفي الواقع، إن تقرب ألمانيا من الدولة العثمانية يرجع إلى اعتبارات اقتصادية، ذلك أن ألمانيا كانت تبحث عن أسواق في الشرق لتصريف بضائعها. ولا سيما أن

= زار القيصر غليوم الثاني مدينة طنجة عام ١٩٠٥ وألقىٰ خطاباً جاء فيه: «إني أعود إلى بلادي شديد الإغتباط بهذه الزيارة، غير أني أودعكم الآن، لأني آمل أن أتمكن من العودة إليكم قريباً، ليس كزائر بل كحليف للسلطان التركي العظيم، وكأخلص صديق وحام للإسلام»، المصدر نفسه، ص ٢٠٢ـ٢٠٣.

(٥٨) عقدت تركيا العثمانية إتفاقية مع ألمانيا في ٥ آذار عام ١٩٠٣، حيث نصت على إنشاء خط برلين ـ بغداد، وتحددت مدة هذه الإتفاقية بـ تسع وتسعين سنة، وقد جاء فيها على إنشاء خط من قونيا إلى بغداد عبر ادنه وحلب والموصل، والمشروع بكامله مع الخطوط الفرعية من سوريا والموصل وحتى الخليج العربي. كما وأكدت على إنشاء مجموعة من الخطوط طولها ٢٤٠٠ ميل. وفي الحقيقة نرى بأن ألمانيا في بداية عام ١٩١١ قد وظفت أكثر من ثلاثين مليون ليرة تركية من أجل تنفيذ هذا المشروع. وتجدر الإشارة في هذا المجال أن بريطانيا لم تكن راضية من عقد هذه الاتفاقية. لأن ذلك كان يعني وصول ألمانيا إلى الخليج العربي عبر طريق بري. كما إنتشر الذعر في الدوائر السياسية الروسية والفرنسية، لأن التقارب الألماني العثماني، كان يعني تدعيم الاقتصاد العثماني من قبل ألمانيا. وبالامكان أن نقول بأن سكة حديد بغداد تخطت حدود العلاقات العثمانية الألمانية، وأصبحت مشكلة دولية، بحيث أصبحت وزارات الخارجية تهتم بها. راجع Friedman, op. cit., p. 155.

وكذلك: زين، زين نورالدين، المصدر السابق، ص ٥٠، ٢٠٠.

الشرق والممتلكات العثمانية أصبحت ومنذ غزو نابليون لمصر عام ١٧٩٨ منطقة صراع دولي، إذ تنافست القوى الأوربية للحصول على امتيازات لها في الدولة العثمانية. وقد أصبحت السياسة الخارجية الألمانية واضحة تجاه الشرق منذ مؤتمر برلين عام ١٨٧٨، عندما توسطت بين الدولة العثمانية والقوى الأوربية. وكانت غاية ألمانيا من وراء ذلك هي إدخال رؤوس أموالها وبضائعها إلى الدولة العثمانية، إلا أن هذه السياسة جوبهت بمعارضة شديدة من قبل القوى الأوربية(٥٩).

وقد تعززت العلاقات الألمانية العثمانية منذ عام ١٨٧٦، حيث رفع مستوى التمثيل الدبلوماسي بينهما من مفوضية إلى سفارة، وأصبح هناك إهتمام واضح من قبل ألمانيا نحو مستقبل الدولة العثمانية. وكانت هناك آراء ثلاثة في ألمانيا حول مستقبل الدولة العثمانية، هي(٦٠):

١ـ في حالة تعزيز القوة العثمانية، من شأنه أن يساعد الدولة العثمانية في الوقوف ضد أطماع الدول الأوربية، كما أن ذلك يعتبر أفضل ضمانة للتوسع الإقتصادي الألماني في الأناضول التركي والأقطار العربية.

٢ـإن المصير النهائي للدولة العثمانية أن تصبح محمية ألمانية.

٣ـ إن إنقاذ ألمانيا لا يتم إلا بتحرير البحار من الهيمنة البريطانية. وإن الهيمنة الألمانية على الدولة العثمانية أمر ثانوي ومرتبط بهيمنة ألمانيا على البحار.

وقد كان هناك ترحاب من قبل العثمانيين بدخول ألمانيا ميدان التنافس مع الدول الأوربية، ولا سيما بعد المساعدة التي قدمتها ألمانيا للدولة العثمانية في حربها مع اليونان في عام ١٨٩٧. وقد تعزز هذا الموقف بعد اندحار القوات اليونانية

(٥٩) محافظة، علي، العلاقات الألمانية ـ الفلسطينية ١٨٤١ـ١٩٤٥، المصدر السابق، ص١٣.

(٦٠) المصدر السابق، ص١٥.

على يد القوات العثمانية، وكان هذا يعني نجاح الصناعة الألمانية(٦١).

يقول المؤرخ التركي نظام الدين نظيف في كتابه «إعلان الحرية والسلطان عبدالحميد الثاني»: « .. عندما رد طلب الوفد اليهودي ـ المسند من قبل الامبراطور ويلهم ـ في الحصول على وطن لهم، أي: عندما خاب هرتزل في مسعاه إشتد العداء ضد «يلدز» وهذا ما كان يتوقعه عبدالحميد، لأن اليهود قوم يتقنون العمل المنظم، وكانت لديهم قوى عديدة تضمن لهم النجاح في مسعاهم، فالمال متوفر لديهم وكانوا يسيطرون على أهم العلاقات التجارية الدولية، وكانت صحافة أوربا في قبضتهم ، فكان في مقدورهم اطلاق العواصف التي يريدونها لدى الرأي العام العالمي متى شاءوا . . . »(٦٢).

ويردف المؤرخ التركي قائلاً: «بدأوا أولاً بتحريك الصحافة العالمية، ثم أخذوا بتوحيد أعداء عبدالحميد الذي نشأوا في ذلك المجتمع العثماني الخليط، نجد أن أنصار المشروطية يتخذون طابعاً منظماً وهجومياً، علما بأنهم كانوا حتى ذلك الوقت

(٦١) أما بالنسبة للموقف الفرنسي تجاه الحركة الصهيونية، فإنه يجب القول في هذا الشأن إن فرنسا كانت ضد مخططات هرتزل في الدولة العثمانية، وفي هذا المضمار كتب Bodenheimer ، صديق هرتزل حيث رافقه بالزيارة إلى الدولة العثمانية، قائلاً: «إن باريس كانت تراقب تطورات الموقف بحذر لأن أي تصريح غير مدروس عن محمية أو دولة يهودية، له نتائج وخيمة».

أما فيما يتعلق ببريطانيا فقد إتسم موقفها من هرتزل والحركة الصهيونية بحساسية أقل، إذ عرضت بريطانيا على هرتزل مناطق أخرى مثل أوغنده وقبرص بغية تحقيق المطامع اليهودية. كما أن بريطانيا أخذت تعتقد، أنه بعد الموقف الروسي من اليهود، من العبث أن لا تقوم بريطانيا بحماية اليهود في سوريا وفلسطين، راجع في هذا الصدد:

Oke, Bulent Kemal, «Zionists and the Ottoman Foreign Ministry During the Reign of Abdulhamid» (1876–1909), op. cit., p. 369.

(٦٢) محمد علي، أورخان، السلطان عبدالحميد الثاني حياته وأحداث عهده، العراق، الرمادي، ١٩٨٧، ص ص ٢٨١ـ٢٨٢.

متفرقين ويعملون دون نظام ودون تنسيق، إذ لم يكن صعباً عليهم توحيد أعداء عبدالحميد الذين نشأوا في ذلك المجتمع العثماني الخليط «الكوزموبوليتي» فبمقدور مثل هذه المنظمة «الكوزموبوليتي» القيام بهذه المهمة. وقد أخذ «المشرق الأعظم الماسوني الإيطالي» على عاتقه هذه المهمة في التوحيد والتنسيق لأنه كان أقرب مركز ماسوني للإمبراطورية العثمانية. ولعب محفل Macedonia Risorta ومحفل Labos Lux الإيطاليين وخاصة محفل «ريزوتا» في سلانيك دوراً ملحوظاً . . .»(٦٣)

إزاء هذا الإخفاق قرر هرتزل أن يستخدم وسائل أخرى لاستمالة عبدالحميد، حيث عرض نفسه عن طريق نيولنسكي خدمته بواسطة القضية الأرمنية(٦٤) وفي هذا

---

(٦٣) المصدر السابق نفسه، ص ٢٨٢.

اتصل هرتزل مع Armin Vambery (من بودابست ١٨٣٢-١٩١٣) حيث كان فامبري واحد من علماء اللغة الأكثر تمييزاً في وقته، كان من المقربين الكبار للسلطان وكان يحاول منذ زمن التأثير على السلطان لصالح هرتزل. وقد إستطاع فامبري أن يحصل مقابلة لهرتزل عند السلطان. راجع:

Ismar Elbogen, Acentury of Jewish life Third impression 1946, Translated by Moses Hadas, Cambridge England, 1946, p.290.

(٦٤) عرفت منذ القرن السادس قبل التاريخ المسيحي أمة تكلمت بالأرمنية، وسكنت نواحي ارارط الجبلية. وقد توزع هؤلاء شمال البحر الأسود وبلاد الكرج من الجهة الشرقية وبلاد فارس من ناحية الجنوب وكردستان والجزيرة وغرب آسيا الصغرى.

وقد خضع الأرمن لسيطرة الأشوريين والبابليين، وأصبحت أرمينيا سنة ١٦٠٣ خاضعة لشهباز ملك الفرس، وخضع قسم من بلاد الأرمن للسيطرة الروسية في عام ١٨٢٦، وهذا يعني أن الأرمن أصبحوا خاضعين منذ أوائل القرن التاسع عشر للفرس والأتراك والروس.

راجع: الأب إسحق أرملة، القصارى في نكبات النصارى، (بلا) ١٩١٩، ص ١٧-٢١.

وفي حقيقة الأمر، إن قرون الإنحدار لليهود هي قرون إنبعاث اليونان والأرمن، عندما بدأت الطائفتان المسيحيتان لكي تحلا محل اليهود في الوظائف الإقتصادية والإدارية.

إن مصالح هاتين الطائفتين بدأت بالإفتراق عن تلك التي للترك واليهود وذلك في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. =

= إن الطائفة اليهودية العثمانية أصبحت في بعض الأحيان كاليونانيين والأرمن كأعضاء في برجوازية وطنية إستخدمت الحماية الأجنبية، وفي بعض الأحيان المواطنون الأجانب، وهكذا فإن اليهود تبنوا المواطنة الأجنبية حيث أصبحوا رعايا إيطاليين». راجع:

Ahmed, Feroz, Unionist Relations with the Greek, Armenian, and Jewish Communities of the Ottoman Empire, 1908–1914, in christians and Jews in the Ottoman Empire, The Functioning of plural Society, op. cit., p.426.

كان اليهود يقدمون التقارير عن الأرمن ويتهمونهم بالتجسس، وكانوا يؤكدون لعبدالحميد بأن هناك محاولات للأرمن بغية اغتياله أو تهريب الأموال إلى الخارج. راجع: س. ناجي، المصدر نفسه، ص ٣١٤.

إن السلطان العثماني محمد الفاتح سمح للبطريركية الأرذكسية بالبقاء في الأستانة بعد سقوطها في أيدي العثمانيين، ومنح اليونانيين الحقوق، حيث سميت بـ «الامتيازات الدينية»، وفي هذا المجال تقول ماري ملز باتريك: «الواقع أن السلطان محمد قد أظهر تسامحاً عظيماً مع المسيحيين، وليس أدل على تسامحه معهم من قوله لهم: «إنني أقسم بحرمة مساجد الله التي نتعبد فيها أن أضمن لكن أن تجتمعوا في كنائسكم للصلاة والتضرع إلى الله».

ويقول المؤرخ الفرنسي كارادوكو في كتابه «مفكرو الإسلام» حين دخل السلطان محمد كنيسة ايا صوفيا أراد أن يراعي شعور النصارى فلم يشأ أن يمحوا العديد من صور الفسيفساء التي امتلأت بها جدران الكنيسة، وقد كان بإمكانه كمنتصر أن يفعل ذلك، ولكنه إكتفى بأن أمر بأن تغطى لأن الإسلام يحرم الصور». ويقول برناردلويس في هذا المجال: «كانت المسيحية (النصرانية) واليهودية في نظر العالم الإسلامي، دينين سماويين ينظر إليهما المسلمون نظرة تسامح . . . لقد أصبح اليونانيون الأرثوذكس مواطنين تابعين للسلطان العثماني، فلم يعودوا أعداء يخشى جانبهم بعد أن تحولوا إلى جيران مسالمين . . وقد إنعكست هذه النظرة المتسامحة من المسلمين في المعاملة الحسنة، والتسامح الكبير الذي يلقاه أتباع الديانة المسيحية (النصرانية) في المجتمعات الإسلامية، بالرغم من موقف المسيحيين العدائي للإسلام كديانة منافسة». راجع: أبو غنيمة، زياد، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، المصدر نفسه، ص ٨١-٨٥.

ويقول باول وتيك Paul Wettiek في كتابه «تأسيس الامبراطورية العثمانية»: «كان النصارى =

= الأرثوذكس يكرهون بشدة أبناء دينهم من النصارى اللاتين (الكاثوليك)، وخاصة النصارى من أهل جنوه، بسبب ما كانوا يلاقونه منهم من استغلال وإضطهاد، ولذلك لم يكن غريباً أن ينتشر بين النصارى والأرثوذكس شعار يقول: «إذا كان لابد من الوقوع تحت سيطرة طرف آخر، فإننا نفضل أن نقع تحت سيطرة الأتراك المسلمين من أن يسيطر علينا اللاتين (الكاثوليك). راجع المصدر السابق، ص ٢٨١-٢٨٢.

كما منحت حكومة عبدالحميد إمتيازات أخرى لهم حيث أنهم حصلوا في عام ١٨٦٣ على دستور يخولهم حق إنتخاب مجلس يكون مقره في الأستانة مؤلف من ٤٠٠ عضو ينتخب الأهالي ١٢٠ منهم. يلقي الأتراك العثمانيون، مسؤولية إثارة الأرمن في الدولة العثمانية على روسيا القيصرية، ولا سيما أن علاقة روسيا أصبحت وثيقة مع الأرمن، لأن الأخير قدم مساعدات للروس في أبان الحرب الروسية التركية في عام ١٨٥٦ مما ترتب عليه إحتفاظ الروس فيما بعد بعلاقاتهم مع أرمينيا. وقد بدأت أولى الاضطرابات بعد إنشاء المدرسة الدينية في مزريفون. وأخذ الأرمن يطالبون بانشاء وطن لهم في ست ولايات من ولايات آناضول الشرقية. كل ذلك قد أدى إلى قيام المذابح ضد الأرمن في الأستانة. ونتيجة لذلك فقد أخذ الأرمن يطالبون بإستقلالهم وحضروا إلى برلين كشعب مضطهد وقد ساعدهم في أفكارهم بعض رجال الدولة الأوربيين وبصورة خاصة اللورد ساليسبيري، كل ذلك قد أدى إلى تقديم الدول الأوربية إلى الحكومة العثمانية مذكرة وذلك في كانون الثاني ١٨٨٠ تتعلق بالإصلاحات الأرمنية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإنكليز أصروا على ادراج مادة حول مطالب إصلاحات شؤون الأرض في معاهدة برلين فادرجوها. وقد صادق مؤتمر برلين على إقتراح روسيا القيصرية والقاضي «بمنح الدول العظمى حق الإشراف على الإصلاحات التي وعد الباب العالي بتحقيقها في الولايات التي يقطنها الأرمن». وقد صادق مؤتمر برلين على الإقتراح الروسي بحماس شديد. فأثار هذا الشرط بنوع خاص حفيظة عبدالحميد، ولا سيما عندما طالب الإنكليز بحق تسمية قناصل عسكريين للسهر على تطبيق هذه الإصلاحات كي تعطي النتيجة المرجوة.

وفي هذا المجال، لابد من التأكيد أن المسيحيين واليهود قد ساندوا دستور عام ١٨٧٦، ويوم إعلان الدستور قام الصدر الأعظم بزيارة القادة غير المسلمين من الطوائف، حيث قام مدحت باشا بزيارة البطريك اليوناني وبطريك الأرمن ورئيس الطائفة اليهودية ليقدم الشكر لهم =

= على إنفراد لموقفهم وتعاونهم معه في هذا المجال.

وفي ظل هذه الظروف، تمت إنتخابات عام ١٨٧٦، وتنافس المرشحون في مجلس المبعوثان على ١١٥ مقعد، وكانت النتائج كالآتي: ٧٦ مسلماً مقابل ٤٨ من الطوائف غير المسلمة. وفي هذا المجال أرسلت المقاطعات البلقانية التسع اثنان وعشرون مسلماً، أما الطوائف غير المسلمة فإنها بعثت اثنين وعشرون شخصاً. أما المقاطعات العشر في الأناضول فإنها أرسلت واحداً وعشرين مسلماً مقابل إثني عشر من غير المسلمين، أما المقاطعات في الأناضول الأسيوية فإنها أرسلت سبعة عشر مسلماً وخمسة من غير المسلمين، أما مقاطعة البحر الأبيض المتوسط فإنها بعثت مسلمين وأربعة من غير المسلمين، إستانبول أرسلت خمسة مسلمين أمام خمسة من غير المسلمين. راجع:

Koral, Enuer Ziya, Non-Muslim Representatives in the First Constitutional Assembly, 1876-1877, in Christians and Jews in the Ottoman Empire, op. cit., pp. 393-394.

وعلى الرغم من أن السلطان أصدر في ٢٠ تشرين الأول عام ١٨٩٥ بياناً ببعض الإصلاحات من أجل الأرمن، إلاّ أن زعماء الأرمن أدركوا أن شيئاً من تلك الإصلاحات لن ينفذ إلا إذا تدخلت القوى العظمى، كل ذلك قد أدى إلى زيادة الإضطرابات بين الأرمن والدولة العثمانية.

ومع اشتداد الأزمة بين الأرمن والدولة العثمانية في المدة الواقعة بين ١٨٩٥- ١٨٩٦ حاول سالسبوري الضغط على عبدالحميد. مهدداً إياه بإحتلال جدة ميناء الحجاز على البحر الأحمر. ولكن إيطاليا والنمسا عارضتا مثل تلك الفكرة البريطانية.

واقترحت روسيا، كحل للموقف أن تقوم هي بأساطيلها بإقتحام البسفور لإجبار السلطان على رعاية الأرمن، وعارضت الدول بطبيعة الحال الاقتراح الروسي.

وقد قامت السلطة العثمانية بإقفال بعض مدارس الأرمن بسبب أن هذه المدارس كانت تقوم بإلقاء محاضرات ودروس في الثورية، وأدى الأمر أن يعترض الأرمن على قرار الحكومة العثمانية، وقدموا طلباتهم إلى بطريكهم عشقيان أفندي بغية مراجعة الأخير السلطان العثماني لتسوية هذا الموضوع. إلا أن عشقيان أفندي كان متردداً أن يقوم بهذا الدور، الأمر الذي أدى بالأرمن الهجوم عليه في كنيسة «قوم بينو»، إلا أن السلطة المحلية ألقت القبض على المهاجمين، كما قام الأرمن على تشكيل لجنة أرمنية ثورية سميت باللجنة الحمراء بزعامة =

. . . .

= «آغوب بدريكوف» وهو أرمني من روسيا، وإنصبت جهود هذه الجمعية السرية الفتك بكل أرمني لا يوافق على الثورة ضد السلطان العثماني، وقد استطاعت السلطة العثمانية القبض عليه وحكمت عليه بالقتل، إلا أنها عفت عنه بعد ذلك، وسلمته إلى السفارة الروسية. نشطت الحركة الأرمنية بعد ذلك عن طريق جمعية «هيكان»، فقامت مشاكل في سيواس وأنقرة وقونية وأضنة وفي جبال سامسون من سنجق موش في ولاية بتلس.

وقد أدت هذه التطورات إلى قيام الحرب بين الدولة العثمانية واليونان وبعد مرور شهرين على الحرب، قهر الجيش العثماني اليونان مما أدى إلى تمزقه، ولولا وساطة قيصر روسيا عند عبد الحميد لدخل الجيش العثماني العاصمة أثينا والسيطرة على اليونان كلها.

وفي هذه الحقبة بالذات، أخذت الصحف الغربية تشن حملتها على الدولة العثمانية، ونتيجة لذلك فقد حاول عبدالحميد إستخدام هرتزل للدعاية له في الغرب بغية تحسين سمعة الدولة العثمانية هناك، وفي الحقيقة كان اليهود يشيعون أن الأرمن يتأهبون للقيام بثورة قومية ضد الدولة العثمانية، ونتيجة لذلك فقد حاول عبدالحميد استخدام هرتزل بمعلومات كاذبة بغية تحريض السلطان على الأرمن. ولقد إشتهر من بين هؤلاء قرة صو الذي كان يقدم يومياً عشرات التقارير للسلطان يتهم فيها الأرمن بالتجسس أو بالتأهب لإغتياله، أو بتهريب الأموال إلى الخارج. وعندما كانت السلطات تقوم بالتحقيق عن ذلك، يسارع اليهود للحيلولة دون وصول المحقق إلى معرفة الحقيقة، ليطمسوا الحقيقة كي يظل الشك قائماً امعاناً في بلبلة الأفكار. للمزيد من التفاصيل راجع: مذكرات جمال باشا، ترجمة علي أحمد شكري، تحقيق عبدالمجيد محمود، مطبعة دار البصري، بغداد، ١٩٦٣، ص ص ٢٦٩- ٢٧٦. وأيضاً: الدسوقي، محمد كمال (دكتور)، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٦، ص ص ٣٠٠- ٣٠٢. وأيضاً: السلطان عبدالحميد الثاني: مذكراتي السياسية ١٨٩١ ـ ١٩٠٨، المصدر السابق، ص.٤٥. وكذلك: تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٦، ص ص ٣٣١-٣٣٢. وكذلك س . ناجي، المصدر السابق، ص٣١٤. وأيضاً:

Atilhan, G.R, Islam Ve Beni Israil, Istanbul, 1956, s. 212; Ercan, Yavuz, Cadirci, «The Armenian Question» op. cit., pp. 84-85; J. Shaw, Stanford, op. cit., pp. Fisher. N. the Middle East Ahistory, London, 1959, p. 331; Len- =

الصدد يقول هرتزل: «طلب مني السلطان أن أقوم بخدمة له، وهي أن أؤثر على الصحف الأوربية، بغية قيام الأخيرة بالتحدث عن القضية الأرمنية بلهجة أقل عداء للأتراك، أخبرت نيولنسكي حالاً باستعدادي للقيام بهذه المهمة، ولكنني أكدت على إعطائي فكرة وافية عن الوضع الأرمني: من هم الأشخاص في لندن الذين يجب أن أقنعهم بما يريدون، وأي الصحف يجب أن نستميلها لجهتنا وغير ذلك»[٦٥].

= cozowski, George, The Middle East in World Affairs, Fourth Edition, Cornell University Press, 1980, pp. 60-61.

(٦٥) تجدر الإشارة في هذا المجال أن كارل إدوارد قدم مبلغ ١٣ ألف ليرة ذهبية للمنظمات السرية الأرمنية لإلقاء قنبلة على قصر يلدز وقتل عبدالحميد وفتح إعتمادات في البنوك الأجنبية لخدمة الأهداف الصهيونية. لذا فإن أول عمل قامت به المنظمات الأرمنية هو الهجوم على الباب العالي (دار الحكومة) وهجم فريق آخر على البنك العثماني. إلا أن رجال الدرك قبضوا على الأرمن المهاجمين في الباب العالي. كما أعد اليهود في سويسرا خطة لقتل عبدالحميد، وكلف بالأمر إدوارد جورس وهو يهودي مجري، فرنسي الجنسية تدرب في روسيا على أعمال الإغتيال. بدأ إدوارد نشاطه بالتعاون مع منظمة الطاشناق الأرمنية. وقد استطاع هؤلاء إدخال عربة إلى البلاد صنعت خصيصاً لهذا الغرض، ووصلت إلى إستانبول قطعة بعد قطعة ثم ركبت على بعضها. وقد تبين من التحقيقات التي أجريت فيما بعد أن القطع دخلت إلى البلاد دون تفتيش رجال الكمارك الذين قبضوا ثمناً لها. صممت قنبلة موقوتة ووضعت تحت كرسي القيادة من القسم الخشبي منه لتنفجر في الوقت الذي يأتي فيه السلطان عبدالحميد لصلاة الجمعة.

وكان مقرراً أن تترك العربة قرب الطريق الذي يمر منه السلطان.

وقد حضر عبدالحميد إلى المسجد وذلك في ٢١ تموز ١٩٠٥، وأراد أن يجامل شيخ الإسلام جمال الدين أفندي فأمضى بضع دقائق مع الشيخ. في هذا الوقت بالضبط إنفجرت القنبلة محدثة دويا هائلاً، حيث قتل في هذه الحادثة عدد كبير من الجنود، بينما نجا السلطان من ذلك. يقول عبدالحميد: «لا أخشى من ثورة الروم والأرمن ولا الأرناؤوط، فأنا قادر على إخمادها، إلا اليهود فإنهم أغنياء ومن الصعب مكافحتهم».

راجع: طوران، مصطفى، المصدر السابق، ص ص ١٨-٢٣.

حصلت الإضطرابات الأرمنية في الولايات الست (ارضروم ووان وبتليس وديار بكر ومعمورة =

وعلى هذا الأساس، فقد نشطت الدبلوماسية الصهيونية لاقناع الأرمن بالتخلي عن ثورتهم. ونتيجة لذلك فقد اتصل هرتزل مع سالزبوري والمسؤولين الإنكليز بغية إستخدامهم للضغط على الأرمن، كما نشط اليهود في مدن أوربية أخرى مثل فرنسا للقيام بنفس الدور. إلا أن دبلوماسية هرتزل قد أخفقت بسبب عدم تحمس بريطانيا، لأن ذلك كان يعني تأييد سياسة عبدالحميد، الأمر الذي يؤدي في إثارة الرأي العام البريطاني ضد الحكومة(٦٦).

وقد حاول هرتزل لقاء عبدالحميد، ولا سيما أثناء الزيارة الثانية للإمبراطور وليم

= العزيز وسيواس) على عهد عبدالحميد، إلا أن الأرمن لم يحققوا مآربهم من وراء ذلك، ولم يبق لهم أمل إستقلال أرمينيا الكبرى، كل ذلك قد أدى أن يطالبوا بكليكيا حيث أطلقوا عليها تسمية «أرمينيا الصغرى».

كان عدد الأرمن في كليكيا سنة ١٣١٣ ثلاثين ألفاً، عشرة آلاف منهم في ادنة، أما البقية الباقية فإنهم توزعوا في سيس ودريتول وحسن بكلي وبفجة وجاجين. وقد فضل الأرمن الهجرة من داخل الأناضول ومناطق أرمينيا الكبرى إلى أدنه، حتى بلغ عددهم في كليكيا أربعة وخمسين ألفاً. وبعد الحرب العالمية الأولى، قدم من أدنة ١٢٨ ألفاً من الأرمن وسكنوا داخل البلد ومحطة بغداد ثم ما بين محطة بغداد والنهر لجهة الشمال، ثم انتشروا في الكروم الكائنة شمال المحطة.

وبعد أن تم الإتفاق بين مصطفى كمال وفرانكلين بوجون ممثل فرنسا، أخلت فرنسا كليكيا، إضافة إلى خروج جموع الأرمن وبقية المسيحيين وقدر خمسمائة من أهل مصلا من طرطوس مع قليل من أهل أدنة وطرطوس وعدد قليل من شيعة أدنة. راجع: الطويل، محمد أمين غالب، تاريخ العلويين، دار الأندلس للطباعة والتوزيع، ط٤، ص ٤٤٤-٥٠١.

وقد أعلن طلعت باشا عندما كان الصدر الأعظم على عهد الاتحاد والترقي قائلاً: «نعمل جاهدين وباستمرار لحل المشكلة الأرمنية في ثلاثة شهور أكثر من ثلاثين سنة لحكم عبدالحميد». راجع:

Hothmn, David, The Turks, John Murray Publishers ltd, London, 1972, pp. 182-183.

(٦٦) حلاق، حسان علي، المصدر السابق، ص ١٢٠.

الثاني إلى القسطنطينية(٦٧)، إلا أن موظفي قصر يلدز منعوه من ذلك. ولكن أمل لقاء هرتزل ثانية أن يتصل بعبدالحميد عن طريق علاقاته وإتصالاته الشخصية في القسطنطينية. وفي هذا الصدد فقد اتصل مع أرمانوس فامبري اليهودي الهنغاري والذي كان يتمتع بثقة في القسطنطينية وبريطانيا، وكان صديقاً شخصياً لعبدالحميد، حيث كان يخاطبه الأخير كما كان يفعل مع نيولنسكي، بأن يحسن سمعة الدولة العثمانية في الصحافة الأوربية(٦٨) وقد طلب فامبري من عبدالحميد مقابلة هرتزل(٦٩).

تكللت جهود هرتزل بالنجاح بعد سنتين (١٨٩٩ - ١٩٠١) من الاحتكاك المباشر مع الموظفين الكبار لقصر يلدز من مقابلة عبدالحميد في مايس ١٩٠٨،

---

(٦٧) إلتقى هرتزل مع وليم الثاني في القسطنطينية في ١٩ تشرين الأول ١٨٩٨، واقترح على قيصر ألمانيا إنشاء «شركة قانونية يديرها الصهاينة تحت الحماية الألمانية». راجع طعيمة: صابر عبدالرحمن، المصدر السابق، ص ٤٨.

(٦٨) أخبر عبدالحميد نيولنسكي عن طريق سكرتيره بأن يقوم بمهمة تحسين سمعة الدولة العثمانية في الصحافة الأوربية. وكانت غاية عبدالحميد من ذلك هي الحصول على قرض من الدول الأوربية وبمقدار ٢٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك. راجع:

J. Mandel, Neville, «Ottoman Policy and Restrictions Jewish Settlement in Palestine : 1881–1908», op. cit., p. 317.

(٦٩) Ibid., p. 319; Stewart, op. cit., p. 286.

كانت هناك محاولات كثيرة ويائسة لهرتزل للقاء السلطان عبدالحميد الثاني بوساطة وكلاء ووسطاء كبيري وقليلي الأهمية عند قصر يلدز، إلّا أن أرمن فامبري Armin Vambery من بودابست (١٨٣٢-١٩١٣) قد رتب له المقابلة التي كان ينتظرها منذ مدة. فامبري أحد اللغويين الأكثر تميزاً في زمانه، كان مقرباً من السلطان وقد حاول ولمدة طويلة التأثير على السلطان لصالح هرتزل. راجع:

Elbogen, Ismar, Acentury of Jewish life, translated by Moses Hadas, Fourth Impression, printed in the united states of America, 1953, p. 290.

حيث قابل السلطان لمدة ساعتين(٧٠) وقد اقترح هرتزل قيام البنوك اليهودية الغنية في

---

(٧٠) وعند مقابلة هرتزل لعبدالحميد، تحدث الأول قائلاً: «إن اليهود مدينون لفخامتكم بالعرفان حول المعاملة التي قام بها أسلافكم إزاء اليهود في الدولة. ونحن من جانبنا سوف لا ننسى أبداً دعاء وتوسلات عبيدكم اليهود عند الله تعالى». رد عبدالحميد قائلاً: «ارتأي أن أعرف مقاصدكم»، أجاب هرتزل قائلاً: «من مولانا نتجاسر بطلب حول إمكانية إستيطان عبيدكم اليهود». أجاب عبدالحميد قائلاً: «نعتقد بأن قومكم يعيشون بمساواة تامة في الدولة. وهل لكم شكاية ما، وبالتالي تعاملون بمعاملة غير متساوية ونحن لا نعرفها» قال هرتزل: «أستغفر الله يا مولانا، نحن نريد بأن تخصصوا لنا فلسطين والتي تعود ملكيتها لكم، مع إستعدادنا بدفع قيمتها نقداً مع الزيادة. ولكم مليون من الذهب». أجاب عبدالحميد قائلاً: «لو كنت أعلم أنك جئت اليوم تطلب مني ما رفضت إجابتك إليه من قبل، لما سمحت لك بالدخول علي». وأردف عبدالحميد قائلاً: «إن أرض أسلافنا لا تباع بدراهم، إن أجدادنا بذلوا كل غال ونفيس من أجل ذلك، ولا يمكن أن نفرط بأي شبر منها». ثم أضاف قائلاً: «إثنتان من فرقي جاءتا من سوريا وفلسطين قتلتا في «بليغنا» حتى آخر رجل، لم يخضع رجالهما بل سقطوا جميعاً في الميدان صرعى، إن الشعب التركي هو مالك هذه الدولة لا أنا أستطيع التخلي عن أي جزء منها . .» وحري بالإشارة، إدعى هرتزل أنه «تأثر بكلمات السلطان السامية حقاً، إن هناك جمالاً مفصحاً في هذا الإعيان بالقدر الذي يتوقع الموت وتقطيع الأوصال، ومع ذلك يحاول حتى آخر نفس».

ويجب أن نؤكد في هذا المجال أن إسرائيل كوهين ذكر في كتابه «الحركة الصهيونية» أنه بتاريخ ١٨ مايس ١٩٠١ تقدم يهودي مجري إسمه أورمينوس ويترع بمبلغ ضخم من المال إلى عبدالحميد يريد شراء فلسطين لليهود، فما كان من عبدالحميد إلا أن طرده من القصر على الفور. راجع: طوران، مصطفى، المصدر السابق، ص ٤٨.

وحري بالذكر، أن اليهود في الدولة العثمانية تمتعوا بالمساواة مع رعايا الدولة العثمانية الآخرين، وفي هذا الصدد يقول الصحفي حبيب فارس موجهاً كلامه لليهود: «هل راق لكم الكاس زمناً كما راق من حكم السلاطين آل عثمان، وهل حرية في الأديان أعظم من الحرية الممنوحة لجميع المذاهب من قبل مولانا وسلطاننا عبدالحميد خان . . . وأنتم مع ذكركم لإسم هذا السلطان العظيم وعدم الدعاء بحفظ وجوده، فإنكم كغيركم من الأمم تتمتعون بضياء شمس عدالته». راجع: =

أوربا بمساعدة الدولة العثمانية لقاء السماح بالاستيطان في فلسطين(٧١). بالإضافة إلى ذلك فإنه قد أكد لعبدالحميد أنه سوف يخفف الديون العامة للدولة العثمانية وذلك منذ عام ١٨٨١، وقد وعد هرتزل عبدالحميد أن يحتفظ بمناقشاته السرية معه(٧٢).

= Atlhan, G.R., Islam ve Beni Israil, op. cit., ss. 166–168.

وكذلك: حلاق، حسان علي، المصدر السابق، ص ٢٨٨ وأيضاً: الدملوجي، المصدر السابق، ص ١٥٨ وأبو غنيمة، زياد، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، المصدر السابق، ص٤٥.

وكذلك: مجموعة من الكتاب الأمريكيين، جذورنا لا تزال حية، المصدر السابق، ص ٣٠.

(٧١) Eban, op. cit., p. 335.

(٧٢) J.Mandel, Neville «Ottoman Policy Restrictions on Jewish Settlement in Palestine : 1881–1908», op. cit., p. 319

استقبل عبدالحميد هرتزل في قصر يلدز في ١٧ مايس ١٩٠١، حيث قدم مشروعه للسلطان والمتعلق بانقاذ تركيا العثمانية من قيود ديونها العامة، وكتعويض على ذلك رغب هرتزل فقط بأن يتوجب على السلطان إعلان بعض معايير الصداقة المعترف بها مع اليهود، وقد طمأنه السلطان مؤكداً أن اليهود كانوا دائماً يحظون بتعاطفه وأنهم ما زالوا كذلك.

كان لهرتزل فرص أخرى لمشاورة مستشاري السلطان حول الخطط والمشاريع الرامية لمعالجة الأمور المالية للدولة العثمانية على أسس قويمة، وإن اليهود بحاجة إلى حماية، ويتوجب أن يكون هناك شخص قادر على التحرك، حينما ذكر هرتزل المطالبة بميثاق من شأنه عدم وضع أي معوق أمام المستوطنات اليهودية المشتتة، مفترضاً حصول المستوطنين المواطنة العثمانية قبل الهجرة وبذلك يكونون قد أخضعوا أنفسهم تلقائياً لكل القوانين العثمانية بما في ذلك متطلب الخدمة العسكرية. كان هرتزل مضمماً أن لا يقبل بمثل هذه الشروط لكنه أجل إعتراضاته إلى اللحظة الأكثر تناسباً حينما يتوجب أن تكون المفاوضات حول نقطة الاستفادة وفي الوقت الراهن، طلب فقط أن يمنح البنك الاستعماري اليهودي ميثاقاً بتنظيم حملة لصالح اليهود العثمانيين في آسيا الصغرى وفلسطين وسوريا.

أعطى فامبري مصادقته على هذا المشروع. =

وفي اعتقادنا أن مقترحات هرتزل فيما يتعلق بإيفاء «الديون العثمانية» كانت تفتقر إلى الجوهر. وذلك لسببين هما:

١ـ أن هرتزل والحركة الصهيونية لم يعتمدا ميزانية مالية خاصة بغية القيام بهذه المهمة.

٢ـ على الرغم من إفلاس الدولة العثمانية، عندما تسلم السلطة عبدالحميد، نرى بأن الوضع المالي للدولة قد تحسن في هذه الحقبة الزمنية وذلك عندما قامت القوى الأوربية بهذه المهمة أولاً، ثم بفضل سياسة عبدالحميد المالية ثانياً.

وكان عبدالحميد في خلال مقابلته مع هرتزل مستمعاً أكثر منه متكلماً وكان يرخي لهرتزل في الكلام كي يدفعه أن يتحدث بكل ما يخطر في مخيلته من أفكار ومشروعات ومطالب. وقد أدى هذا الأمر إلى أن يعتقد هرتزل بأنه نجح في مهمته هذه. ولكنه أدرك في نهاية الأمر بأنه قد أخفق مع عبدالحميد وأنه أخذ يسير في طريق مسدود معه(٧٣).

= غادر هرتزل إستانبول مكتئباً تماماً.

دعا السلطان هرتزل في شباط ١٩٠٢ إلى محادثات جديدة، وبالإمكان معرفة نتائج هذه المحادثات في الرسالة التي أرسلها هرتزل إلى أصدقائه المخلصين والتي جاء فيها: «عرض السلطان إستعماراً على أرض ممنوحة من قبل الحكومة في آسيا الصغرى ووادي الرافدين بإستثناء فلسطين، أنه طالب بتأسيس مؤسسات تفي بأغراض كل المشاريع المالية مثل البنوك والقروض وتطويرات التعدين وما شابه ذلك. توجب عليّ أن أرفض ذلك، لأن بإمكاني أن أقبل فقط بشروط على أساس برنامجنا ما دامت اللجنة التنفيذية الأوسع لم تخولني بأن أعقد إتفاقات من نوع آخر، لكن أعلمت بصورة شبه رسمية فيما بعد أنه بمقدوري أن أودع في البنوك لامتيازات متنوعة إذا تم الأخذ بصورة جدية فإن المفاوضات يمكن أن تبدأ مجدداً وسوف تسير بصورة أكثر نعومة». راجع:

Elbogen, op. cit., pp. 290-292.

(٧٣) يقول جمال الدين الأفغاني في حدود تقويمه لعبدالحميد: «إن السلطان عبدالحميد لو وزن =

وبعد إخفاق جهود هرتزل عند عبدالحميد، تحدث هرتزل قائلاً: «في حالة منح السلطان فلسطين لليهود، سنأخذ على عاتقنا تنظيم الأوضاع المالية العثمانية، أما في القارة الأوربية فإننا سنقوم بإيجاد حصن منيع ضد آسيا، وسوف نبني حضارة ضد التخلف، كما سنبقى في جميع أنحاء أوربا بغية ضمان وجودنا»(٧٤).

وفي الحقيقة كان عبدالحميد يرى أنه من الضروري عدم توطين اليهود في فلسطين، كي يحتفظ العنصر العربي بتفوقه الطبيعي(٧٥). وفي هذا الصدد يقول

= بأربعة من نوابغ رجال العصر لرجحهم ذكاء ودهاء وسياسة، خصوصاً في تسخير جليسه. ولا عجب إذا رأيناه يذلل ما يقام في ملكه من الصعاب من دول الغرب، ويخرج المناوىء له من حضرته راضياً عنه مقتنعاً بحجته، سواء في ذلك الملك والأمير والوزير والسفير». ويروي الأفغاني قائلاً: «ورأيته يعلم دقائق الأمور السياسية، ومرامي الدول الغربية وهو معد لكل هوة تطرأ على الملك، مخرجاً وسلماً». راجع: المخزومي، محمد باشا، خاطرات جمال الدين الأفغاني، دار الفكر الحديث، بيروت ١٩٦٥، ط٢، ص ٣٤ـ٣٥. وكذلك:

Zureik, Eliat, op. cit., p. 36.

(٧٤) قدم هرتزل مقترحاً لعبدالحميد أكد فيه أن يقوم اليهود بإنشاء جامعة في القدس، وفي هذا المجال كتب هرتزل قائلاً: «إني أدرك الصعوبة التي تواجه حكومتكم بسبب ذهاب شباب تركيا لتلقي العلم في الخارج وما يتعرضون له من ضياع وبخاصة في تأثرهم بالأفكار الثورية. أننا معشر اليهود نلعب دوراً هاماً في الحياة الجامعية في جميع أنحاء العالم، ولهذا نستطيع أن نقيم جامعة في دولتكم، ولتكن في القدس مثلاً. وبهذا نخدم العلم والطلاب ونخدمكم أيضاً». راجع: سنقرط، داود، عبدالعفو، اليهود في الوطن العربي، المصدر السابق، ص ٣٩.

(٧٥) برز في عهد عبدالحميد كثير من رجالات العرب، حيث استخدمهم السلطان في المناصب الحساسة في الدولة، كما كان هؤلاء من أقرب الناس إليه حيث لعبوا دوراً مهماً في عملية إتخاذ القرار في السلوك السياسي الداخلي والخارجي، مثل أحمد عزت باشا العابد السكرتير الثاني للسلطان (وهو عربي من الشام قضى ثلاثة عشر عاماً في خدمة عبدالحميد)، وشيخ السلطان أبو الهدى الصيادي (هو محمد بن حسن وادي بن علي بن خزام الصيادي الرفاعي الحسيني، من عائلة متصوفة. وهو من أشهر علماء الدين في عصره. ولد في خان شيخون =

= (من أعمال المعرة). وتعلم بحلب وولي نقابة الأشراف، ثم سكن الأستانة واتصل بالسلطان عبدالحميد، فقلده مشيخة المشايخ. استمر في خدمة عبدالحميد زهاء ثلاثين سنة، ولما خلع عبدالحميد نفي أبو الهدى الصيادي إلى جزيرة الأمراء في (رنكيبو) فمات هناك.

زار الصيادي بغداد واستانبول، وقد استطاع بذكائه الخارق ووعيه السياسي التأثير على عبدالحميد. ودوره المميز في سياسة عبدالحميد الدينية، كما قام على شرح التفسير الصوفي والذود عنه ضد محاولات المذهب الوهابي ، كما دافع عن حق السلطان في الخلافة، وعمل دعاية واسعة النطاق للخليفة والتفاف الشعب حوله.

وفي صدد مدح عبدالحميد للصيادي، يقول عبدالحميد: «الصيادي الحلبي، الذي كان يلقى الإحترام في كل البلاد العربية». ويقول عبدالحميد في موضع آخر من مذكراته: «الرجل الذي أثق به».

إن اختيار عبدالحميد للصيادي في هذا المنصب يعود إلى أن عبدالحميد كان يعرف مكانته في قلوب العرب، وكان يرى من وراء ذلك التقرب من العرب). والشيخ سعيد (حمص) والشيخ أحمد القيصرلي (المدينة)، كما أنشأ عبدالحميد فرقة خاصة لحراسته من العرب، وكان مدير مخابراته لبنانياً هو نجيب باشا ومن يأزرانه الفريقان محمد باشا ومحمود باشا إبني الأمير عبدالقادر الجزائري، وفؤاد باشا المصري، كما زوج عبدالحميد أميرتين من أقاربه لشابين عربيين. بالإضافة إلى محمود شوكت (العراق) حيث عينه عبدالحميد قائداً للجيش الثالث في ولاية سلانيك. راجع في هذا الصدد: الأفغاني، سعيد، «سبب خلع السلطان عبدالحميد، وثيقة بتوقيعه، فريده مجهولة تصرح بالسبب»، العربي، العدد ١٦٩، الكويت ١٩٧٢، ص ١٥١. وكذلك: كشك، محمد جلال، حوار في أنقرة، القاهرة، ١٩٧٥ ص ٣٨-١٥١. وأيضاً أنطونيوس، جورج، المصدر السابق، ص ١٤١. وغزال، مصطفى فوزي بن عبداللطيف، دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، المصدر السابق، ص ٣١٨. وكذلك: حوراني، ألبرت، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩٣٩، المصدر السابق، ص ١٣٦.

وزين، نورالدين زين، نشوء القومية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، المصدر السابق، ص ١٩٤.

فضلاً عن ذلك اعتمد عبدالحميد على أسماء بارزة من العرب أمثال أمين أفندي ونعوم =

= باشا السوري وكان وكيلاً لوزارة الخارجية، وسليم باشا ملحمة وكان مارونيا من لبنان وقد شغل منصب وزارة التعدين والغابات والزراعة ونجم الدين باشا ملحمة وهو أخو سليم وكان يوكل إليه أمر حراسة السلطان وسلامته، أما بالنسبة إلى وظيفته الرسمية فقد كان وكيل وزارة الأشغال العامة ولكن بطريقة غير رسمية كان رئيس مكتب وشرطة التحري والموفد السياسي الخاص للسلطان. كان في بلاطه عدد من علماء الإسلام، وكان أكثرهم من أتباع الطرق الصوفية منهم الشيخ محمد ظاهر من مكة المكرمة وكان من أتباع الطريقة الشاذلية والشيخ فضل العلوي من حضرموت. راجع:

المصدر نفسه، ص ١٩٣-١٩٤.

كان عبدالحميد يعامل المشيخات في صحاري فلسطين واليمن والعراق معاملة جيدة، حيث كان يرسل ممثلاً شخصياً له هو رشيد باشا، وكان يواصل إليهم كل سنة هدايا السلطان من الذهب وإفتتح مدرسة سماها مدرسة العشائر في إستانبول يدرس فيها أولاد الأعيان العرب من سوريا والعراق واليمن وغيرها. وشكل كتائب الزحوف العربية واتخذها حرساً خاصاً للقصر. وطوال حكم عبدالحميد لم تنقطع رواتب الأشراف من آل البيت إذ كانت تصل إليهم بإنتظام، بالإضافة إلى ذلك كانت تصل إليهم هدايا ونياشين دورية من السلطان. وكان هناك يوم خاص يحتفل فيه باستانبول بمناسبة إرسال سترة الكعبة إلى الحج ومع السترة ترسل أعلام وهدايا ثمينة. راجع: طوران، مصطفى، المصدر السابق، ص ٤١-٤٢.

وبإعلان الدستور قام مجلس المبعوثان من جديد، ودخل مبعوثو الولايات العربية إلى المجلس ليشاركوا في أعماله. وبدأت مرحلة إنشاء الأحزاب السياسية، وكان للنواب العرب نشاط كبير، ففي خريف عام ١٩٠٩ تأسس حزب الأحرار المعتدلين وكانت غالبية أعضائه من العرب: رشدي الشمعة ونافع باشا الجابري مبعوث حلب وعبدالحميد الزهراوي نائب رئيس مجلس الأعيان والسيد مهدي مبعوث العراق وخضير بك مبعوث بيروت وغيرهم. وقام مبعوثون آخرون بتأسيس حزب الأهالي وكان من أبرز أعضائه العرب مبعوث طرابلس الغرب فرهارد بك. كما قاد العرب المعارضة في داخل مجلس المبعوثان وعلى رأس هؤلاء، نافع الجابري نائب حلب ويوسف ضياء الخالدي نائب القدس وخليل غانم نائب بيروت ونيقولا نوفل نائب طرابلس الشام. راجع: الشقيري، أحمد، علم واحد وعشرون نجمة، (بلا)، ص ١٤١- ١٤٦.

عبدالحميد: «.. ولكن لدينا عدد كاف من اليهود، فإذا كنا نريد أن يبقى العنصر العربي متفوقاً، علينا أن نصرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين في فلسطين وإلا فإن اليهود إذا استوطنوا أرضاً تملكوا كافة قدراتها خلال وقت قصير، وبذا نكون قد حكمنا على إخواننا في الدين بالموت المحتم»[٧٦].

وقد حاولت وزارة الخارجية العثمانية توضيح زيارة هرتزل إلى القسطنطينية ومقابلته لعبدالحميد، حيث جاء في تصريحات وزارة الخارجية ما يلي: «على الرغم، إن هرتزل قد استقبل استقبالاً جيداً من قبل صاحب الجلالة، فإنه لم يمنح اليهود البتة الاستيطان في فلسطين»[٧٧].

وفي الواقع، إن الدولة العثمانية، كانت تسعى في أحيان كثيرة إلى إبعاد اليهود العثمانيين عن أفكار هرتزل والحركة الصهيونية، ومع ذلك فإنها في أحيان أخرى كانت تستخدم لغة التهديد معهم. وفي هذا الصدد أوضح علي فروخ بك لوسائل الإعلام الأجنبية، وبصراحة تامة: «إنه لبعيد من الصواب أن يقوم الصهاينة على خلق صعوبات للحكومة العثمانية، بغية إرغامها على تحقيق مطامحها. ولكن هذه الصعوبات سوف تؤدي في نهاية الأمر إلى إلحاق الأذى بوجودهم السلمي والسعيد في الدولة العثمانية ... وهذه النقطة واضحة بالنسبة لعلاقة العثمانيين مع رعايا الأرمن، لأن قلة من المتمردين الذين قاموا على ارتكاب الخطأ والحماقة معتمدين إلى الإرشاد الميكافلي قد أدى في نهاية الأمر أن يندموا على ما فعلوه، من دون التوصل على أية نتيجة تذكر»[٧٨].

وقد علق Bluestone رئيس إتحاد نيويورك للصهاينة على تصريحات فروخ بك

---

(٧٦) مذكرات السلطان عبدالحميد: خاطراتي السياسية ١٨٩١-١٩٠٨، المصدر السابق، ص ٣٤.

(٧٧) Oke, Bulent k, op. cit., p. 370.

(٧٨) Ibid.,

عندما قال: «هناك صعوبات متزايدة في استقطاب أعضاء جدد، علاوة على ذلك فإن الأعضاء القدامى أخذوا يبتعدون عن حركتنا»[٧٩].

وعلى الرغم، من اخفاق جهود هرتزل عند عبدالحميد، كتب هرتزل قائلاً: «يجب تملك الأرض بواسطة اليهود بطريقة تدريجية دون ما حاجة إلى استخدام العنف، سنحاول أن نشجع الفقراء من السكان الأصليين على النزوح إلى البلدان المجاورة بتأمين أعمال لهم هناك مع خطر تشغيلهم في بلدنا. ان الاستيلاء على الأرض سيتم بواسطة العملاء السريين للشركة اليهودية التي تتولى بعد ذلك بيع الأرض لليهود. علاوة على ذلك تقوم الشركة اليهودية بالإشراف على التجارة في بيع العقارات وشرائها، على أن يقتصر بيعها للعقارات على اليهود وحدهم»[٨٠].

وفي معرض تقويم عبدالحميد، قال هرتزل: إن اسم عبدالحميد الثاني رمز لمجموعة من أحط الخبثاء حرمت البلاد من أمنها وسعادتها. لم أكن أتصور وجود مثل هذه العصابة من اللصوص . ولا تعتبر الرشوة التي تبدأ على البوابة الخارجية للقصر ولا تنتهي إلا على بعد قدم واحدة من العرش أسوأ ما في الأمر: فكل شيء مباح للتجارة فيه وكل موظف لص ... فليست هذه العصابة إلا مجموعة من الأفاعي السامة أقلها خطراً الرأس المتوج الذي ترتكب باسمه كل الخطايا والذي تسند إلى شخصه كافة الكبائر. فأصبح الاعتقاد أن ذلك يجلس على العرش هو المجرم العريق في حين أن المجرمين الحقيقيين لم يكونوا سوى هؤلاء الذين يحيطون به»[٨١].

---

(٧٩) Ibid.,

(٨٠) هويدي، أمين، المصدر السابق، ص ٣٢-٣٣.

(٨١) وفي هذا الصدد يجب أن نشير إلى الرسالة التي وجهها هرتزل إلى يوسف ضياء الخالدي (نشرت هذه الرسالة في أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧) حيث تعتبر بمثابة إنذار لعبدالحميد، جاء فيها: «إن من الخير لليهود أن يتجهوا بأبصارهم إلى جهة أخرى، قد يحدث ذلك في اليوم الذي ندرك فيه أن تركيا تأبى أن تدرك الميزات الضخمة التي تعرضها عليها حركتنا =

وكتب هرتزل قائلاً: «أقر على ضوء حديثي مع السلطان عبدالحميد الثاني أنه لا يمكن الاستفادة من تركيا إلا إذا تغيرت حالتها السياسية أو عن طريق الزج بها في حروب تهزم فيها، أو عن طريق الزج بها في مشكلات دولية أو بالطريقين معاً في آن واحد»(٨٢).

إن عبدالحميد كان يعرف أهداف الصهيونية، حيث عبر عن رأيه في الحركة الصهيونية في مذكراته السياسية قائلاً: «لن يستطيع رئيس الصهاينة «هرتزل» أن يقنعني بأفكاره وقد يكون قوله: «ستحل المشكلة اليهودية يوم يقوى فيه اليهودي على قيادة محراثه بيده» صحيحاً في رأيه، أنه يسعى لتأمين أرض لإخوانه اليهود، لكنه ينسى أن الذكاء ليس كافياً لحل جميع المشاكل . . لن يكتفي الصهاينة بممارسة الأعمال الزراعية في فلسطين بل يريدون أموراً مثل تشكيل حكومة وانتخاب ممثلين، إنني أدرك أطماعهم جيداً، لكن اليهود سطحيون في ظنهم أنني سأقبل بمحاولاتهم. وكما أنني أقدر في رعايانا من اليهود خدماتهم لدى الباب العالي فإني أعادي أمانيهم وأطماعهم في فلسطين»(٨٣).

= (الصهيونية) لقد أوضحنا هدفنا علناً وبكل إخلاص وولاء، وأرسلت إلى صاحب الجلالة السلطان مقترحات عامة، ويسرني أن أعتقد أن صفاء ذهنه الشديد سيجعله يقبل الفكرة من حيث المبدأ على أن نبحث تفاصيلها فيما بعد، وإذا رفض الفكرة فإننا سنبحث، وصدقني إذا قلت لك أننا سنجدما نحن في حاجة إليه . . ولكن سيكون معنى ذلك أن الفرصة الأخيرة التي تتاح أمام تركيا لكي تنظم أوضاعها المالية وتسترد قوتها الإقتصادية «ستزول إلى الأبد» إن الذي يقول لك هذا الكلام اليوم هو صديق مخلص لتركيا وعليك أن تتذكره». راجع في هذا الصدد: مذكرات عبدالحميد الثاني: مذكراتي السياسية، المرجع السابق، ص ٣٤-٣٥. وكذلك: كشك، محمد جلال، المصدر السابق، ص ٤٠-٤١.

(٨٢) أبو غنيمة، زياد، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٨٣) مذكرات السلطان عبدالحميد، ترجمة: محمد حرب عبدالحميد، المرجع السابق، ص ١٢.

وعن القدس يقول عبدالحميد: «لماذا نترك القدس . . . إنها ارضنا في كل وقت وفي كل زمان وستبقى كذلك، فهي من مدننا المقدسة، وتقع في أرض إسلامية، لابد أن تظل القدس لنا»(٨٤).

وفي الحقيقة إن توقعات هرتزل أصبحت خاطئة إلى حد بعيد، لأن هرتزل كان يعتقد أنه بالإمكان التأثير على عبدالحميد. وفي اعتقادنا أن رفض عبدالحميد مطالب الحركة الصهيونية، يعود بالدرجة الأولى إلى فكرة الجامعة الإسلامية، والتي استهدف عبدالحميد عن طريقها استقطاب الرأي العام الإسلامي إلى جانبه في محاربة خصومه السياسيين في الأقطار الغربية. وبالتأكيد إن الجهود الأولى للتنظيم الصهيوني انصبت على فلسطين بعد بروز فكرة الجامعة الإسلامية(٨٥).

(٨٤) لم يكن هرتزل هو المتطوع الوحيد للضغط على الدولة العثمانية بغية إستيطان اليهود في فلسطين، بل كانت هناك جماعات صهيونية أخرى تعمل في هذا الاتجاه، وقد أصبح هذا الإتجاه قوياً بعد وفاة هرتزل وذلك في عام ١٩٠٤، حيث قرر المؤتمر السابع للصهيونية وهو المؤتمر الأول بعد وفاة هرتزل على بذل الجهود نحو فلسطين. وقد نشرت مقررات المؤتمر في صحيفة The Times وصحيفة Le, Independence Belge بالإضافة إلى الصحف الصهيونية. وقد هاجمت هذه المقررات الدولة العثمانية. ونتيجة لذلك فقد قامت السلطة العثمانية بإدخال تقييدات صارمة إزاء دخول اليهود في فلسطين. وقد ناقش متصرف القدس هذه المقررات مع ديفيد ليفونتن مدير البنك الصهيوني في يافا.

لم تحاول الحركة الصهيونية الإقتراب من عبدالحميد منذ وفاة هرتزل حتى خريف عام ١٩٠٧، وذلك عندما زار ديفيد والفنسون (خلف هرتزل) القسطنطينية حيث دخل في مفاوضات غير مباشرة مع عبدالحميد عن طريق تحسين باشا السكرتير الأول في مقر يلدز وموظفين أخرين، ولكن هذه المفاوضات أخفقت كإخفاق هرتزل. ولم تكن هناك أي امكانية لتغيير السياسة العثمانية في هذا الاتجاه. راجع:

J. Mandel, Neville, «Ottoman Policy and Restrictions Jewish Settlement in Palestine : 1881–1908», op. cit., p. 320.

(٨٥) Thornton, A.p., «The Sound of Running History» international Journal, Vol. xxvll, No. 4,Autumn, 1973, p. 606.

مقابل عدم قبول الدولة العثمانية فكرة إسكان اليهود في فلسطين[٨٦]، أبدت الحكومة العثمانية رغبتها في الإقامة في منطقة سرت الليبية[٨٧] عن طريق تقديم بعض الامتيازات والتسهيلات اللازمة لهم[٨٨].

---

(٨٦) اقترح هاري هـ. جوهنستون القنصل العام لبريطانيا في مدينة تونس في أواخر عام ١٨٩٧ (هو من أسرة يهودية، ولد في لندن عام ١٨٥٨، رحالة مشهور بمؤلفاته الكثيرة عن أفريقيا، أصبح بعد ذلك رئيساً للجمعية الجغرافية الملكية بلندن، وقد أعطى بعض الإهتمام للحديث عن اليهودية واليهود بصفة عامة في كتابه «قصة حياتي» The Story of my life وفي هذا الكتاب أشار بإيجاز إلى الأوضاع العامة ليهود تونس، إلا أنه لم يتعرض في هذا الكتاب إلى أوضاع يهود ليبيا. وقد زار ليبيا في أواخر عهد ولاية سليمان نامق باشا (١٨٩٦-١٨٩٨) والتقى مع جاجو القنصل البريطاني في مدينة طرابلس بغية بحث الأمور الخاصة بالقنصليتين في البلدين إلى جانب رغبته في معرفة الظروف السائدة في جنوب تونس). لمنظمة الأراضي اليهودية «بلندن فكرة إنشاء الوطن القومي في ليبيا وفي منطقة الجبل الأخضر في برقة. وبإمكاننا أن نقول في هذا المجال أن فكرة إنشاء الوطن اليهودي في برقة جاءت من بريطانيا والتي أيدتها منظمة الأراضي اليهودية في لندن». راجع بعيو، مصطفى عبدالله، المصدر السابق، ص ٥٨-٦٠.

(٨٧) كانت ليبيا في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين البقية الباقية من أملاك الدولة العثمانية لشمال إفريقيا، وكانت السلطة العثمانية في ليبيا مركزة في مدينة طرابلس، وبعض المراكز الساحلية. ومن الممكن تفسير الوضع الإداري العثماني في ليبيا إلى صعوبة في المواصلات وبسطة في المساحة. راجع في هذا الصدد، المصدر السابق، ص ٥٧.

(٨٨) تعتبر منطقة سرت من المناطق المهمة في ليبيا، لأهميتها بالنسبة لبقية أجزاء ليبيا كحلقة وصل بينها، فضلاً عن أهمية المنطقة المقترحة من حيث الامكانيات الرعوية وتربية الحيوانات، كما أن هذه المنطقة تحتوي على الثروة البترولية في السنوات التالية. وكانت منطقة سرت في عهد الرومان ملجأ لكثير من اليهود الذين فروا إليها من منطقة قورنيا (شحات) أيام الإضطرابات والمذابح التي شاهدتها في العهد الروماني. واستطاع أولئك اللاجئون أن يؤسسوا مستعمرة لهم بالقرب من تل اليهودية. راجع: المصدر السابق، ص ٥٢-٥٣.

وقد ذكر هذا العرض المقدم من السلطات العثمانية إلى اليهود ناحوم شلوش[٨٩] في سطور قليلة دون أن يذكر لنا كيف كان هذا العرض، وما هي ظروفه وملابساته وما هو موقف اليهود منه، وبالتالي متى قدم هذا العرض ومن الذي قام بتقديمه. ولم يعلق ناحوم شلوش على هذا العرض العثماني ولم يذكر ردود الفعل من قبل السكان الحقيقيين. ويبدو أن هذا العرض قد جاء في صورة خاصة وعلى نطاق ضيق، ومع ذلك فقد ذكر شلوش عدد يهود بلدة سرت والذي بلغ في عام ١٩٠٩ نحواً من خمسين يهودياً[٩٠].

كما قدمت الدولة العثمانية إقتراحاً آخر لتوطين بعض اليهود في بعض المناطق الهامة من ليبيا، فإنه يتمثل باقتراح رجب باشا[٩١] على ناحوم شلوش في تموز عام

---

(٨٩) إن ناحوم شلوش هو من مواليد عام ١٨٧٢، وقد قام بدراسة تاريخ اليهود في المغرب الأقصى في عام ١٩٠٥، كما إهتم بدراسة الأصول التاريخية لليهود في إفريقيا وفي حوض البحر الأبيض المتوسط. وعلى هذا الأساس فقد قام بزيارات لشمال إفريقيا. وزار لأول مرة مدينة طرابلس في ١٠ تموز ١٩٠٦، وفي عهد ولاية رجب باشا الذي قدم له المساعدات في زيارة ليبيا، ودراسة أحوال اليهود فيها. كما زار تونس عن طريق جزيرة جربة، وعاد ثانية إلى ليبيا في عام ١٩٠٨ كعضو في البعثة التي نظمها إسرائيل زانجويل رئيس «منظمة الأراضي اليهودية» ويقول بارون في عام ١٩٥٨ إن شلوش كان لا يزال حياً يرزق في فلسطين المحتلة. راجع: المصدر السابق، ص ٦٠-٦٢.

(٩٠) المصدر السابق، ص ٥٢-٥٣.

(٩١) تولى رجب باشا ولاية ليبيا في عام ١٩٠٤، وبقي إلى عام ١٩٠٩، وكان معروفاً بعطفه على اليهود، بقدر ما كان معروفاً بعدائه ضد التغلغل الإيطالي في ليبيا، وقد أدى هذا الموقف من إيطاليا إلى نقله من ليبيا بناء على المساعي التي بذلتها إيطاليا في هذا المجال في عام ١٩٠٩، أي على أثر الانقلاب الذي أطاح بحكم عبدالحميد الثاني. حيث تم إختياره من قبل حزب الإتحاد والترقي وزيراً للحربية، ولكنه مات يوم تعيينه بصورة فجائية. إن الميول التي أبداها رجب باشا تجاه اليهود، لم تكن واضحة لأهالي البلاد، حيث قام =

١٩٠٦، حيث طلب الأخير السماح له بزيارة الجبل الغربي. وقد قدم رجب باشا النصائح لشلوش، كي يبدأ بهذه الزيارة من الساحل، ليكون بعيداً عن أنظار الإيطاليين الذين كانوا يصرون على رفض السماح لهم بمثل هذه الجولة[٩٢].

وقد دعا رجب باشا هذا الرحالة إلى زيارة منطقة مسلاته، كان هذا يعني توجيه إنتباه ناحوم شلوش إلى منطقة مسلاته[٩٣] كما أبدى رجب باشا هذا الرحالة بإرتداء الطربوش على النموذج التركي، وأن تكون جولته في هيئة أستاذ مهتم بتربية اليهود، حتى لا يلفت إليه انتباه المواطنين كثيراً[٩٤].

وقد درس إسرائيل زانجويل مع شلوش بعد زيارة الأخير لمدينة طرابلس الاقتراح الذي قدمه هاري جوهنستون بخصوص إمكانية إنشاء وطن قومي لليهود في برقة لتوطين يهود الروس والرومان المهاجرين[٩٥].

وفي هذا المجال، يؤكد لنا ناحوم شلوش أن رجب باشا أبدى استعداده نحو

= على إخفائها. وإن هذا الموقف تجاه اليهود واضح من الإرشادات والنصائح التي قدمها رجب باشا لناحوم شلوش عند قيامه برحلة في ليبيا، وتقديمه المساعدة لليهود في الاستيطان في جبل الأخضر ببرقة. ويجب أن نؤكد في هذا المجال أن برقة في إمكانها أن تستوعب الملايين من البشر الأوربيين، كما تتميز برقة من الناحية التاريخية والجغرافية والإقتصادية، حيث تقع برقة على البحر الأبيض المتوسط، وتتميز بقربها من فلسطين. راجع: المصدر السابق، ص ص ٥٣-٥٥، ٦٥، ٦٧.

(٩٢) المصدر السابق، ص ٥٣.

(٩٣) لا تبعد منطقة مسلاته كثيراً عن البحر الأبيض المتوسط، وهي بحكم قربها من مدينة الخمس البحرية يمكنها الاستفادة منها من الاتصال الخارجي. وتجدر الإشارة في هذا المجال أن منطقة مسلاته معروفة بتلالها وكثرة أشجار الزيتون فيها. راجع: المصدر السابق، ص ٥٤.

(٩٤) المصدر السابق، ص ٥٤.

(٩٥) المصدر السابق، ص٦٩.

اليهود وإيجاد الحل لهم. وفي الحقيقة أن رجب باشا في ميله نحو اليهود الروس، كان متأثراً بطبيعة العلاقات غير الودية التي كانت تربط الدولة العثمانية مع روسيا القيصرية[٩٦].

كما أن هناك سبباً آخر، أدى إلى نجاح مهمة شلوش عند رجب باشا، وهذا السبب يعود إلى مركز يعقوب باشا عند رجب باشا، إذا كان في موقع المترجم العام للولاية[٩٧].

زد على ذلك، أن رجب باشا كان معروفاً ضد الأطماع الإيطالية في ليبيا، وقد أثاره ما كتبه دي مارتينو الرحالة الإيطالي بخصوص تشجيع إيطاليا على اتخاذ الخطوات اللازمة للإستيلاء على البلاد[٩٨].

ونتيجة لموقف رجب باشا من اليهود نرى أن ناحوم شلوش وإسرائيل زانجويل قد أبديا الإعجاب بولاية رجب باشا، من حيث الوطنية والحنكة معتبرين إياه رجل الدولة من الطراز الأول[٩٩].

وقد بعث يعقوب كريجر رسالة إلى ناحوم شلوش أكد فيها على فشل إقتراحات هرتزل بشأن اليهود عند السلطان عبدالحميد. كما جاء في رسالته إنه بالإمكان تحقيق المنفعة العامة بين اليهود والأتراك في ولاية طرابلس الغرب[١٠٠].

---

(٩٦) المصدر السابق، ص ٦٩.

(٩٧) كان يعقوب كريجر يهودياً جاء إلى طرابلس من ولاية سلانيك ليحل محل جرجس فائق المسيحي العقيدة والكاثوليكي المذهب، وفي بداية الأمر نرى أن السلطات المحلية في ليبيا لم تكن لترحب بقدومه خشية تعاون كريجر مع الأجانب. إلا أن كريجر بمهارته الخاصة إستطاع نيل ثقة رجب باشا. راجع: المصدر السابق، ص ٧٠.

(٩٨) المصدر السابق، ص ٧٢.

(٩٩) المصدر السابق، ص ٧٠.

(١٠٠) المصدر السابق، ص ص ٧٠-٧١.

وتتركز خطة إسكان يهود الروس في ليبيا في هجرتهم إليها في شكل مجموعات صغيرة تضم عشرة أو عشرين أسرة يهودية كل بضعة أسابيع. وبهذه الصورة بإمكان السلطات العثمانية أن تستوعب أعداد المهاجرين من اليهود، وبهذه الطريقة أيضاً تستطيع السلطات المحلية في ليبيا أخذ موافقة الحكومة العثمانية في الأستانة من إعتماد ضيافة اليهود اللاجئين في ليبيا كرعايا عثمانيين في ظل استقلالهم الخاص بهم[١٠١].

ومن وجهة نظر إسرائيل زانجويل، إنه يجب الدخول في مفاوضات مباشرة مع الحكومة العثمانية في الأستانة وبدون تأخير لتمثيل هذا المشروع[١٠٢].

وفي الحقيقة أن رجب باشا كان متحمساً إلى حد التطرف لتنفيذ هذا المشروع الأمر الذي دفع يعقوب كريجر أن يبعث برسالة إلى إسرائيل زانجويل عن لسان رجب باشا الذي أكد لهم أن جميع الشروط اليهودية قد نالت موافقته. وحري بالإشارة في هذا المجال، أن كريجر كتب رسالة أخرى إلى زانجويل جاء فيها: «إنه قد وعد نسبياً بأقل مما كان يظن عمله في صالح الإسرائيليين»[١٠٣].

وقد حاول إسرائيل زانجويل إرسال رسالته بخصوص مشروع إستيطان اليهود في ليبيا إلى تحسين باشا السكرتير الأول للسلطان عبدالحميد، إلا أنه لم يبعث ذلك، بسبب الإطاحة بحكم السلطان عبدالحميد في ٢٧ نيسان ١٩٠٩[١٠٤]. وهكذا نرى أن هذا المشروع لم يدخل إلى الواقع العملي[١٠٥].

---

(١٠١) المصدر السابق، ص ص ٧٣-٧٤.

(١٠٢) المصدر السابق، ص ٧٤.

(١٠٣) المصدر السابق، ص ٧٤.

(١٠٤) المصدر السابق، ص ٧٨.

(١٠٥) عندما قامت إيطاليا بغزو ليبيا في خريف عام ١٩١١، والذي وضع حداً لنهاية الحكم العثماني فيها، رحب اليهود بذلك. معتقدين بأن ذلك يسمح على تنمية الأوضاع الإقتصادية لهم. وفي هذا المجال يقول الكاتب الإنكليزي فرانسيس مكولاغ في كتابه =

إن مطالب اليهود في برقة كانت أسهل في تحقيقها بالنسبة للسلطان العثماني دون أن تسيء إلى سمعته في العالم الإسلامي والأوساط المسيحية، ما دام أن هؤلاء اليهود المستوطنين يعيشون في ظل السيادة العثمانية وإن تمتعوا بالحكم الذاتي لهم. وكان اليهود يرون في تحقيق مشروعهم في برقة ما يعود بالفائدة على الدولة العثمانية من تلك المبالغ المالية التي يدفعونها والمشروعات الاقتصادية التي يقومون بإنشائها، إلى جانب حماية البلاد من الوقوع في أيدي الدول الأوربية المسيحية التي كانت تتجه بأطماعها إلى ليبيا. وكانت إيطاليا في مقدمة الدول الطامعة»[١٠٦].

= موقف يهود مدينة طرابلس من الإحتلال الإيطالي، عن عدم تغيب يهود المدينة وعدم اشتراكهم للوقوف أمام هجوم القوات الإيطالية، ويذهب مكولاغ إن الجريدة الإيطالية التي كانت تصدر بمدينة طرابلس في أواخر العهد العثماني كان يقوم بإصدارها أحد يهود مدينة طرابلس.

ويؤكد مكولاغ في كتابه الآنف الذكر الدور الذي كان يقوم به بعض اليهود مثل الترجمة والإبلاغ عن الأهالي الذين كانت لهم مواقف مضادة ضد إيطاليا، حيث كان اليهود يسيرون بجانب الجندي الإيطالي الذي كان يقود بعض الليبيين إلى الإعدام، أنه رجل يهودي بحكم زيه الخاص به، الذي يتميز بالسروال القصير الذي إعتاد يهود ليبيا استعماله.

راجع: المصدر السابق، ص ٤٥.

(١٠٦) المصدر السابق، ص ٧٨.

الفصل الرابع
اليهود وجمعية الاتحاد والترقي

نهج العثمانيون في سياستهم نهجاً إسلامياً إلى نهاية حقبة حكم عبدالحميد الثاني. إلا أن الأتراك بدأوا ينهجون سياسة قومية منذ الحرب البلقانية الأولى وتحت حلم الطورانية الجديدة. وقد استغل اليهود هذه العاطفة بغية تحقيق أهدافهم في فلسطين[1]. وأصبحت هذه السياسة واضحة عند مجيء الاتحاديين إلى السلطة، حيث وجد هؤلاء كل الدعم والمساعدة من يهود الدونمة في ولاية سلانيك، والحركة الصهيونية، ونتيجة لذلك فقد برزت في عهد الاتحاديين مستعمرات صهيونية في فلسطين. ولذلك نتحدث عن هذا الموضوع في مبحثين هما: نشأة جمعية الاتحاد والترقي، وعلاقة الاتحاد والترقي باليهود والماسونية.

---

(١) Steed, Henry Wickham, Through Thirty Years 1892–1922, vol. I, N.y, Garden city, 1925, p. 374.

المبحث الأول

نشأة جمعية الإتحاد والترقي[٢]

إتضح لنا من الفصل السابق بأن السلطان عبدالحميد الثاني اتخذ كل التدابير اللازمة في سبيل عدم بيع الأراضي إلى اليهود في فلسطين، وفي سبيل ذلك عمل جاهداً على عدم إعطاء أي امتياز لليهود من شأنه أن يؤدي إلى تغلب العنصر اليهودي على العنصر العربي. ولا بد في هذه الحالة أن تتكاتف جهود المنظمات الصهيونية بغية إبعاد عبدالحميد من السلطة . ويعزز هذا القول هرتزل عندما يقول: «إني أفقد الأمل في تحقيق أماني اليهود في فلسطين، وإن اليهود لن يستطيعوا دخول الأرض الموعودة، ما دام السلطان عبدالحميد قائماً في الحكم، مستمراً فيه»[٣].

ونتيجة لذلك استغل اليهود بعض المشاكل التي كان يعانيها حكم عبدالحميد، حيث اتصلوا مع الجماعات المعارضة، كان في مقدمتها جمعية الإتحاد والترقي التي بدأت تنادي ببعض الشعارات منها الوطن والدستور والبرلمان. وقد كانت هذه الشعارات غير مألوفة في الدولة العثمانية. ويؤكد هذه الحقيقة تأثر الدولة العثمانية

---

(٢) الاتحاد والترقي هو اللجنة التنفيذية لجمعية تركيا الفتاة.
وكذلك: مذكرات السلطان عبدالحميد، ترجمة محمد حرب عبدالحميد، المرجع السابق، ص ١٢.

(٣) مذكرات السلطان عبدالحميد، المرجع السابق، ص ١٢.

في تلك المرحلة باللغة الفرنسية، حيث كانت الأخيرة هي الذائعة الصيت في الشرق الأدنى[٤].

وفي الحقيقة أن جمعية الإتحاد والترقي لم تكن حديثة، بل ترجع جذورها إلى عهد السلطان عبدالعزيز (١٨٦١ - ١٨٧٦). وقد اقتصر نشاط الاتحاد والترقي في عهد عبدالعزيز على إصدار الصحف التي كانت ترسل إلى الدولة العثمانية بواسطة دوائر البريد الأجنبية التي كانت تتمتع بحقوق خاصة داخل الدولة[٥].

وقد شكلت جمعية الإتحاد والترقي فروعاً لها في العواصم الأوربية، حيث كان لها فرع في باريس، والذي أخذ يضم كثيراً من الطلاب والدارسين فيها، كما كان لها فروع في ولاية سلانيك[٦]، وقد اختارت جمعية الاتحاد والترقي هذه الولاية لموقعها الجغرافي، ومجموعة الضباط من الفرقة الثالثة التي إنضمت إليها[٧].

---

(٤) Andrew, Mango, «The Young Turkes», Middle Eastern Studies, 8, No. 1, January 1972, p. 108.
وأيضاً: رامزور، أرنست أ. تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨، المصدر السابق ص ٤٠.

(٥) رامزور، آرنست أ. المصدر السابق، ص ٤١.

(٦) تجدر الإشارة إلى أن جمعية الاتحاد والترقي في ولاية سلانيك كانت لا تعرف الشيء الكثير عن تنظيمات وإجراءات جمعية الاتحاد والترقي في باريس. ولكنه من الصعوبة بمكان تحديد تاريخ ثابت حول نشوء حركة سلانيك. وعلى سبيل المثال نرى بأن كوران قام على نشر فقرات من رسالة صادرة من مقر قيادة جمعية الإتحاد والترقي في باريس إلى شخص لم تعين هويته في سلانيك مؤرخة في ٦ آب ١٩٠٦، وذلك في كتابه «إنقلاب تاريخميز وإتحاد وترقي، جاء فيها: «إن أعظم ما نطلبه منك هو أن تنظم فرعاً في سلانيك بالعمل مع عدد قليل من الأصدقاء المعتمدين الذين لهم الأفكار نفسها». ويرى كوران أن هذا يعني عدم وجود منظمة قبل هذا التاريخ. راجع في هذا الصدد: رسالة السفير البريطاني سير كراند لاوثر في الأستانة إلى هاردنغ وزير خارجية بريطانيا في ٢٩ آيار ١٩١٠ في مقالة:
Kedourie, Elic, «Young Turkes, Freemasons and Jew», Middle Eastern Studies, Vol. 7, No. 1, January, London, 1971, p. 94.

(٧) قاسمية، خيرية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ - ١٩١٨، المصدر =

تغلغلت خلايا الإتحاد والترقي في صفوف الجيش العثماني، وفي مقدونيا تولى أنور بك الذي كان قد اطلع بوصفه ملحقاً عسكرياً في برلين على تنظيم الجيش الألماني وأساليبه في القتال، ونيازي بك الذي كان قد اكتسب خبرة عسكرية في الحرب ضد العصابات المقدونية. وهذا يعني أن أنور بك ونيازي بك كانا قد لعبا دوراً مهما في حركة الاتحاد والترقي، كما حاولا إحياء دستور عام ١٨٧٦[٨] الذي وضعه مدحت باشا[٩].

أما في صفوف المدنيين فقد برزت شخصية طلعت بك في جمعية الاتحاد والترقي[١٠] ثم انتشرت جمعية الاتحاد والترقي في بلاد الشام، حيث تأسست لها

= السابق، ص ٤١. وكذلك:

C.H Dodd, Politics and Government in Turkey, University of California Press, 1969, p. 20.

(٨) ويعتبر هذا الدستور أول دستور من نوعه في الحقبة الواقعة بين ١٨٧٦ - ١٨٧٨، أما الدستور الثاني فقد صدر عام ١٩٠٨. راجع في هذا الصدد:

Rodric, op. cit., p. 91.

(٩) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب، ص ٩٥٧ - ٩٥٨ وكذلك:

Rodric, op. cit., p. 104.

(١٠) ينحدر طلعت بك من أصل غجري ومن عائلة فقيرة من أدنه في Kirjali حيث ولد في عام ١٨٧٤، وقد تعلم الفرنسية، في مدرسة الإتحاد اليهودي، وأصبح رئيساً للكتاب في ولاية سلانيك، كما أصبح مأموراً للبريد، حيث كان يقبض ثلاث ليرات في الشهر، كما أصبح عضواً في الخزانة العامة، وأصبح أيضاً وزيراً للداخلية، وقد عمل جاهداً إلى أن وصل إلى منصب الصدر الأعظم. وقد انتمى طلعت بك إلى محفل الشرق الأعظم الماسوني إذ أحس المحفل الماسوني في سلانيك بأن طلعت سيكون له مستقبل في الدولة العثمانية فاتصلوا به وسجلوه في عداد الماسونيين ورقي طلعت إلى عدة درجات في المحفل الماسوني، وأصبح يتقاضى منه راتباً شهرياً مقداره عشر ليرات إنكليزية.

(راجع: طوران مصطفى، المصدر السابق، ص ٥٠).

وعمل طلعت دوراً بارزاً منذ أن كان موزعاً للبريد والبرق في أدرنة، فقد كلف من قبل جمعية =

فروع في يافا والقدس، وكان أعضاؤها من ضباط الجيش الخامس الذي كان مقره في دمشق، ثم سرعان ما تقرر أن هذه المنطقة لا توفر مجالاً كافياً لنشاطهم، فاختاروا سلانيك بإعتبارها ميداناً أجدى للعمليات[١١].

وفي هذه الأثناء قدم طلعت وقره صو إلى إستانبول لتوثيق العلاقة مع تنظيم استانبول لحزب الإتحاد والترقي، فألقي القبض عليهما وإستجوبا أمام لجنة خاصة شكلت بقصر يلدز بصورة مستعجلة استطاع قره صو بدهائه أن ينقذ نفسه وينقذ

= الإتحاد والترقي بنقل الرسائل السرية من والى سلانيك ومناستر. وعمل طلعت بك جاهداً منذ أن كان وزيراً للداخلية على نشر المحافل الماسونية، وقام بإسناد الوظائف الرئيسة في الدولة إلى ولاة ومتصرفين من الماسونيين. وقد فر طلعت هارباً إلى برلين أثناء الحرب العالمية الأولى، وكان عقب فراره حصل هيجان بين الطلبة الأتراك في برلين، والتمس هؤلاء من الحكومة الألمانية تسليمه إلى الدولة العثمانية. واختفى طلعت عن الأنظار مدة من الزمن، حيث ذهب إلى هولندا، وقد رافقه في هذه الزيارة نسيم مازلياح وهو من الاتحاديين اليهود الذي كان مبعوثاً عن أزمير.

وتجدر الإشارة في هذا المجال، أن طلعت قد مال في بداية الأمر إلى البولشفيك الروس ضد سياسة الحلفاء. وفي نهاية حياته، اختلف طلعت مع الماسونيين، الأمر الذي أدى إلى إغتياله من قبل المحافل الماسونية، حيث اغتاله رجل أرمني في برلين في ١٥ آذار ١٩٢١.

راجع في هذا الصدد:

Atilhan, Cevat Rifat, Farmasonluk Insanligin Kanseri, Istanbul, 1960, so 49; Roderic, op. cit., p. 104; Kedourie, Elie, «Yung Turkes Freemanson and Jew», op. cit., p. 92; Tanyu, Hikmet, op. cit, p. 579 The New Encydopodia Britannica, Vol. V, 1968, p. 85.

وأيضاً: آتلخان، جواد رفعت، أسرار الماسونية، ترجمة نورالدين الواعظ وسليمان أمين القابلي، بغداد، ١٣٧٦ هـ، ص ٥٩. وكذلك حلاق، حسان علي، المصدر السابق، ص ٣٠٦ وأيضاً: حتى، فيليب، المصدر السابق، ص ٥١. ولوثر و ب ستودارد، المصدر السابق، ص ص ٣٨٠- ٣٨٥.

(١١) رامزور، المصدر السابق، ص ١١٩.

طلعت معه إذ قال: نحن ماسونيون لا ننكر ذلك، لكننا لسنا من جمعية سرية، فاقتنعت اللجنة بكلامه[١٢].

أمـا من حيث تنـظيم جمعية الاتحاد والترقي فإنه بني على طراز جمعية الكاربوناري الإيطالي[١٣]. التي تشكلت في النصف الأول من القرن التاسع عشر[١٤] وقد عقدت جمعية الإتحاد والترقي أول إجتماع لها في تموز عام ١٨٦٥ وحضر الإجتماع ستة من الأعضاء البارزين فيها كان من بينهم نامق كمال وآية الله بك، وقد أحضر الأخير معه في الاجتماع كتابين أحدهما عن جمعية الكاربوناري والآخر من جمعية سرية في بولندا[١٥].

---

(١٢) طوران، مصطفى، المصدر السابق، ص ٥١.

(١٣) تشكلت هذه الجمعية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وذلك في نابولي وكان أعضاؤها من المشتغلين في حرق الأخشاب. وهدفها طرد الفرنسيين والنمساويين من شبه جزيرة إيطاليا وتوحيدها وتأسيس حكومة دستورية لها. للمزيد من التفاصيل راجع: عنان، محمد عبدالله، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، ط ٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٤، ص ص ١٥٢- ١٥٩ وأيضاً: الشناوي، عبدالعزيز محمد، المصدر السابق، ص ص ١٠٠٤-١٠٠٥.

(١٤) كان من بين أعضاء اللجنة رجل إسمه محمد باشا (أعدم بعد إعلان الدستور) سأل قره صو: ما هي الماسونية؟ فأجاب قرة صو: «الماسونية هي الإنسانية الكاملة» - يقال أن لهم إشارة خاصة؟ نعم: ياسيدي - أنظر هل بيننا ماسوني - حاشا يا سيدي الباشا لا يوجد بينكم أحد ماسوني، ثم أطلق سراحهما. راجع: طوران، مصطفى، المصدر السابق، ص ٥١.

(١٥) ولد نامق كمال في Rhobosto في عام ١٨٤٠، وكان ينتمي إلى أسرة ثرية، قام على دراسة اللغـة العربية والفارسية والفرنسية، وتولى وظيفة رسمية في السابعة عشرة من عمره، وقد أعجب في شبابه بالمفكر التركي إبراهام شيناسي (١٨٢٦-١٨٧١) وانضم إلى رئاسة تحرير مجلته الشهيرة «تصوير أفكار» ولما التجأ شيناسي إلى فرنسا في سنة ١٨٦٥ أصبح مسؤولاً عن تحرير المجلة، ونتيجة لمقالاته الإنتقادية للحكومة نفي إلى الخارج، ولكنه عاد إلى الأستانة في عام ١٨٧١، إلا أنه نفي من جديد إلى قبرص. وعاد من جديد إلى الأستانة في عام ١٨٧٦ بعد خلع السلطان عبدالمجيد. راجع: الشناوي، عبدالعزيز محمد، المصدر

أمـا فيمـا يتعلق بالفكـر السياسي لجمعية الإتحـاد والترقي. فإنها تؤكد على المفاهيم الطورانية على المستويين الداخلي والخارجي. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الطورانية تسمية تشير إلى وطن الأتراك الأصلي ونسبته إلى جبل توران الواقع في المنطقة الشمالية الشرقية من ايران.

وهناك اتجاهان في داخل الحركة الطورانية فيما يتعلق بالتحرك السياسي. حيث يرى الإتجاه الأول أن العثمانيين وإن كانوا من الترك أصلاً، فقد اختلط دمهم بكافة القوميات ومنذ قرون طويلة ابتداء من غربي آسيا وجنوبي أوربا من فرس وعرب وكرد وجـركس وكرج وأرمن وبلغار وأرناؤط وبشناق . . الخ. وهذا يعني أن الأتراك قد ابتعدوا عن الأتراك الأصليين، ولا سيما من المغول والذين اشتهروا بقبح المنظر وغلظ الطبع وكره الحضارة والشغف بسفك الدماء وتخريب الديار ونسف العمران. وذهب هؤلاء إلى أن الثقافة التركية العثمانية والأدب التركي العثماني هما خاصتان بأتراك آل عثمان لأنهما مقتبسان من الآداب العربية والفارسية، لأن لغة العرب ولغة الفرس كانتا لغتي العلم والشعر عند الأتراك منذ أن هاجروا إلى غربي آسيا. فهذه الفئـة وإن كانت لا تبـرأ من التـرك المسلمين سكان تركستان الروسية والتركستان الصينية وشمال فارس فهي تبرأ من المغول وتلعن تاريخهم، وتقول إنهم كانوا سبب انحطاط الشرق. وتذهب قائلة: إنه لا يوجد أدنى صلة نسب بين الترك العثمانيين والمغول، وإن الترك هم أصلاً من الجنس الأبيض الآري، وإنما اختلطوا بسبب الجوار بالجنس الأصفر المغولي وقد وصف مؤرخو الترك أعمال جنكيزخان وهولاكو وقومهما بمثل ما وصفها به مؤرخو العرب. والأكثر من ذلك فقد ألف مؤرخ تركي في هذا الصـدد (وهـو طاهـر المـولـوي) كتـابـاً خاصاً بفظائع جنكيزخان وهولاكو وفجائعهما، حيث جاء في كتابه أنه ليس من حق الأتراك «إن يفخروا بمثل هؤلاء

= السـابق، ص ١٠٠٤. وكذلك: الندوي، أبو الحسن علي الحسني، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، دار الندوة للتوزيع، لبنان، ١٩٦٥، ص ٥٥.

المفسدين في الأرض العائثين المدمرين الذين كانوا علة انحطاط الشرق عن الغرب. وأعظم بلاء وقع على الإنسان، وإذا أراد الأتراك المسلمون أن يراجعوا صحيفة حسابهم فيراجعوا تاريخ آل طولون بمصر وتاريخ السلاجقة وآل زنكي الاتابكي والدولة العثمانية». ويقول هذا الاتجاه «إن العثمانيين هم مسلمون أولاً وترك». ويمثل هذا الاتجاه مجموعة من أدباء الأتراك أمثال: عبدالحق حاصر بك الملقب بالأديب الأعظم وسليمان نظيف وأخيه فائق عالي وجناب شهاب الدين وجلال نوري بك، والشاعر محمد عاكف وأنور باشا المؤرخ(١٦)، وإسماعيل حقي بك الديار بكري وإسماعيل توبك الأزميري ورضا توفيق الفيلسوف(١٧).

أما الاتجاه الثاني فإنه يؤكد أن الترك هم من أقدم أمم البسيطة وأعرقها مجداً وأسبقها إلى الحضارة، وأنهم هم والجنس المغولي واحد في الأصل، ويلزم أن يعودوا واحداً ويسمون ذلك بالجامعة الطورانية ولم يقتصروا فيها على الترك الذي في سيبيريا وتركستان والصين وفارس والقوقاس والأناضول وروسيا. بل مبدأهم من

---

(١٦) هو غير أنور باشا وزير الحربية وهذا أيضاً ممن يقول بهذه النظرية.

(١٧) لوثر و.ب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، الجزء الأول، ط٤، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣، ص ١٥٧ـ١٥٨. وكذلك: حسين، محمد محمد (دكتور)، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر من قيام الحرب العالمية الأولى إلى قيام الجامعة العربية، الجزء الثاني، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٩٥٦ ص ٦٥. وأيضاً الحصري، ساطع، البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٦٥، ص ص ١٢١- ١٢٣.

وأيضاً: مذكرات السلطان عبدالحميد، ترجمة محمد حرب عبدالحميد، المرجع السابق، ص ١٢. وكذلك:

Steed, Henry Wickham, Through Thirty Years 1892–1922, Vol. 1, N.y, Garden city, 1925, p. 374; Lenczowski, op. cit., p. 64.,

Kushner, David, The Rise of Turkish Nationlism 1876–1908, London, pp. 46–49; Poik. William R., Chambers, Richard, Beginnings of Modernization in the Middle East The Nineteenth, U.S.A, 1968 p. 116.

هذه الرابطة إلى المغول في الصين وإلى المجار والفنلانديين في أوربا وكل من يقال أنه ينتمي إلى أصل طوراني، وهم يقولون بخلاف ما يقول الأولون فهم ترك أولاً ومسلمون ثانياً. وشعارهم عدم التدين وإهمال الجامعة الإسلامية، إلا إذا كانت تخدم القومية الطورانية، فتكون عندئذ واسطة لا غاية. وهذا يعني أن هذا الاتجاه يدعو إلى إحياء عقائد الترك الوثنية السابقة على أسلافهم، كالوثن التركي القديم (بوزقورت) أو الذئب الأبيض ـ الأسود الذي صوروه على طوابع البريد ووضعوا له الأناشيد، وألزموا الجيش أن يصطف لإنشادها عند كل غروب، وكأنهم يحلون تحية الذئب محل الصلاة، مبالغة منهم في إقامة الشعور العرقي محل الشعور الإسلامي. ويستشهد هؤلاء برجالاتهم في التاريخ أمثال: أتلا وآلب أرسلان وأرطغرل وجنكيزخان وتيمورلنك.

وقد تطرف هؤلاء في الطورانية، إذ قالوا: «نحن أتراك فكعبتنا طوران». وهم يتغنون بمدائح جنكيز، ويعجبون بفتوحات المغول، ولا ينكرون شيئاً من أعمالهم، وينظمون الأناشيد للأحداث في وصف الوقائع الجنكيزية ليطبعوهم على الإعجاب، ويرفعوا مستوى نفوسهم بزعيمهم. ويمثل هذا الاتجاه كل من: ضياء كوك الب(١٨)،

---

(١٨) ولد في ديار بكر بعام ١٨٧٥ أو ١٨٧٦، إلتحق بالمدرسة الثانوية في ديار بكر بعد أن تخرج من المدرسة الثانوية العسكرية. وقد إشترك مع شنازي ونامق كمال في إنشاء جمعية الاتحاد والترقي، هرب إلى أوربا عام ١٨٦٧، وعاش في باريس ولندن ثم جنيف، وهناك كتب العديد من المقالات هاجم فيها الحكم العثماني، وقد عين سنة ١٨٧٦ والياً على سوريا وتوفي في أدنه سنة ١٨٨٠. أخذ ضياء كوك ألب يؤكد أن ضيع الأتراك لفضائلهم يعود إلى نسيان أصلهم القديم وعاداتهم القديمة. راجع: حسين، محمد محمد (دكتور)، المصدر السابق، ص ٦٥. وكذلك: الصويص، سليم، أتاتورك منقذ تركيا وباني نهضتها الحديثة، عمان، ١٩٧٠، ص ص ٢٩ـ٣٠. وكذلك:

Lenczowski, op. cit., p. 649;

Fisher, op. cit., pp. 344–346.

ويوسف اقشورا(٢٠) وجلال ساهر ويحيى كمال وحمدالله صبحي ومحمد أمين بك الشاعر، وكثير من الأدباء والمفكرين وأكثر الطلبة والنشيء الجديد.

أما تأثير اليهود على الطورانية، فهو أمر واضح وفي هذا الصدد يقول نيازي بركس في كتابه «المعاصرة في تركيا»: «إن لليهود الأوربيين واليهود المحليين» «في الدولة العثمانية» في القرنين التاسع عشر والعشرين دوراً ضخماً في إرساء تيار القومية الطورانية فالعلماء اليهود في الغرب مثل لوملي دافيد وليون كاهون وارمينيوس فامبري تصدروا للكتابة عن أصول الفكرة القومية الطورانية كما أن اليهود المحليين (في الدولة العثمانية) مثل كراسسوا (قراصو) وموئيز كوهين(٢١) وابراهام غالانتي، كان لهم

---

(١٩) وهو من تترفولكا له جريدته الذائعة الصيت «تورك يوردي» أي «الوطن التركي». وكان يؤكد على فكرة بناء المجتمع والدولة على أساس القومية التركية دون باقي القوميات الذي يجب أن تكون تابعة، وتخضع للعنصر التركي خضرع التابع للمتبوع. راجع: حسين، محمد محمد (دكتور)، المصدر السابق ص ٦٥.

(٢٠) وهو من أتراك روسيا من نواحي قازان على نهر الـ «فولغا» درس في بداية الأمر في جامعة أورنبورغ في روسيا، ثم واصل دراسته في مدرسة العلوم السياسية في باريس. وقد أولى أقشورا إهتماماً كلياً بمبدأ القوميات في توجيه سياسات الدولة الخارجية، وكان يؤكد أن: «الدولة العثمانية لا يمكن أن تعيش، لأنها مؤلفة من عناصر وقوميات مختلفة، إنها ستموت وتنقرض حتماً، ولكن بعد موتها ستقوم دولة تركية لا تضم غير الأتراك». راجع: المصدر السابق، ص ٦٥.

(٢١) يعد موئيز كوهين من مواليد سلانيك عام ١٨٨٣، درس في مدرسة الحقوق وتخرج منها. وأخذ كوهين يكتب في صحيفة «روم إيلي» بعد أن سيطر الاتحاد والترقي على زمام الحكم، علماً أنه انضم إلى جمعية الاتحاد والترقي في عام ١٩٠٥. راجع:
عبدالحميد، محمد حرب، «موئيز كوهين يهودي عثماني من قادة الطورانية»، العربي، آيار، ١٩٨٢، ص ٨٧.
استقر في إستانبول في عام ١٩١٢ بعد ضم سلانيك باليونان، وعليه فقد تبنى اسم Tekinalp وكتب المجموعة الجديدة ومجموعة الانسكلوبيديا والاقتصاد التركي والقومية التركية. =

ضلع في جمعية الاتحاد والترقي. وبمجرد أن نجحت هذه الجمعية (في الإطاحة بحكم عبدالحميد ومن ثم الاستيلاء على السلطة تقدم الصهاينة إلى الاتحاديين برغبتهم في أن تعترف الجمعية بفلسطين وطناً قومياً لليهود ..).

= راجع:
Ahmed, Feroz, Unionist Relations with Greek, Armenian, and Jewish Communties of the Ottoman Empire, 1908–1914, op. cit., p.434.

وقد عمل كوهين أستاذاً في كلية الحقوق وذلك في المدة الواقعة بين ١٩١٤-١٩١٨، وفي عام ١٩٢٢ عمل في الصحافة، حيث أخذ يكتب في صحيفة «وطن» وكان صاحب هذه الصحيفة هو أحمد أمين يلمان وهو من يهود الدونمة. وفي عام ١٩٤٦ أختير كوهين في المجلس الإقليمي لحزب الشعب الجمهوري لمدينة إستانبول. توفي كوهين في ٢٧ أيلول عام ١٩٦١. يقول كوهين في إحدى كتبه: «من الإلزام أن يتحد جميع الأتراك في سبيل سمو الجنس التركي. وطالما أن هذا التيار وهذه الفكرة لم تتم ولم تتسع بعد، فمن الصعب كثيراً على الأتراك العثمانيين خلق الحضارة الجديدة التي يستهدفون إقامتها منذ أمد ولأن هذه الحضارة المستقبلة لن ينجح في تشييدها إثنا عشر أو خمسة عشر مليون تركي، فلابد من إيقاظ الأتراك خارج تركيا أيضاً ويبلغون أربعين أو خمسين مليوناً، ودفعهم إلى هذه الفكرة وإن الحرب العالمية الأولى ستنتهي لا محالة بهزيمة روسيا وبالتالي فإن الأتراك سيطورون وبصورة غير عادية إتحاد أتراك العالم».

ويقول كوهين في مكان آخر: «إن أهم ما أريده هو رؤية كل الأتراك في العالم متحدين ومستقلين سياسياً وذهنياً». وقد ألف كوهين كتاباً عن الطورانية ليس بإسمه الحقيقي ولكن بإسم تكين. ويقول كوهين في هذا الكتاب: «إن تعبير طوران ليس تعبيراً سياسياً، إنه فقط مثل إيطاليا التي يظن أنها اسم جغرافي وهي بالمثل اسم لاتحاد أتراك العالم الذي سيتحقق ذات يوم. وسيحدث ذات يوم أن تنهار روسيا التي تعيش الأتراك في أسرها اليوم. ستنهار روسيا كما إنهارت من قبلها الإمبراطوريات وسيرفع الأتراك التاج الذهبي لجدهم جنكيز خان فوق صدورهم الملتهبة بالفكر القومي، سيرتفع هذا التاج لأن طوران ليس تعبيراً تاريخياً، ان طوران حقيقة عرقية .. إن طوران تعيش لكنها تعيش تحت مخلب الصين وحذاء الروس». راجع: عبدالحميد، محمد حرب، «موئيز كوهين يهودي عثماني من قادة الطورانية»، المصدر نفسه، ص ٨٧- ٨٩.

وقد ذكر بركس في كتابه السالف الذكر اسم اليهودي موئيز كوهين الذي وصفه رينيه بيلو قائلاً:

١- إن كوهين هو من مؤسسي الفكر القومي الطوراني في الدولة العثمانية.

٢- إن كتاب موئيز كوهين هو الكتاب المقدس للسياسة الطورانية.

ويتضح مما تقدم، بأن جمعية الاتحاد والترقي، هي جمعية قامت على إثارة المشاعر القومية عند الأتراك، تحت حلم الطورانية، وقد نادت بمفاهيم جديدة مثل الوطن والدستور والحرية، وكانت هذه المفاهيم غريبة على العثمانيين، وقد ضمت في صفوفها مجموعة من الشباب المثقفين الأتراك، بالإضافة إلى يهود الدونمة. وكانت الغاية منها الإطاحة بحكم عبدالحميد الثاني.

المبحث الثاني
جمعية الاتحاد والترقي واليهود

هناك اتفاق بين الكتاب في أن أقطاب جمعية الاتحاد والترقي كانوا من يهود الدونمة أو من تلاميذهم وحملة آرائهم والمنفذين لمخططاتهم[٢٢]. ويقول في هذا الصدد المؤرخ الفرنسي «جان براون»: «إن الدونمة هم من أصحاب المصيدة، أذكى الأقوام والأجيال التي تعيش في مدينة سلانيك، انتسب معظمهم إلى جمعية الاتحاد والترقي»[٢٣].

ويؤكد سيتون واتسون هذه الحقيقة بقوله: «إن أصحاب العقول لحركة الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ كانوا يهوداً من الدونمة، أما المساعدات المالية فإنها كانت تصل إليهم عن طريق الدونمة ويهود سلانيك المتسولين». ويذهب واتسون قائلاً: «إن جميعة الإتحاد والترقي قامت على عناصر تركية، وعناصر إسلامية غير تركية، فمنذ أن وجدت هذه الجمعية لم نجد من قادتها رجل واحد من أصل تركي فأنور باشا هو ابن لرجل بولندي مرتد، وكان جاويد من يهود الدونمة، وقره صو يهودي سفارديمي من ولاية سلانيك وكان طلعت من مسلمي الغجر البلغاريين، أما أحمد رضا فينتمي إلى إحدى الجماعات الوضعية الفلسفية والتي تأثرت بمدرسة Comte، حيث أصبح رئيساً لها. ويجب أن نقر ونعترف أن هذه هي صورة تركيا الفتاة، والتي

(٢٢) قطب، محمد علي، المصدر السابق، ص ٣٦.

(٢٣) المصدر السابق، ص ٣٧.

وجدت في كتابات John Buchan الرومانسي المشهور. وكانت هذه الصورة خير عامل لأنور باشا البولندي، كما أن ليهود بولندا الدور الواضح في هذا المجال. هذه القصة الغربية لأنور البولندي الأصل من المحتمل أن تكون قد دفعت أنور كلجلدان باشا من ضباط الأركان العام للتعاون مع الإتحاد والترقي، وكان هو الآخر من أصل بولندي».

وتقول صحيفة المشرق: «بأن الكل يعلم أن مركز الإنقلاب إنما كان في سلانيك، واليهود فيها نيف وسبعون ألفاً»[٢٤].

يقول لاوثر في رسالته إلى وزير خارجية بريطانيا: «إن حركة تركيا الفتاة هي في جوهرها وأساسها حركة يهودية وتركية تعارض العناصر الأخرى كالعرب واليونان والبلغار والأرمن ... وكان من المؤمل في البداية أن يؤلف الأرمن والبلغار واليونان واليهود العثمانيون الدعامة الاقتصادية للبلاد، ولكن يظهر أن جمعية الاتحاد والترقي قد تحالفت فقط مع اليهود العثمانيين والأجانب وعادت العناصر الأخرى». ويذهب لاوثر قائلاً: «لقد قدم اليهود الأموال إلى الأتراك الشبان. وبهذا أحكموا سيطرتهم عليهم ولكن حتى يحافظ اليهود على هذه السيطرة لا بد لهم أن يتظاهروا على الأقل بأنهم يوافقون على تحقيق الأتراك الشباب لأحلامهم القومية والسرية والطرائق الملتوية أمران أساسيان لكلا الفريقين. واليهودي الشرقي متمرس في التعامل مع القوى الخفية. وقد اعتُبرت الماسونية السياسية من الطراز الأوربي كأكثر الروابط فعالية والعباءة التي تستر الأعمال الداخلية للحركة ...»[٢٥].

---

(٢٤) الجندي، أنور، يقظة الإسلام في تركيا، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١٠ وكذلك

Lewis, B. The Emergence of Modern Turkey, Oxford University Press, 1968, p. 212.

(٢٥) رسالة لاوثر المرسلة إلى وزير خارجية بريطانيا، آفاق عربية، عدد ٩، ١٩٧٨، ص ٦١-٦٢.

وكذلك:

Ahmed, Feroz, Unionist Relations with the Greek, Armenian and Jewish Communties of the Ottoman Empire, 1908-1914, in christians and Jews in the Ottoman Empire, op. cit., p. 425.

ويقول الكاتب اليهودي أورام غالانتي في كتابه الأتراك واليهود: «إن الجماعات اليهودية خارج نطاق نفوذ عبدالحميد أيدت جمعية الاتحاد والترقي، وكان هذا التأييد مفيداً، أثناء ما كانت الجمعية تعد العدة للإنقضاض على عبدالحميد»[٢٦]. ويستطرد غالانتي قائلاً: «إتصل أحمد رضا (مدير المعارف في بورصة) رئيس جناح الاتحاد والترقي ورئيس فرع الجمعية في باريس، عندما كان في مصر عام ١٩٠٧ بالجمعية الإسرائيلية بمصر[٢٧]. وقد أدت هذه الاتصالات، إلى تصويت الجمعية المذكورة إلى جانب أحمد رضا، حيث أصبح رئيساً لجمعية الاتحاد والترقي في كانون الأول عام ١٩٠٧، ولأهمية هذا الموضوع، نتحدث عنه في النقاط الآتية:

١- الماسونية.

٢- العلاقة بين الماسونية واليهودية.

٣- العلاقة بين الماسونية وجمعية الاتحاد والترقي.

٤- جمعية الاتحاد والترقي والبكتاشية.

---

(٢٦) غالانتي، اورام، توركلر ويهوديلر، إستانبول، ص ٢٢ وكذلك:

Lewis, B, The Emergence of Modern Turkey, op. cit., p. 219.

(٢٧) وكان كثير من جماعة الاتحاد والترقي قد فروا إلى مصر من مطاردة عبدالحميد، فاتخذوها مركزاً من مراكز دعايتهم وأصدروا فيها بعض الصحف والمنشورات. وكان الخديوي عباس يتساهل معهم عندما تتوتر علاقة مصر مع الدولة العثمانية. وكان كرومر هو الذي يتولى الدفاع عنهم في حالة تخلي عباس عنهم، ونتيجة لذلك فإن أعضاء الاتحاد والترقي كانوا يدينون له بالولاء. وجدير بالإشارة إلى أن الجمعية الإسرائيلية كانت تعتبر إحدى الهيئات التي تتعاون مع هؤلاء الأتراك الذين لاذوا بالفرار إلى مصر. راجع في هذا الصدد: حسين، محمد محمد (دكتور)، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر من الثورة العرابية إلى قيام الحرب العالمية الأولى، الجزء الأول، ط٢، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٣٨٢هـ، ص ١٩٩ وكذلك:

Atilhan, Islami Saran Tehlike Siyonizm Ve Protokollar, op. cit., s. 155.

٥- الاتحاد والترقي والدول الأوربية.

٦- الإطاحة بحكم عبدالحميد الثاني.

١- الماسونية

١- الماسونية:

جاءت تسمية الماسونية من كلمة «ميس» أو ماسون التي تعني بالانكليزية والفرنسية - البناء أو المعمار، وتضاف إليها عادة لفظة أخرى هي «فري» الإنكليزية - بمعنى «حر» أو فران الفرنسية أي «الصادق» فتصبح «فرى ميسن» أو «فران ماسون»، وكان هذا الاسم يلفظ في العهد العثماني «فرمسون».

ومن هذا الاستعمال التركي انتقلت الكلمة إلى الأقطار العربية، وكانت تلفظ في الاستعمال العامي «فرمصون»[٢٨].

«والماسونية» اسم لهذه الجمعية وممارساتها وطقوسها، والطريقة التي تدار بها إجتماعات فروعها المحلية التي تسمى «محافل» والتي تربط بـ «محفل أم» أو محفل أعظم واحد[٢٩].

قال فورستيه: «واسم البناء الحر الذي وجد منذ القرن الثالث عشر كان يدل على العمال الّذين يشتغلون بالحجر غير القاسي الذي يمكن هندمته بالمطرقة والأزميل وذلك للتفرقة بينه وبين الحجر القاسي، فالبناء الحر أذن كان حفاراً على الحجر، وقد ظنت جمعية البنايين الأحرار إنها تحسن صنعاً لو وضعت الكلمة قيد

---

(٢٨) صفوة، نجدة فتحي، الماسونية في البلاد العربية، الوطن العربي، العدد: ١٩٦، تشرين الثاني، ١٩٨٠، ص ٤٨، وكذلك: البستاني، سيف الدين «دكتور»، أوقفوا هذا السرطان: حقيقة الماسونية وأهدافها، دار النهضة العربية للتأليف والنشر والترجمة، دمشق، ١٩٥٩، ص ٢١، وكذلك: عنان، محمد عبدالله، المصدر السابق، ص ١١٥

(٢٩) صفوة، نجدة فتحي، المصدر السابق، ص ٤٨.

الإستعمال لتميز نفسها عن البنائين المحترفين، وعن هذه الجمعيات القديمة أخذت الماسونية إسمها[٣٠].

أما فيما يتعلق بتاريخ نشوئها، فإن هناك تضارباً في الآراء بصدد ذلك، فمنهم من يقول أن الماسونية نشأت قبل القرن الثامن عشر، ومنهم من قال إنها أنشئت في هيكل سليمان، وكتاب آخرون يقولون أن تاريخ الماسونية يرجع إلى أقدم من ذلك حيث أوصلوا إلى الكهانة المصرية وغيرها[٣١].

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن الماسونية هي مذهب سري لم تقنن معالم نظامها جميعاً، لأن كثيرا من تعاليمها تجري بصورة شفهية، ذلك أن محتوى أرشيفات المحافل الكبرى والمحافل المحلية لم ينشر بعد، لأنه من الممكن أن تكون قد عقدت مؤتمرات أخرى كبرى للمحافل الماسونية من ذوي المراتب العليا لم يذكر عنها شيء، أما شعارها فهو الحرية والمساواة والإخاء[٣٢].

---

(٣٠) البستاني، سيف الدين «دكتور»، المصدر السابق، ص ٢١-٢٢.

(٣١) المصدر السابق، ص ٢٣-٢٤، هناك من يقول أن الماسونية ترجع إلى جمعية إيزيس المصرية السرية، كما نسبها آخرون إلى جمعية الصليب الوردي التي تأسست سنة /١٦١٦م، وذهب بعضهم إلى أن خيمة عهد موسى التي نصبها في صحراء سيناء، كانت المحفل الماسوني الأول فسموه لذلك المحفل الممجد الطاهر، وهناك من يقول بأن الماسونية قد تأسست بإسم القوة الخفية سنة/٣٧م أسسها الملك هيرا دوس أكردا وحيرام أبيود وذلك للمحافظة على الهيكل وكذلك كمحاربة المسيحية التي أخذت تنشر بين اليهود وسمي هؤلاء محفلهم بإسم «محفل أورشليم». راجع:

Soysal, Ilhami, Turkiye Ve Dunyada Masonluk Ve Masonlar, Deryayinlari, Istanbul, 1978, ss. 34-36; Mackenzie, Norman, Secret Societies, London, 1967, p. 152; Cem Hassan, Dunyade Ve Turkiyeda Masonluk, Ozdemir Basimevi, Istanbul, 1963, ss. 7-10.

وكذلك: سنقرط، داود عبدالعفو، القوى الخفية لليهودية العالمية الماسونية، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٣، ص ٨.

(٣٢) Wichti, Friederich, Freimauerci, Welt, Eine Untersuchunguber Urprung and End Zieledes Weitkieges C. 5th =

وفيما يتعلق بشعار الماسونية، فقد جاء في البروتوكول التاسع من المقررات الصهيونية أو مضابط الجلسات السرية لحكماء صهيون ما يلي: «إن الكلمات التحررية لشعارنا الماسوني هي الحرية والمساواة والإخاء، وسوف لا نبدل كلمات شعارنا، بل نصوغها معبرة ببساطة عن فكرة، وسوف نقول: «حق الحرية، وواجب المساواة، وفكرة الإخاء»[٣٣].

أما فيما يتعلق بمراتب الماسونية، فإنها تنقسم إلى ثلاث هي[٣٤]:

١ـ الماسونية الرمزية: يدخل فيها الأشخاص الذين ينتمون إلى ديانات مختلفة ويتمسك الشخص فيها بشعار الحرية والإخاء والمساواة، سعيدا بما يناله من عون الأعضاء الآخرين، ذلك العون الذي يؤهله الوصول إلى مركز مرموق في العمل أو منحه وظيفة جيدة أو ثراء واضح، كل ذلك يدفعه إلى التمسك بالتعاليم الماسونية ومبادئها.

وفي داخل الماسونية الرمزية هناك ثلاث وثلاثون درجة، وتتم ترقيته من درجة إلى درجة طبقاً لإخلاصه وكفاءته، ومدى تطبيق المباديء والتعاليم الماسونية، وتجدر

= ed. Munich (1920), p. 105.

(٣٣) إستطاعت سيدة فرنسية أن تختلس بعض قرارات المؤتمر الذي عقد في مدينة بال السويسرية في عام ١٨٩٧ـ أثناء إجتماعها بزعيم من أكابر رؤسائهم في محفل من المحافل الماسونية السرية في فرنسا.

وقد وصلت هذه الوثائق إلى اليكسن نيقولا بنفيتش كبير جماعات أعيان روسيا الشرقية في عهد القيصرية، فدفعها إلى صديقه سرجي نيلوس، حيث قام بترجمة هذه المقررات إلى اللغة الروسية، وبعد ذلك فقد ترجمت إلى اللغات الأوربية الأخرى.

راجع في هذا الصدد: الخطر اليهودي: بروتوكولات حكماء صهيون، المصدر السابق، ص ٣٢ ـ ٣٤، ١٥٥ـ ١٥٦.

(٣٤) محمود، علي عبدالحليم، جمال الدين الأفغاني، جدة، دار الناشر للطباعة والنشر، ١٩٧٩، ص ١٤٥. =

الإشارة في هذا المجال، أن العضو بالامكان أن يحصل على درجات كبيرة في الماسونية في حالة إبتعاده عن دينه ووطنه.

٢ـ الماسونية الملوكية أو العقد الملوكي: إن جل أعضاء هذه المجموعة هم من اليهود، ويطلق على هؤلاء بالرفقاء، ولا يسمح للأمم الأخرى غير اليهود الدخول فيها، إلا في حالة وصول العضو إلى مرتبة الماسونية الرمزية.

٣ـ الماسونية الكونية: وتعتبر من أهم المجاميع في المحافل الماسونية وأعضاؤها من اليهود الخلص، ويطلق عليهم الحكماء، ورئيس هذا الفريق أطلق عليه بالحكيم الأعظم، إذ يعتبر هو المصدر في السلطات لكافة المحافل الماسونية.

ويجدر أن نؤكد في هذا المجال، أن الماسونية لعبت دوراً مهماً وخطيراً في السياسة الأوربية لسنوات طويلة من التاريخ، وحري بالذكر أن الماسونية بدأت تنظيماتها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وبدأت تمارس تأثيرها في أوربا والولايات المتحدة عن طريق جماعات سرية[٣٥].

= (٣٥) Wichtl, op. cit., p. 105.

كشفت مخططات المحافل الماسونية في الأقطار الغربية، بعد كشف هذه المخططات في إيطاليا، حيث اتضح أن المحفل الماسوني الإيطالي والذي ضم ٩٦٢ شخصية سياسية وعسكرية، يقوم بأدوار إستخبارية، وإفساد للمؤسسة القضائية وتهريب الأموال إلى خارج إيطاليا. وقد دفعت إحدى الفضائح إلى استقالة الحكومة الإيطالية.

ونتيجة لذلك، قامت الكنيسة الكاثوليكية في القرون المنصرمة إلى محاربة المحافل الماسونية، «بسبب إيمان أعضائها إيماناً مجرداً بوجود ما يسمونه (مهندس عظيم الكون)، بالإضافة إلى ممارستها طقوساً لا علاقة لها بالدين، ناهيك عن أنها تزاول نشاطاً يتسم بالكتمان والسرية، حيث تتدرج العضوية فيها بشكل هرمي.

وقد أعلن البابا كلينت الثاني «أن الماسونيين يشكلون تهديداً خطيراً للكنيسة وأمر أن يحرم من الانتماء للكنيسة الكاثوليكية أي كاثوليكي يصبح عضواً في محفل ماسوني».

وقد اتخذ البابوات اللاحقون موقفاً شبيهاً بذلك: البابا بنيدكد الرابع عشر، البابا بيوس =

أما فيما يتعلق بالدولة العثمانية، فإن الماسونية دخلت إليها عام ١٧١٧ وذلك في عهد السلطان أحمد الثالث حيث أسست جمعية لها في إستانبول[٣٦] وإرتبطت بالجمعية الماسونية «المشرق الفرنسي» وقد بقيت هذه الجمعية عاملة حتى عام ١٨٠٠، عندما أغلقت بعد قيام الثورة الفرنسية، غير أن الصدر الأعظم إبراهيم باشا الذي قرب إليه العلماء والمثقفين رأى في الماسونية تجديداً في الأفكار والآراء فانتسب إليها، وكان رشيد باشا سفير الدولة العثمانية قد انتسب عام ١٨٥٢ إلى إحدى المحافل الماسونية فيها وعندما عاد إلى إستانبول أسس جمعية ماسونية بالتعاون مع السفير البريطاني في الأستانة، وفي هذا المجال نشط الماسونيون الإنكليز وقاموا بتأسيس المحفل الأورخاني وأدخلوا فيه بعض الأتراك، وقد إعتبرت هذه الخطوة مرحلة جديدة في تطور الجمعية الماسونية الانكليزية في إستانبول، ولكن لم يلبث أن غيروا اسم محفلهم إلى محفل هومر الذي تبوأ رئاسته اليهودي ميديانو سلفادور الذي بقي في هذا المنصب حتى عام ١٩٠٩، حيث توسعت هذه الجمعية وضمت

= السابع، البابا ليو الثاني عشر (١٧٥١-١٨٢٥) كما اعتبر الماسونيين أيضاً مجرمين سياسيين وحاربتهم الممالك الإيطالية قبل القرن التاسع عشر. وقد تبين أن عدداً من القادة السياسيين في إيطاليا كانوا من الماسونيين أمثال (جاريبا لدى) الذي ترأس أحد المحافل الماسونية، وكذلك كروموبل الذي قام بثورة في انجلترا من أجل اليهود، بل إن هناك مصادر تشير إلى مدى صلة مارتن لوثر ودعوته البروتستانتية بالهدف اليهودي الماسوني. راجع: الجندي، أنور، الصحوة الإسلامية منطلق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طريق الله، دار الاعتصام، (بلا)، ص ٢٣٤- ٢٣٥.

(٣٦) ولعل أول محفل في الدولة العثمانية إفتتحه العثمانيون هو محفل (برات) مركز البانيا. راجع: طوران، مصطفى، المصدر السابق، ص ٢٦.
وذهب آخرون في هذا المجال، أن يهود سلانيك أنشأوا على عهد السلطان بايزيد الثاني عام /١٦٨٣م أول محفل ماسوني لهم فيها، أصبح فيما بعد مصدر جميع المحافل الماسونية في الدولة العثمانية. راجع: سنقرط، القوى الخفية لليهودية العالمية الماسونية، المصدر السابق، ص ١٢٩.

الكثيرين من الأتراك ولا سيما أعضاء جمعية الإتحاد والترقي كما سنرى في الصفحات القادمة من الكتاب[٣٧].

وقد بلغ عدد الماسونيين الأتراك في عام ١٨٨٢ حوالي (١٠٫٠٠٠) شخص وقد ضم هذا العدد الوزراء والنواب وقادة الجيش وكبار الماسونيين، وقام عبدالحميد على إغلاق جميع المحافل في سلانيك بسبب إرتباطاتها الدولية[٣٨].

وفي هذا المجال، يقول عثمان بك بن سليمان الجليلي في كتابه «دين الله الغالب على المنكر المبتدع الكاذب» «إنه كان قد ظهر في بلاد الروم (يريد الترك) دين جديد من بلاد الإفرنج يسمى الفرمسوني، وتبعه جمع كثير من المسلمين من عزيز ودوني .. وفائدته أن الذي يدين بهذا الدين لا يطرقه الفقر، وأنه إذا رأى بعضهم بعضا عرفه أنه منهم وذلك من السحر الذي تستعمله الفجرة والكفار، فمقت الله جميع من تبعه وأهلكهم وأباد منهم الكبار والصغار، حتى أنه استولى أهل الكفر على بلاد المسلمين. فملكوا البندر والخوتين ودشت التتار والقويم ولا زالت سلطنة القريم (الإسلامية) .. وقد أصاب الضعف الحركة المذكورة في عصر السلطان مصطفى الثالث ١٧٥٧ - ١٧٧٣، وفي عهد السلطان عبدالحميد الأول ١٧٧٣ - ١٧٨٨م».

---

(٣٧) Yeni Istanbul, 15 October, 1967.

(٣٨) حلاق، حسان علي، المصدر السابق، ص ٢٩٠.
إنخرط في المحافل الماسونية بعض الأسماء والشخصيات البارزة في الدولة العثمانية ومنهم على سبيل المثال فؤاد باشا الذي شغل لمرتين منصب الصدر الأعظم في عهد السلطان عبدالعزيز، ومدحت باشا الذي عين لعدة مرات صدراً أعظم في عهد السلطان عبدالعزيز والسلطان عبدالحميد الثاني، وأحمد وفيق باشا - الصدر الأعظم في عهد السلطان عبدالحميد، ثم عين رئيساً لمجلس المبعوثان بعد المشروطية الأولى، وخيرالدين التونسي باشا - الصدر الأعظم في عهد السلطان عبدالحميد - وإبراهيم حقي باشا، ونامق كمال بك وضياء باشا وإخوة السلطان مراد الخامس، وشيخ زاده أنورالدين، والملحق علي حيدر بك =

ويشير عثمان بك إلى دور الحركة الماسونية في إثارة الصعوبات والقلاقل للدولة العثمانية وخاصة في الولايات العربية التابعة لها[٣٩].

وإذا كنا بصدد تاريخ نشوء الماسونية[٤٠]، فإن من الأجدر بنا أن نتحدث بإختصار عن انتقال الماسونية إلى الوطن العربي، ولا سيما أن الأخير كان من ولايات الدولة العثمانية.

إنتقلت الماسونية إلى الوطن العربي عن طريق مصر، حيث إن أول محفل

= ـ والذي كان مقرباً من السلطان عبدالمجيد والسلطان عبدالعزيز: راجع: المجلة الماسونية لعام ١٩٢٥، العدد ٢٧/٢٨، استانبول

وقد انضم شخصيات وأسماء بارزة في الدولة العثمانية إلى محفل مكدونيا ريزوتا، ومنهم طلعت باشا وكاظم باشا ومدحت شكري ومبعوث موش ناقي وحسين محي الدين ـ قائد الجندرمة (الدرك) ومانياسي زادة رفيق وفريد أسيو وكاظم ناجي.

ضم محفل فريد أس في سلانيك أسماء العديد من الأتراك العثمانيين، وكان رئيس هذا المحفل عمانوئيل قرة صو، ومن بعده ناقي بك وطلعت بك، ومن أعضاء هذا المحفل، جمال باشا وفائق باشا ومودانيو وكاظم ناجي ومصطفى دوغمان ومصطفى نجيب. راجع: المصدر السابق.

(٣٩) رؤوف، عماد عبدالسلام (دكتور)، الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي ١١٣٩-١٢٤٩هـ ١٧٢٦-١٨٣٤م، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٥، ص ٤١٢- ٤١٣.

(٤٠) ظهرت الماسونية بشكلها الذي تعرف به اليوم أول ما ظهرت في مدينة إيكوسيا باسكتلندا سنة ١٧١٧م ولذلك فإن الماسونيين يحتفلون بهذه الذكرى كل عام بتاريخ ٢٤ حزيران يوم تأسيس الماسونية الايكوسية. أما ألمانيا فقد تأسست الماسونية فيها سنة ١٧٧٦، ومنها انتشرت في أقطار أوربا الشرقية والوسطى، وهكذا فالماسونية الحديثة لها مصدران: مصدر اسكتلندي ومصدر ألماني، وكانت الماسونية الاسكتلندية تعرف بإسم الماسونية الحرة، أما الماسونية الألمانية فكانت تعرف بالماسونية التورانية إلا أن الماسونيتين سرعان ما التقتا في مصدر واحد في سويسرا وفرنسا. راجع سنقرط، داود عبدالعفو، القوى الخفية لليهودية العالمية الماسونية، المصدر السابق، ص ٩-١٠.

ماسوني قد تأسس في مصر عام ١٧٩٨ باسم «محفل إيزيس» وذلك بعد حملة كليبر وكان تابعاً للشرق الأعظم الفرنسي[٤١].

وقد انتمى بعض الشخصيات البارزة إلى المحافل الماسونية، أمثال جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، وكان ذلك مثاراً للدهشة والاستغراب في العالم الإسلامي.

فيما يتعلق بالأفغاني[٤٢] فإنه قبل في بداية الأمر في محفل «كوكب الشرق» التابع للمحفل الأعظم الإنكليزي، ثم إرتقى بالسرعة الممكنة في مراتب الماسونية، حتى وصل بعد نحو من ثلاثة أعوام (أي في أوائل ١٨٧٨) إلى مرتبة الرئاسة[٤٣].

ويقال إن الأفغاني قام بعد ذلك بإنشاء محفل محلي تابع للشرق الأعظم الفرنسي، ودعا زملاءه إليه من العلماء والوجهاء، فصار أعضاؤه نحوا من ثلاثمائة

---

(٤١) صفوة، نجدة فتحي، المصدر السابق، ص ٤٨.

(٤٢) ولد الأفغاني في عام ١٨٣٨ في مدينة أسد آباد الإيرانية. وتوفي في ٩ آذار عام ١٨٩٧ في القسطنطينية مصاباً بالسرطان في لسانه. راجع في هذا الصدد:

The New Encyclopedia Britannia, Vol. V, 1968, p. 506; Karpart, Turkeys Foreign Policy, op. cit., p. 113.

وكذلك: جمعة، محمد لطفي، حياة الشرق، دار إحياء الكتب العربية، (بلا)، ص ١٢.

ويرى كتاب آخرون، إن الأفغاني ولد في أسعد أباد على مقربة من كنار من أعمال كابل في أفغانستان. راجع: محمود، علي عبدالحليم (دكتور)، جمال الدين الأفغاني، دار عكاظ، الرياض، ١٩٧٩، ص ٣٤. وكذلك: عبدالحميد، محسن (دكتور)، جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٣.

وهناك روايات أخرى تقول أن الأفغاني طلع إلى الحياة في أسد أباد بالقرب من همذان من أعمال فارس، وأنه أراد التخلص من الاستبداد الذي كان يسود فارس فانتحل الجنسية الأفغانية. راجع: محمود، علي عبدالحليم (دكتور)، المصدر السابق، ص ٣٤.

(٤٣) صفوة، نجدة فتحي، المصدر السابق، ص ٤٨.

حتى إن توفيق باشا ولي العهد طلب الدخول إلى المحفل المذكور[٤٤].

وفي خلال عام ١٨٧٨ زاد مركز الأفغاني في المحفل الماسوني، وصار له أصدقاء من أصحاب المناصب العالية مثل محمود باشا البارودي (الذي نفي مع عرابي باشا إلى جزيرة سيلان) وعبدالسلام بك المويلحي النائب المصري في دار الندوة وسليم نقاش وأديب وإسحق وعبدالله نديم[٤٥].

وفي الحقيقة «إن الذي جر الأفغاني إلى الماسونية هو الصحفي اليهودي يعقوب صنوع الذي استماله إلى شخصه وإليها بتظاهره بمهاجمة سياسة الخديوي فلما اكتشف الأفغاني إن ظاهرها غير باطنها تركها وأسس ما سماه بالماسونية العربية»[٤٦].

وهناك تضارب في الآراء بين الكتاب حول دخول الأفغاني للمحافل الماسونية حيث أن قسماً من الكتاب يؤكد أن الأفغاني لم يكن يعرف مقاصد الماسونية وإرتباطاتها بالحركة الصهيونية، ولا سيما أن الأفغاني قد توفي قبل ظهور هذه الحركة بمدة، ويدللون على رأيهم في هذا بالرجوع إلى مذكراته في هذا الصدد حيث يقول الأفغاني في المحفل الإسكتلدني ما يأتي: «أما نحن معشر الماسون فيؤلمني أنني للآن ما عرفت لنفسي بصفتي ماسونياً، ولا لمصطلح الماسونية تعريفاً يجعل لها صورة في الذهن، أو وضعاً ينطبق على من ينخرط في تلك العشيرة»[٤٧].

---

(٤٤) رضا، محمد رشيد، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، ج١، مطبعة المنار بمصر، ١٩٣١، ص ٤٠-٤١، وكذلك:

Kedourie Elie, «Further light on Afghani», Middle Eastern Studies, Vol. 2, January, 1965, pp. 189-190.

(٤٥) رضا، محمد رشيد، المصدر السابق، ص ٤٦.

(٤٦) سنقرط، المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٤٧) المخزومي، محمد باشا، خاطرات جمال الدين الأفغاني، دار الفكر الحديث، ط٢، لبنان، ١٩٦٥، ص ١٨. وكذلك: الزعبي، محمد علي، الماسونية منشئة ملك إسرائيل القسم الأول، منشورات مكتبة العرفان، بيروت، ١٩٥٦، ص ١٣. =

وأضاف الأفغاني قائلاً: «أول ما شوقني للعمل في بناية الأحرار عنوان كبير خطير: حرية ـ مساواة ـ إخاء وأن غرضها منفعة الإنسان والسعي وراء دك مروج الظلم وتشييد معالم العدل المطلق، ولكن كنت أنتظر أن أسمع وأرى في مصر كل غريبة وعجيبة ولكن ما كنت لأتخيل أن الجبن يمكنه أن يدخل من بين إسطوانتي المحافل الماسونية ... إذا لم تتدخل الماسونية في سياسة الكون وفيها كل بناء حر، وإذا كانت آلات البناء التي بيدها لا تستعمل لهدم القديم وتشييد معالم حرية صحيحة وإخاء ومساواة، وإذا كانت لا تدك صروح الظلم والفقر والجور فلا حملت يد الأحرار مطرقة ولا قامت لبنايتهم قائمة»[٤٨].

وقال الأفغاني مخاطباً ومودعاً «المحفل الماسوني الاسكتلندي[٤٩]: «اعتقدوا أيها الأخوان أن مجال الدين ينكر على نفسه حب الرياسة. إن الماسونية أشرف وأرفع من أن تعمل على إيجاد سلطة تخدم غاية شخصية أو منفعة مادية» وأردف قائلاً: «دعوني أكن عاملاً ماسونياً نزيهاً، متجنباً للرذائل، إذا لم يكن حرصاً على شرف شخصيتي، فخوفاً أن تعاب الماسونية بي فيتخذني الأغيار سهماً للطعن بها وهي براء منه. وما ذنب الماسونية إلّا أنها قبلتني بين أفرادها دون اختيار صحيح وأبقت عليّ من غير تبصير»[٥٠].

= وفي هذا المجال يقول أنور الجندي: «وقد بدأت بعد سقوط السلطان عبدالحميد تتكشف خفايا الماسونية وأبعادها الخطيرة التي لم يكن يعرف مداها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهما عندما اتصلوا بها وظنوا أنهم يستطيعون عن طريقها خدمة العالم الإسلامي وتحريره من النفوذ الأجنبي الزاحف آن ذاك». راجع: الجندي، أنور، الصحوة الإسلامية منطلق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طريق الله، المصدر نفسه، ص ٢٣٥.

(٤٨) أمين، أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٧٣.

(٤٩) بعد أن ترك الأفغاني المحفل الاسكتلندي، قام على إنشاء محفل آخر كان تابعاً للشرق الفرنسي. راجع: المصدر نفسه، ص ٧٤.

(٥٠) المخزومي، محمد باشا، المصدر نفسه، ص ١٩ وكذلك: المغربي، عبدالقادر، جمال الدين الأفغاني، ط٢، دار المعارف بمصر، (بلا)، ص ٧٥-٧٦.

يدافع عن هذا الرأي بعض كتاب العرب ومنهم على سبيل المثال الدكتور محمد عمارة، حيث يقول في هذا الصدد: «يدور لغط كبير حول إنضمام الأفغاني ومحمد عبده وعدد كبير من قادة مصر ومفكريها في ذلك التاريخ إلى الحركة الماسونية ويتخذ البعض من هذا الانضمام وسيلة للطعن فيهم والتشكيك بوظيفتهم، ونحن نرى أن أصحاب هذا الموقف قد جانبهم الصواب، لأنهم أغفلوا عدة عوامل منها مثلاً:

آ - إنهم يفترضون أن الماسونية كانت منذ قرن من الزمان كما هي اليوم، ويقيسون الموقف منها يومئذ بموقفنا منها اليوم، بعد أن تكشف لنا منها أمور لم تكن قد ظهرت بها يومئذ، أو لم تكن تكشف على أقل تقدير.

ب - إنهم يغفلون أن الحركة الماسونية كانت مركز جذب لأصحاب الفكر الحر في ذلك العصر بسبب من نشأتها الأوربية، كحركة مناهضة لسلطان الكنيسة ورجعيتها ومناهضة لسلطان الأباطرة الاقطاعيين وعملها في سبيل فصل السلطان الكنسي عن دوائر الحكم، وتحرير العلم والعلماء من سلطنة الكهنوت.

جـ - إنهم لا ينتبهون إلى حقيقة هامة تتعلق باستغلال الماسونية ومحافلها حديثاً لخدمة الأهداف الصهيونية في الشرق وفي فلسطين بالذات وهذه الحقيقة تتعلق بسبب هذه الحقبة - فترة الأفغاني ومحمد عبده على تكوين الحركة الصهيونية الحديثة منه ١٨٩٧م فلم تكن العناصر اليهودية في الحركة الماسونية قد انخرطت بعد في سلك الصهيونية، ولم يكن التيار الحديث في الحركة اليهودية قد تكون بعد ولم تكن الأوساط قد اتفقت على السعي لإقامة دولتها في فلسطين وعلى أقل تقدير لم يكن شيء من هذه الأهداف قد اتضح أو تكشف بعد أيام هؤلاء القادة والرواد ومن ثم فلم يبدو من الماسونية إلا وجهها التقدمي الذي يرفع شعارات الثورة الفرنسية عن «الحرية والإخاء والمساواة»(٥٢).

(٥٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، ج١، الكتابات السياسية: حققها وقدم لها محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢، ص ٣٥-٣٦.

إن دفاع الدكتور محمد عمارة ينقصه كثير من الحقائق، بالإمكان إيجازها في الآتي:

١- يعترف الدكتور محمد عمارة أن الماسونية قد نشأت في الأقطار الأوربية بغية محاربة الكنيسة ورجال الدين بسبب تعسف الكنيسة ورجالها ضد العلم والعقل، ونحن نرى من جانبنا أن هذه الحالة لم تظهر في الأقطار الإسلامية لأنه لم يكن هناك تعسف من قبل رجال الدين ضد الأمور الدنيوية ولم يحمل رجال الدين في الإسلام صكوك الغفران كما قام به رجال الكهنوت المسيحي، وعلى هذا الأساس فإن العالم الإسلامي لم يكن بحاجة إلى الماسونية كي تقوم بهذا الدور، كما أن هذه المقارنة بين الفكرين المسيحي والإسلامي تفتقد إلى الحقيقة والجوهر.

٢- يبرر الدكتور محمد عمارة إنتماء الأفغاني وعبده إلى المحافل الماسونية بسبب أن هذه المحافل حملت شعار الحرية والإخاء والمساواة بغية محاربة الظلم والاستبداد، نحن نرى من جانبنا أن هذه الشعارات نادى بها الإسلام فمن باب أولى الرجوع إلى مبادىء الإسلام لتأكيد هذه الحقائق أكثر من الرجوع إلى شعارات هذه الجمعيات السرية الغامضة.

٣- أغفل الدكتور محمد عمارة حقيقة مهمة، والتي سادت في تلك الحقبة وتتمثل هذه الحقيقة بأن المفكرين المسلمين قد طرحوا أفكار المحافل الماسونية وأعتبروها بمثابة أفكار ضارة تحارب مبادىء الإسلام، وخاصة أن هذه المحافل كما رأينا نشأت في الأقطار الأوربية، وهذه الحقيقة واضحة قبل بروز الأفغاني في العالم الإسلامي حيث ترجع إلى الصراع بين عهد التنظيمات والمشروطية في الدولة العثمانية، والمفكرين المسلمين في تلك الحقبة وطبيعة الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية.

٤- على الرغم من عدم ظهور الحركة الصهيونية في عهد الأفغاني وعبده فإن اليهود في كافة الأقطار الأوربية قد انخرطوا في صفوف المحافل الماسونية ومساندة تلك المحافل بشتى الوسائل.

يتضح مما تقدم أن دفاع الدكتور محمد عماره عن الأفغاني ومحمد عبده غارق في التعميم، وأن هذا الدفاع ولا سيما بالنسبة للأفغاني بحاجة إلى دراسة شخصيته ومواقفه السياسية التي انتابها القلق والإضطراب السياسي.

أما القسم الآخر، فإنه يقدم ملاحظات انتقادية على الأفغاني، على اعتبار أنه لم يكن رجلاً عادياً، حيث كان مدركاً للأمور وعارفاً بملابسات السياسة في تلك المرحلة على الرغم من عدم ظهور الحركة الصهيونية ومدى العلاقة بينها وبين المحافل الماسونية، ونحن مع هذا الاتجاه في الرأي حيث كان الأفغاني مؤمناً بمبادىء الماسونية، كما تبين لنا من قوله الأخير وهو يودع المحفل الماسوني الاسكتلندي، ولا ننسى في هذا المجال مدى العلاقة الموجودة بين الأفغاني والسياسة البريطانية في تلك الحقبة، وقد يكون بلنت الإنكليزي هو الذي مهد لدخول الأفغاني في بداية الأمر إلى محفل «كوكب الشرق».

أما بالنسبة إلى الشيخ محمد عبده، فإنه أيضاً قد انضم إلى محفل «كوكب الشرق» الذي أصبح الأفغاني رئيساً له [٥٣]، وفي هذا الصدد يقول شاهين مكاريوس

---

(٥٣) أما فيما يتعلق بموقف الأفغاني من عبدالحميد الثاني فنرى أن الأفغاني عارض حكم عبدالحميد في الحقبة الأولى من حكمه، وأيد حركة تركيا الفتاة، وحري بالإشارة أن التنظيم الأول لتركيا الفتاة دخل إلى حيز الوجود عام ١٨٨٩ وذلك قبل وصول الأفغاني إلى الأستانة بثلاث سنوات، وعلى هذا الأساس فإن الأفغاني طيلة وجوده في الأستانة دافع عن جمعية تركيا الفتاة، متصلاً مع رجالاتها في باريس حيث أن هؤلاء أطلعوه على خطتهم في إصلاح الدولة العثمانية، فراقه مذهبهم وشجعهم على عملهم، راجع: أمين، أحمد، المصدر نفسه، ص٩٩.

ويذهب بعض الكتاب في هذا الصدد قائلين: «إن مساندة الأفغاني لجمعية الاتحاد والترقي هي التي أدت إلى نجاح الحركة الدستورية في الدولة العثمانية عام ١٩٠٨.

راجع: في هذا الصدد: berkes, op. cit., p. 266.

وقد انتقد عبدالحميد الثاني في الحقبة الأخيرة من حكمه، حينما كتب قائلاً: «إن إرادة الشعب الغير مكره، والغير المسلوب حريته، قولاً وعملاً، هي قانون ذلك الشعب المتبع، =

أحد أقطاب الحركة الماسونية في تلك الحقبة: «. . . وكان الأفاضل الشيخ محمد عبده وإبراهيم بك اللقاني وحسن بك الشمسي وجماعة المرحوم جمال الدين الأفغاني وغيرهم يحضرون معنا في محفل لبنان، ونال الأستاذ الشيخ محمد عبده رتبة البلح والصدق من المندوب الأمريكي الذي حضر إلى محفل لبنان»[٥٤].

ومن المؤكد، أن محمد عبده قد انتمى إلى المحفل الماسوني المذكور تحت تأثير جمال الدين الأفغاني الذي عاش حقبة من الزمن في مصر بعد خلافه مع عبدالحميد الثاني.

٢- العلاقة بين الماسونية واليهودية:

إن جذور الماسونية إنما هي جذور توراتية تلمودية بدليل أن جميع درجاتها مأخوذة من التوراة والتلمود وخاصة أن الأعضاء المتقدمين فيها يقسمون عند التكريس للدرجات العليا على التوراة[٥٥].

الماسونية هي الإسم الجديد للشريعة اليهودية المقنعة ورموزها وتقاليدها يهودية كابالا، والكابالا هي مزيج من الفلسفة والتعاليم الروحية والسحر والشعوذة متعارف عند اليهود منذ أقدم العصور، وإن ارتباطها مع اليهودية والتوراة المحرفة من الوضوح بحيث إنها تستند إلى آيات التوراة المحرفة لتعظيم مثلها الأعلى في حيرام ويعتبر اليهود والماسونيون أنفسهم معاً الأبناء الروحيين لبناء هيكل سليمان[٥٦].

= والقانون الذي يجب على كل حاكم أن يكون خادماً له، أميناً على تنفيذه». راجع: جمال الدين الأفغاني، الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة، المصدر السابق، ص ٨٠.

وكذلك: النجار، حسين فوزي، السياسة والإستراتيجية في الشرق الأوسط، مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٥٣، ص ٢٨٨ . .

(٥٤) مكاريوس، شاهين، فضائل الماسونية، مطبعة المقتطف، مصر، ١٨٩٩، ص ١٢٤.

(٥٥) سنقرط، عبدالعفو، القوى الخفية لليهودية العالمية الماسونية، المصدر السابق، ص ٩.

(٥٦) حيرام هو عريف البنائين في بناء هيكل سليمان. راجع في هذا الصدد:

وقد جاء في البروتوكول الخامس عشر من المقررات الصهيونية أو مضابط الجلسات السرية لحكماء إسرائيل ما يلي: «... وإلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة، سنحاول أن ننشيء ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم، وسنجذب إليها كل من يصير أو من يكون معروفاً بأنه ذو روح عامة Public Spirit وهذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل منها على ما نريد من أخبار، كما أنها ستكون أفضل مراكز للدعاية.

وسوف نركز كل هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا وستتألف هذه القيادة من علمائنا، وسيكون لهذه الخلايا أيضاً ممثلوها الخصوصيون، كي نحجب المكان الذي نقيم فيه قيادتنا الحقيقية وسيكون لهذه القيادة وحدها الحق في يقين من يتكلم عنها وفي رسم نظام اليوم وسنضع الحبائل والمصايد في هذه الخلايا لطبقات المجتمع الثورية، وأن معظم الخطط السياسية السرية معروفة لنا، وسنهديها إلى تنفيذها حالما تتشكل»[٥٧].

وفي صدد علاقة اليهود بالماسونية، يقول كاتب إنكليزي «إن الماسوني وإن لم يكن يهودياً بالولادة، إلا أنه رجل متهود» وقد عبر عن الرأي نفسه هولت زنكر رئيس محاكم فينا بسخرية قائلاً: «إن من بين الماسونيين المائة في فينا مائة وإثنين من اليهود». [٥٨].

وفي الحقيقة إن اليهود لا ينكرون أن الماسونية هي حليفتهم وأنهم مؤسسوها وأكثر أقطاب اليهود يعلنون صراحة عن وجود صلات وثيقة بينهم وبين الماسون، ولقد قال الحاخام الأكبر إسحاق ويز: «أن الماسونية هي مؤسسة يهودية خالصة وأن

(٥٧) الخطر الصهيوني: بروتوكولات حكماء صهيون، المرجع السابق، ص آتلخان، جواد رفعت، أسرار الماسونية، المصدر السابق، ص ١٠، ١٩. ١٨٩-١٩٠.

(٥٨) المصدر السابق، ص ٥٣ - ٥٤. وكذلك: الخربوطلي، أميرة محمد كامل: العلاقات المصرية التركية من ١٩٥٢-١٩٧١- رسالة دكتوراه غير منشورة - جامعة القاهرة، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٧٩، ص ١٣.

تقاليدها وأنظمتها وتعاليمها مأخوذة من مصادرنا فهي منا ولنا من البداية حتى النهاية»[٥٩].

وقد بين روبير هذه العلاقة في الكلمة التي ألقاها في نادي جوان في عام ١٩٣٨، حيث جاء فيها: «عند افتتاح المعرض الدولي في باريس، شاهد الناس جميعاً النجمة السداسية «رمز بني إسرائيل» وأمير الأبالسة مثبتة على رأس المثلث الماسوني القابع على قمة عمود الحرية القائم في منتصف ساحة الترويكاديرو، تشع فيها الأنوار، بزعم أنها ترمز إلى السلام السائد حالياً في العالم، فأنا أقول أن هذا السلام الذي يعنيه الماسون واليهود، ليس إلا سلام مؤتمرات موسكو وجنيف، سلام الماسونية واليهودية أصحاب النجمة السداسية والمثلث الشيطاني»[٦٠].

وقام الحاخام الأكبر بن موزيع في مقال نشرته له المجلة اليهودية الواسعة الإنتشار في فرنسا والمسماة «بإسرائيل والإنسانية» رداً على بعض اليهود الذين أنكروا التحالف اليهودي الماسوني واستغربوا إكتشاف أمره: لماذا الهلع والإنكار، أن الماسونية تنتسب إلينا، ومبادئها مشتقة من مبادئنا، وقواعد اللاهوت وعلم المغالطة التي تعتمدها مأخوذة عن القبائل والمصادر اليهودية الأخرى، ونحن نعترف بأننا أوجدنا، ورعينا نموها وتطورها، فلماذا الاستغراب والإنكار إذن[٦١].

إن في محافل الماسونية أعضاء كبارا من اليهود الذين ينتمون إلى الجمعية السرية وإن وظيفة هؤلاء هي توحيد المساعي وتنسيقها بين مختلف المحافل وتوجيهها لخدمة اليهودية، ويتبين من هذا أن الماسونية هي آلة لخدمة جمعية سرية أعلى منها وهي اليهودية، وإن الماسونية هي واجهة ظاهرية لتنظيم سري كان خلفها، والدليل على ذلك أن كثيراً من عادات وتقاليد الماسونيين مقتبسة من معبد سليمان.

(٥٩) آتلخان، جواد رفعت، المصدر السابق، ص ٥٢-٥٣.

(٦٠) س. ناجي، المصدر السابق، ص ٤٢٠.

(٦١) المصدر السابق، ص ٤٢٠-٤٢٢.

وإن كثيراً من الإشارات والرموز عبرانية، وفي هذا يؤكد Wichtl الكاتب الألماني هذه الحقيقة قائلاً: «أن المحتوى التفصيلي لجداول الأعمال الرسمية وغير الرسمية لهذه الاجتماعات، تقدم للباحث في التاريخ مجالاً واسعاً لأبحاث لم يستفد منها حتى الآن، وفي هذا المجال لابد من الإشارة إلى جمعيتي «Druiden Odedfellow» اللتين تعملان لتحقيق أهداف يهودية(٦٢).

٣- العلاقة بين الماسونية وجمعية الإتحاد والترقي:

وقد اتضح لنا من الملاحظات السابقة، أن جمعية الإتحاد والترقي قد انطلقت من ولاية سلانيك، ومن المؤكد كما بينا في الصفحات السابقة، أن اليهود قد جعلوا من هذه الولاية، مركزاً لهم وقد انضم كثير من اليهود إلى المحافل الماسونية(٦٣).

وحري بالذكر أن الماسونية بدأت تعمل في الدولة العثمانية قبل حقبة طويلة وبصورة مستمرة، حيث أنها مزجت بين المفاهيم الشرقية والغربية، ومن المحتمل أن المحفل الماسوني للشرق الأعظم قد رسم التقوية في هذه المصادر من حيث الصورة نظامها واسمها(٦٤).

وفي الواقع ومنذ عام ١٩٠٠ بدأ المشرق الأعظم الفرنسي يهتم بإدخال الماسونية إلى الدولة العثمانية، ولا سيما كان هناك استعداد من قبل جمعية الاتحاد

(٦٢) Wichtl, Friederich, Freimauerei, Welt, op. cit., pp. 104-105.
وكذلك البستاني، سيف الدين «دكتور»، المصدر السابق، ص ١٤٧.

(٦٣) ناهضت الدولة العثمانية الماسونية منذ عام /١٧٤٨، حيث أن القوانين العثمانية حظرت على الأتراك الانضمام إلى الجمعيات السرية. راجع في هذا الصدد:
Cem, Hassan, op. cit., pp. 8-10; Lewis, The Emegence of Modern Turkey, op. cit., p. 212.
وكذلك: شيخو، لويس، السر المصون في شيعة الفرمسون، تحقيق وتقديم أبو صادق، منشورات دار البصري، بغداد، ١٩٦٦، ص ٣٢٤.

(٦٤) Webstr, Nesta H. Secret Socities and Subversive Movement, London, 1928, p. 284.

والترقي نحو تقبل المساعدات الخارجية عن طريق المحافل الماسونية للإطاحة بحكم عبدالحميد، وعلى هذا الأساس فإن أعضاء الاتحاد والترقي قد انضموا إلى هذه المحافل منذ أن تأسس مجلس الاتحاد والترقي السري في سلانيك(٦٥).

وفي حقيقة الأمر، إن الماسونية الدولية قد ركزت على ولاية سلانيك كثيراً، لأن هذه المدينة ضمت نسبة كبيرة من اليهود، أكثر بكثير من أية دولة أوربية في تلك الحقبة، حيث بلغت هذه النسبة بـ «٧٠ر٠٠٠»، يهودي من مجموع «١٠٠ر٠٠٠»، إن هذا العدد كان بإمكانه أن يقوم بدور كبير في تحقيق مطامحه، علاوة على ذلك فقد وجدت في هذه الولاية عدة محافل ماسونية كانت تحت حماية الدبلوماسية الأوربية، ناهيك أن السلطان لم تكن في حوزته الأسلحة الكافية لاستخدامها ضد هذه المحافل(٦٦).

(٦٥) Leon de Poncins, Victome, The Secret Powers Behind Revolution Freemasory and Judaism, Boswell, printing and publishing, citd, 1929, pp. 66.

(٦٦) Ibid., pp. 66-67.
يقول في هذا الشأن محمد رشيد رضا في مجلة المنار الإسلامية قائلاً: «كان السلطان عبدالحميد عدواً للجمعية الماسونية لإعتقاده أنها جمعية سرية وهو يخاف من كل اجتماع وكل سر وأن غرضها إزالة الاستبداد وهو مستبد وإزالة السلطة الدينية من حكومات الأرض كلها وهو يفتخر بالخلافة الإسلامية ويحرص عليها، وقد تنفس زمان الماسون بعد الإنقلاب الذي كان لهم فيه أصابع معروفة فأسسوا شرقاً عثمانياً أستاذه الأعظم طلعت ناظر الداخلية وأركانه زعماء جمعية الاتحاد والترقي وأنصارها من اليهود وغيرهم ولأجل هذا نرى طلعت لا يبالي بسخط الأمة ولا يرضى في إدارته التي استغاثت منها المملكة بألسنة ولاياتها كلها إلّا ولاية سلانيك وكذا أدرنة فيما أظن،وألسنة مبعوثيها حتى بعض الاتحاديين. وسلانيك هي الآن مركز السلطة الحقيقية في المملكة وإنما الأستانة مركز التنفيذ. كان حظ عبدالحميد أن تكون السلطة الحقيقية حيث يكون ما دام حياً وإن لم تكن في يده الخاطئة وإنا نتمنى أن لا يكون تصرف طلعت في الماسونية كتصرفه في نظارة الداخلية. فإني والله لم أسمع من أحد في الأستانة ولا في غيرها شهادة له بحسن التصرف ولا أحصي عدد الشهادات التي =

وإذا كنا بصدد المحافل الماسونية في ولاية سلانيك، يجب أن نؤكد في هذا المجال، إنه وجد في تلك الحقبة في سلانيك محفلان ماسونيان كانا مرتبطين بالمشرق الأعظم الإيطالي (The Grand Orient Of Holy) وهذان المحفلان هما: محفل مقدونيا، وقد ضم هذا المحفل اليهود الإيطاليين وعلى رأسهم عمانوئيل قره صو، ومحفل Laboretlux، كما كان هناك محفل آخر باسم (Veritas)، إذ دخل في علاقات مع المشرق الأعظم الفرنسي، ومحفل إسباني باسم (Perseveranza)، والمحفل اليوناني بإسم (Philippos)، أن المحفل الأخير كان يحاول تحقيق سياسة يونانية قومية على وجه الحصر[٦٧].

وقد انضم بعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي إلى هذه المحافل وكانوا يجتمعون فيها، بغية الإعداد للإطاحة بعبدالحميد، والأكثر من ذلك فإن عدداً كبيراً من هذه المحافل قد عززت وساندت جمعية الاتحاد والترقي[٦٨].

لم تبق الحكومة العثمانية مكتوفة اليدين إزاء هذا العمل المنظم الخفي وعلى هذا الأساس اتخذت الحيطة والحذر من هذه المحافل، ولكن البوليس العثماني لم

= سمعتها عن سوء تصرفه الذي أثره في إضطراب أكثر ولايات المملكة فسوء تصرفه في مسألة الاناؤوط قد عرف الآن وإن لم تظهر عواقبه السيئة كلها. وأما سوء تصرفه في مسألة اليمن فقد ظهرت بوادره ونعوذ بالله من أواخره. نتمنى أن يكون تصرفه في الماسونية أحسن حتى لا يجند عليها ولا على الملة والدولة فإن الفرق بيننا وبين فرنسا والبرتغال بعيد جداً، وإن كان يراه هو والدكتور ناظم وبعض الزعماء قريباً فليتدبروا ولا يغتروا بقوة الجمعية ولا بغيرها فطبيعة الاجتماع أقوى من تدبير الجمعيات وقد يكون مع المستعجل لذلك». راجع: شيخو، لويس، المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

(٦٧) Ibid.,

إستمر محفل مكدونيا بسلانيك في نشاطاته لحقبة طويلة وعلى عهد الاتحاد والترقي حتى نهاية حرب البلقان، وقد ترأس هذا المحفل الدكتور يانغ القنصل الإنكليزي وكان من أصل يوناني. راجع: المجلة الماسونية لعام ١٩٢٥، العدد ٢٧/٢٨، إستانبول.

(٦٨) Ibid.,

يكن قادراً على معرفة قواعد هذه المحافل[٦٩].

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن هذه المحافل قد اتجهت إلى المشرق الأعظم الإيطالي بغية نيل الحماية من السفارة الإيطالية في وقت الحاجة[٧٠].

ونتيجة لهذه التطورات، فقد اجتمع في إستانبول في ١/مايس/١٩٩٠ خمسة وأربعون من الممثلين الماسونيين، حيث أوجدوا المحفل الماسوني العثماني وأطلقوا عليه المشرق الأعظم العثماني. «The Grand Orient Ottoman» وقد رشح في هذا المؤتمر محمود أورفا باشا لقب السيد الكبير ومن بين الموقعين على إيجاد هذا المحفل الأسماء التالية:

Dov'd cohen, Raphaelo Ricci, Nicolos Forie, Marchione, Jaeques Souhami, Georges Sursoch, Scottish Rite.

وبعد وقت قصير من إجتماع المجلس الأعلى القديم وتشكيل «Scottish Rite» تم الإعتراف به من قبل السلطات الماسونية الفرنسية والإيطالية[٧١]، ويؤكد هذا القول

---

(٦٩) Ibid.,

(٧٠) Ibid.,

عمد يهود الدونمة في الدولة العثمانية إلى تأسيس المحافل الماسونية في مختلف أنحاء البلاد كما قاموا على تأسيس جمعيات سرية للتغرير بالطلاب الأتراك في الداخل والخارج وإدماجهم في صفوف الماسون والهيئات السياسية العاملة لمصلحتهم راجع: Ibid.، وكذلك: س. ناجي، المصدر السابق، ص ٣١٢.

(٧١) Ibid., pp. 67-68.

يقول لاوثر: « يقلد الأتراك الاتحاديون (أعضاء جمعية الاتحاد والترقي) الثورة الفرنسية وأساليبها غير الدينية وطريقها في خفض مستوى الأغنياء إلى مستوى الفقراء ويعود ذلك إلى توحيد الماسونية اليهودية من ناحية وإلى حقيقة كون اللغة الفرنسية هي اللغة الأوربية الوحيدة المنتشرة أوسع الإنتشار في الشرق الأدنى. وقد أدى تطور الثورة الفرنسية إلى العداوة بين انكلترا وفرنسا.

وإذا تطورت الثورة التركية على نفس المنهج فأغلب الظن أنها ستجد نفسها كذلك في حالة =

الجمعية الماسونية الفرنسية في القرار الذي أصدرته في تشرين الأول ١٩٠٨ والمرقم ٧٠، حيث جاء فيه: «قامت جمعية سرية بإسم «تركيا الفتاة» انطلقت من ولاية سلانيك، تضم كثيراً من أصحاب النفوذ من اليهود في أوربا، علاوة على ذلك فإن الولاية كانت تحوي المحافل الماسونية المتعددة، والتي أخذت تستقبل الثوريين فيها على اعتبار أن تلك المحافل قد وقعت تحت تأثير وحماية السياسة الأوربية، حيث كان السلطان عاجزاً عن مدافعتهم أو مقاومتهم وفي هذا الصدد من الممكن أن نذهب إلى القول بأن جماعة الاتحاد والترقي قد نشأت وبصورة عملية في المحفل الماسوني الموسوم بـ «ماكدونيا ريزوتا» Macedonia Risota (٧٢). والذي قام بإيجاده قرة صو اليهودي السلانيكي(٧٣).

= عداء لمصالح بريطانيا ولأهدافها العليا». راجع: لاوثر، «الرسالة المرسلة إلى وزارة الخارجية البريطانية»، المصدر نفسه، ص ٦٢.

(٧٢) Kidourie, Elie, «Young Turks, Freemasons and Jew», op. cit., p.92.

(٧٣) عمانوئيل قرة صو إسباني الأصل، وهو يهودي من سلانيك وأستاذ أعظم في المحفل الماسوني المعروف بـ «ماكدونيا ريزوتا» وقد أصبح فيما بعد. عضواً بارزاً في جمعية الاتحاد والترقي، فكان أحد أعضاء الوفد الذي نقل إلى عبدالحميد نبأ خلعه في ٢٧ نيسان ١٩٠٩، وأصبح عضواً في المجلس النيابي العثماني مرة عن سلانيك في عام ١٩٠٨ ومرتين عن إستانبول (١٩١٢ و ١٩١٤) من بين ثلاثة نواب لليهود. راجع:

Ahmed, Feroz, Unionist Relations with the Greek, Armenian and Jewish Communties of the Ottoman Empire, 1908–1914, in Christians and Jews in the Ottoman Empire, op. cit., p. 927.

شأن بقية الأعضاء اليهود وكان حريصاً أن يكون تركياً بالدرجة الأولى، وقبل كل شيء. وهذا موقف تقليدي لليهود الأتراك، عمل في الحرب العالمية الأولى مفتشاً للإعاشة، وإستطاع أثناء وجوده في هذه الوظيفة أن يجمع أموالاً كثيرة لحسابه الخاص، فضلاً عن ذلك فإن قره صو كان حلقة وصل بين سلانيك وإستانبول فيما يتعلق بإتصالات حركة الاتحاد والترقي.

راجع:

Hilham, Islami Saran Tehlike Siyonizm Ve protokollar, A.g.e., s. 60; Wickham, Hery, op. cit., pp. 374–376;

= Kidourie, «Young Turks, Freemasons and Jew», op. cit., p.92.

. . . .

= بعد عام ١٩٠٨ أصبح قرة صو من ضمن الجناح اليعقوبي «Jacobin» للإتحاد والترقي، وكان مقرباً من طلعت باشا. راجع:

Ahmed, Feroz, Unionist Relations with the Greek, Armenian and Jewish Communties of the Ottoman Empire, 1908– 1914, in christians and Jews in the Ottoman Empire, op. cit., p. 433.

وقد كشف لاوثر في رسالته المطولة إلى هاردنغ وزير خارجية بريطانيا في ٢٩ مارس ١٩١٠، هذه الحقائق، وقد جاء في قسم منها ما يأتي: «قام عمانوئيل قرة صو وقبل عدة سنوات وهو من الماسونيين اليهود في سلانيك، ونائب المدينة ونائب غرفة التجارة، على إيجاد محفل (ماكدونيا ريزوتا)، وذلك بالتنسيق والتعاون مع المحافل الماسونية الإيطالية، وقد إستطاع قرة صو إستمالة جمعية الاتحاد والترقي، من مدنيين وعسكريين إلى الانضمام إلى الماسونية، وكان الهدف من وراء ذلك هو فرض النفوذ اليهودي على النظام السياسي الجديد في تركيا العثمانية، وقره صو هو المسؤول عن تكوين عصبة البلقان والحروب البلقانية، وكان يعرف محاولة النمسا في حربها على صربيا وقبل بضعة أشهر، وقد بين قرة صو ذلك لأحد أصحابه وكان مقتنعاً بقيام حرب عالمية في تلك الحقبة، وأن الدولة العثمانية سوف تنال حصتها من ذلك. وأخيراً هرب قرة صو إلى ايطالية حيث حصل على المواطنة وإستقر في تريستا إلى أن مات عام ١٩٣٤، وقد رثت صحيفة التايمز الإنكليزية رثاءاً حاراً على وفاته. راجع في هذا الصدد:

Hilhan, Islam: Saran Tehlike Siyonizm Ve Protokollar, op. cit., p.60; Wickham, Hery, op. cit., pp. 374–376; Kidourie, «Young Turks, Freemassons and Jew», op. cit., p. 92.

وكذلك: آتلخان، جواد رفعت، أسرار الماسونية، المصدر نفسه، ص ٦. ورامزور، المصدر نفسه، ص ٢٠١ و:

Ahmed, Feroz, Unionist Relations with the Greek, Armenian and Jewish Communties of the Ottoman Empire, 1908–1914, and christians and Jews in the Ottoman Empire, op. cit., p. 433.

وكذلك: مذكرات عبدالحميد، محمد حرب، المصدر السابق ص ٦-٧.

وفي هذا المجال يقول برناردلويس: «كانت ولاية سلانيك مركز يهودي كبير، والتي كانت أيضاً المركز الرئيس لفعالية تركيا الفتاة خارج العاصمة، وقد تعزز هذا الدور بنشاطات واحد أو إثنين من الشخصيات اليهودية، وكان على رأس هؤلاء، ألبرت قرة صو وهو يهودي من سلانيك، كان بارزاً في مجالس تركيا الفتاة قبل وخلال الثورة ..». =

ولقد لعبت المحافل الماسونية مثل محفل ريزوتا في سلانيك ومحفل باريس وجنيف ومحفل فلورنسا في الدولة العثمانية دوراً ملموساً، حيث إستطاعت عن طريق جمعية الإتحاد والترقي الإتصال بالمؤسسات الهامة أو ضمت في صفوفها رجالاً من البكداشيين والملاميين والكاشناسيتين وبعض أصحاب الطرق والضباط والوزراء والسفراء والشعراء والكتاب والمحامين، من هؤلاء طاهر البورسلي أحد مؤسسي جمعية الوطن والحرية «ملامي» وشيخ الإسلام موسى الكاظم وشيخ الإسلام خيري أفندي والفيلسوف رضا توفيق وكاظم تامي «بكتاشيون»، وطلعت باشا وسليمان عسكري ووهيب باشا والملازم عاطف الذي قتل قائد الجيش الثالث شمس باشا ونيازي والبكباشي أيوب صبري «بكتاشيون»، كما إنضم إلى مثل هذه المحافل الثوار الأرناؤوط(٧٤).

وعلى الرغم من حظر الماسونية في الدولة العثمانية كان يوجد في سلانيك محفلان ماسونيان وكانا تحت حماية المشرق الأعظم الإيطالي(٧٥)

= راجع: Lewis, Bernard, The Jews of Islam, op. cit., p. 179.

(٧٤) طوران، مصطفى، المصدر السابق، ص ٣٠-٣١.

(٧٥) يجب أن نؤكد في هذا المجال، بأن الغالبية العظمى من يهود الدونمة كانوا قد حصلوا في الماضي على الجنسية الإيطالية، وقد إنضم هؤلاء إلى المحافل الماسونية الإيطالية.

راجع في هذا الصدد:

Kidourie, Elie, «young Turkes, Freemasons and Jew», op. cit., p.92.

يعترف الماسونيون بدورهم في إحياء دستور عام ١٨٧٦ في الكتاب الذي أصدروه تحت عنوان «الماسونية في تركيا والعالم»، إذ جاء فيه: «لم يستطع عبدالحميد الثاني السماح للحركة الماسونية بالعمل لأنها كانت تحمل مبادىء الحرية، فقام بإغلاق محافلها، ومع ذلك فقد إستمرت الحركة الماسونية بشكل سري في عملها طيلة السنوات ١٨٧٦-١٩٠٩، وتأسس المحفل التركي الكبير المسمى بمحفل «ريزوتا» في سنة ١٨٨٤ من قبل «سافا باشا». «.. وقد انتشرت الماسونية بشكل خاص في سلانيك وحواليها، ومع أن عبدالحميد حاول أن يحد ويشد الحركة الماسونية هناك، إلا أنه لم يوفق في مسعاه». «.. وقد قامت هذه المحافل =

وفي الحقيقة إن جمعية الإتحاد والترقي نبعت في الأصل من المحافل الماسونية في سلانيك، وذلك تحت إشراف المشرق الأعظم الإيطالي، والأكثر من ذلك أننا عندما نقترب من الشرق الأدنى والذي يعتبر المركز الحقيقي للماسونية نجد أن التأثير السامي لا اليهودي وحده، كان له أثره في إدارة هذه المحافل. ويؤكد هذه الحقيقة مارلنغ ولوثر في رسائلهما إلى غراي في ٢٧ كانون الأول/١٩٠٩ «أن وحي الحركة في سلانيك يبدو يهودياً بصفة رئيسية، فكلمات ـ حرية، وعدالة ومساواة ـ شعار الأتراك الاتحاديين هي ابتكار الماسونيين الطليان، واللونان الأحمر والأبيض متماثلان، وهذه الشعارات ذاتها شعارات مكدونيا ريزوتا وشعارات الجمعية اليهودية «بني برث» وهي أحد فروع الماسونية المتعاونة مع الاليانس الإسرائيلي العالمي، وقد عثرت على المجموعة من شهادات الماسونية وشعارات جمعية الاتحاد والترقي تثبت أن شعاراتهما وتعاليمهما هي واحدة، كما عثرت على مجموعة من النقود

= لاسيما «ريزوتا» ومحفل «فارتياس» بدور كبير في تأسيس وتوسيع حركة جمعية الاتحاد والترقي. كما كان للماسونيين دورهم في إعلان الحرية سنة ١٩٠٨». راجع: محمد علي، أورخان، المصدر السابق نفسه، ص ٢٨٧.

لعب رشيد باشا (وكان ماسونياً ومن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي) دوراً هاماً في عودة الدستور، إذ بعث ببرقية إلى السلطان عبدالحميد الثاني، أعلن فيها عن ضرورة الإعلان عن النظام الحر خلال ساعتين، حرصاً على عدم قيام الأمة بالانتفاضة ضد السلطان. ونتيجة لذلك وجه السلطان عبدالحميد الثاني برقية إلى كافة الولايات، أعلن فيها موافقته على إعلان الدستور.

وقد ساهم في هذا أيضاً مجموعة من الماسونيين أمثال محي الدين حسين ورضا وفاضل في إعلان الدستور.

وقد جرت في مدينة سلانيك ـ عند إعلان الدستور ـ مسيرات نظمتها المحافل الماسونية، وحضر هذه المسيرات هيئات وشخصيات كبيرة من مختلف أنحاء العالم، بالإضافة إلى حضور أعضاء جمعية الاتحاد والترقي وأعضاء من المحافل الماسونية العالمية، وتصدر المسيرة عمانوئيل قرة صو، وألقى الأخير خطاباً، وكان واقفاً تحت علم الماسونية.

راجع: المجلة الماسونية لعام ١٩٢٥، العدد ٢٧-٢٨.

التركية الاتحادية تثبت هذه الحقيقة[٧٦].

وفي هذا المعنى يقول أحد الكتاب الأتراك: «إنه عند بدء الحرب بين تركيا وبين الإيطاليين في طرابلس الغرب، وعند بحث المسألة في إحدى الجلسات السرية بالبرلمان ـ سمع بإذنه وقتذاك، إذ كان نائباً عن بلدة «توقاد» حيث ألقى أحد النواب خطاباً أشار فيه إلى معارضة البنائين الأحرار والإشتراكيين للحكومة الإيطالية في غزو طرابلس، لأن في ذلك إحراجاً لحكومة الاتحاديين الموالية للماسون[٧٧].

وقد أصبح كل يهودي، كما عبر عن ذلك أحد الكتاب الأتراك، جاسوساً لجمعية الإتحاد والترقي، حيث بدأ الأتراك يدركون أن الحركة هي يهودية أكثر مما هي تركية، حيث أن اليهود العثمانيين أو الأجانب على اختلاف جنسياتهم كانوا يؤيدون جمعية الاتحاد والترقي[٧٨].

وقد أشار إلى الملاحظات السالفة الذكر، شكيب أرسلان في كتابه حاضر العالم الإسلامي، حيث قال: «إن قادة المسلمين أنفسهم أدركوا حق الإدارك أن (تركيا الفتاة) تدير دفة سفينتها عصبة من الجحدة الغربيين غالبهم، ليس من المسلمين إلّا اسماً، بل هم من زنادقة اليهود، ففي سالونيك طائفة يقال لها الدونمة أي العائدون المنبتون، أصلهم يهود من مهاجري إسبانيا، أسلموا منذ أربعمائة سنة

---

(٧٦) حلاق، حسان علي، المصدر السابق نفسه، ص ٣١٥.

(٧٧) حسين، محمد محمد (دكتور)، المصدر السابق، ص ٦٨-٦٩.

يقول حكمت تانيو: «قام الماسونيون الأتراك الذين كانوا في مراتب متقدمة بتقديم المساعدة إلى إيطاليا وقد وجهت إيطاليا إنذاراً إلى الدولة العثمانية من أجل إجلائها عن طرابلس الغرب وبنغازي من أجل السيطرة عليهما. وفي الوقت الذي كانت حركات الإستيلاء واضحة جداً قام وزير الحربية محمود شوكت باشا بسوق الجنود الموجودين في طرابلس الغرب إلى اليمن وجلب المعدات العسكرية إلى إستانبول، وهكذا سهل للإيطاليين الإستيلاء على طرابلس الغرب». راجع: Tanyu, op. cit., s. 595.

(٧٨) Kidourie, Elie, «Young Turks, Freemassons and Jew», op. cit., p. 101.

إسلاماً مشوباً ببعض عقائدهم الأصلية ولما كانوا المثل البعيد في الحصافة والذكاء والقيام بأمور المالية بنوع خاص، كان الدور الذي يمثلونه في الهيئة الاجتماعية التركية أعظم جداً مما يستحقه عددهم وكان أثرهم في حركة الإنقلابات الدستورية مهماً، فكان منهم أناس يعدون أركاناً في جمعية الاتحاد والترقي»[٧٩].

ويؤكد هذا القول المذكرة التي بعثها السفير الإيطالي في القسطنطينية إلى وزارة خارجيته وذلك في آب ١٩١٠، حيث جاء فيها: «إن لجنة الإتحاد والترقي تبدو في تشكيلها الداخلي يهوديا تركياً مزدوجاً، فالأتراك يمدونها بالمادة العسكرية الفاخرة، ويمدها اليهود بالعقل المدبر، إن اليهود الذين يبدون الآن في الموقف الملهم والمسيطر على الجهاز الداخلي للدولة، يعملون على السيطرة الاقتصادية والصناعية على تركيا الفتاة، ولكي يصل اليهود إلى مكان النفوذ في تركيا الفتاة، فإنهم يشجعون الاتجاهات القومية التركية»[٨٠].

وفي هذا المعنى يقول لويس شيخو في كتابه السر المصون في شيعة الفرمسون: «إن من لوازم تشبع الاتحاد والترقي للماسونية، قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة وذلك يقضي بفوز الجمعية الصهيونية في إستعمال بلاد فلسطين الذي يراد به إعادة ملك إسرائيل إلى وطنهم الأول وإلى ابتلاع أصحاب الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد»[٨١].

ويردف شيخو قائلاً: «تخلقت جمعية الاتحاد والترقي بعد خلع عبدالحميد بأخلاق الماسونية واليهودية ولبست ثوبهما، ولما خمدت ثورة إبريل «نيسان» عام

---

(٧٩) الجندي، أنور، اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار (منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى)، دار الإعتصام، القاهرة، (بلا)، ص ١٢٥.

(٨٠) الخولي، حسن صبري (دكتور)، سياسة الإستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، المجلد الثاني، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠، ص ١٠٩.

(٨١) شيخو، لويس، المصدر السابق، ص ٣٢٩.

١٩٠٩ نالت العناصر اليهودية أهمية أكبر. فجاويد بك[٨٢] وطلعت بك وزير الداخلية السابق ورئيس الجمعية وجاهد بك محرر طنين ومستشار جاويد بك الخصوصي كلهم ماسون وأولهم من سلالة يهودية[٨٣].

---

(٨٢) يعتبر جاويد بك من الماسونيين اليهود في سلانيك، حيث أصبح نائباً لسلانيك ثم وزيراً للمالية، ويتمتع بقدر كبير من الموهبة والذكاء، وجدير بالإشارة أن جاويد بك مع طلعت بك، كانا الصورة الحية للسلطة الحقيقة الخفية في الدولة العثمانية، وقد عقد جاويد مع الحركة الصهيونية والبنوك من أجل تحقيق مطامع اليهود في فلسطين، إذ استطاع عقد صفقة تجارية مع بيوتات مالية تجارية قدرت قيمتها بستة ملايين ليرة عثمانية في باريس، وهذه البيوتات هي: كريدي موبيلين وبرنارد ودريفوس وجاريسلوسكي. راجع: حلاق، حسان علي، المصدر السابق، ص ٣٣٠. وكذلك:

Kidourie, Elie, «Young Turks, Freemassons and Jew», op. cit., pp. 92-93.

يقول برنارد لويس عن جاويد بك قائلاً: « .. هناك شخص في سلانيك أكثر أهمية من قرة صو والذي لعب دوراً في ثورة عام ١٩٠٨، خدم لمرات عديدة كوزير للمالية في حكومات تركيا الفتاة، لم يكن يهودياً، بل كان من يهود الدونمة». راجع:

Lewis, Bernard, The Jews of Islam, op. cit., p. 179.

(٨٣) وقد أصبح لجمعية الاتحاد والترقي، نشاط واضح في الجيش، حيث انضم إليها مجموعة من ذوي الرتب الصغيرة وذلك عن طريق المحفل الماسوني المسمى بـ «ريستا» نسبة إلى مسقط رأس نيازي بك، وقد انضم إلى الماسونية جل أعضاء نواب الجمعية في مجلس المبعوثان والأعيان، حيث أصبحوا أعضاء في المحفل الماسوني «الدستور» والذي كان من كبار رؤسائه طلعت بك وجاويد بك، راجع:

Kidurie, Elie, «Young Turks, Freemasons and Jew», op. cit., pp. 92-93.

وفي هذا المعنى يقول نجيب فاضل: «كان الضباط الاتحاديون في الجيش الثالث تحت إمرة الدولة يا ترى، أم تحت إمرة وخدمة اليهودية؟!!».

راجع: محمد علي، أورخان، المصدر السابق نفسه، ص ٢٨٧.

إنتمى إلى المحافل الماسونية، بعض الشخصيات التركية أمثال مصطفى كمال باشا الملقب بـ (أتاتورك) وعصمت اينونو. فيما يتعلق بالأول، أنه من مواليد سلانيك، (١٨٧٨-١٩٣٨) =

. . . .

إنضم في بداية حياته إلى جمعية «الوطن». وصار يكتب المقالات النارية، ويخطب في المناظرات والمناقشات السياسية في حماسة شديدة. وقد أراد عبدالحميد القضاء على هذه الجمعية، إذ أصدر أوامره إلى إسماعيل حقي باشا القائد العام للتدريب الحربي. وقد وجدت هذه الجمعية في داخل الكلية الحربية عندما كان مصطفى كمال طالباً فيها. وقد انضم بعد ذلك أتاتورك إلى المحفل الماسوني «فيداتا»، وفي هذا الصدد يقول سيتون واتسون: «إن الأدمغة الحقيقية في حركة مصطفى كمال كانت يهودية أو يهودية - مسلمة وهي الدونمة، وقد جاءت مساعداتها المالية من الدونمة الأغنياء ومن يهود سلانيك ومن الرأسماليين العالميين أو شبه العالميين في فينا وبودابست وبرلين وربما في باريس ولندن. وفي هذا الصدد يقول مؤلف كتاب الرجل الصنم: «إن مصطفى كمال ماسوني أجل لم يقل (فالح رفقي) سوى الحقيقة». (فالح رفقي أتاي: هو مؤلف كتاب جانقايا ذكر في إحدى مقالاته بأن مصطفى كمال كان ماسونياً) ولو لم يكن مصطفى كمال ماسونياً فمن كان يتطاول إلى الانتساب إلى مثل هذه الجمعية السرية في عهده؟ وهل كان بإستطاعة الكثير من الذين يشغلون وظائف رفيعة، ويحملون صلاحيات واسعة في الدولة والحكومة من تبني الماسونية؟ ليس المدنيين فقط بل إن كثيراً من منتسبي الجيش والجندرمة، وبعضاً من الضباط كانوا قد سجلوا أنفسهم في المحافل الماسونية دون خوف. وما كونه قد سد هذه المحافل فيما بعد إلا ذرا للرماد في العيون».

وفي الحقيقة أن قيام أتاتورك بإغلاق المحافل الماسونية في تركيا لم يكن وراءه سبب فكري، حيث أن سبب ذلك يعزى أن هذه المحافل لم تمنح لأتاتورك درجة المشرق الأعظم، حيث كان يرى كل شخص في الدولة من كبار الوزراء والسلاطين العثمانيين في التاريخ أقل منه بكثير ونتيجة لذلك اتخذ أتاتورك قراراً بغلق المحافل الماسونية في عام ١٩٣٥ بعد أن دخل في مناقشة مع الزعيم الماسوني الجراح م. كمال. راجع:

Tanyu, op. cit., s. 336.

وهنا لا نتفق مع السيد مالك منصور الذي ذهب في كتابه: حقائق عن الماسونية، دار الثورة، بغداد ١٩٧٣، ص ٨٠. والذي أكد أن أتاتورك انسحب من المحافل الماسونية بعد أن شعر بخيبة أمل عندما لاحظ بأن هذه المحافل كانت تضم اليهود واللصوص والمرضى أخلاقياً، بالإضافة إلى الغموض الذي اكتنف هذه المحافل، ويعزز السيد منصور رأيه في هذا المجال =

= إلى إعدام أتاتورك لجاويد بك. ولكن في الحقيقة أن دراسة هذه الأمور بحاجة إلى دراسة شخصية أتاتورك وذلك بالرجوع إلى خلفيته التاريخية، حيث أن أتاتورك كان قد انتمى إلى جمعيةَ الاتحـاد والتـرقي، حيث دأب أتـاتورك الإحتماء بحصانة اليهود، فكان مع زملائه الإتحـاديين يجتمعون في بيوت هؤلاء آمنين من كل خطر. بالإضافة إلى ذلك فإن البيئة السياسية تؤثر كثيراً في أفكار الإنسان في هذا المجال، ولا يغرب عن البال بأن أتاتورك هو من مواليد ولاية سلانيك.

أمـا فيما يتعلق بعصمت اينونو، فنرى بأن رحمي بك وعمر فوزي المارديني قد أكدا في رسائلهما الخطية إلى أحد الدبلوماسيين الأمريكان العاملين في تركيا من أن اينونو، انضم إلى المحفل الماسوني التركي منذ أن كان ضابطاً مدفعياً في رئاسة الأركان العامة أيام كان برتبـة نقيب. نشطت المحافل الماسونية وبشكل علني في زمن اينونو، وازاء هذا فقد تم الاستعداد من قبل مقربي اينونو لإحياء الماسونية في تركيا. راجع: Ibid.,

وبالإضافة إلى ذلك فإن اينونو قام على إعادة فتح الجمعيات الماسونية في تركيا منذ عام ١٩٤٨، وقد أكد علاقة إينونو مع الماسونية حاييم ناعوم كبير حاخامي اليهود أثناء إنعقاد مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣ (وهو الذي فتح باب الهجرة إلى الدولة العثمانية، ثم صار مبعوث مصطفى كمال إلى مؤتمر لوزان ثم عينه ليكون سفير تركيا في الولايات المتحدة، إلا أن ناعوم رفض ذلك، حيث فضل أن يكون حاخاماً لليهود في مصر) في بيان له نشره في إحدى الصحف الفـرنسية جاء فيه: «ليس هناك شيء يدعو إلى القلق، إن عصمت صديقي وطوع أمري سأذهب إلى هناك وسأرتب كل شيء». ثم وصلت برقية منه إلى إينونو يقول فيها: «إنني في الطريق إليكم، لقد رتبت الأمور، عندي لكم أخبار مهمة . . حذار أن تقطعوا المحادثات».

وفي الواقع أن المحافل الماسونية الإنجليزية لعبت دوراً مهماً في مؤتمر لوزان، حيث أن نجاح عصمت إينونو في مؤتمر لوزان، وتسليم الإنجليز له مع أنه لم يهزمهم في ساحة القتـال، ما يدلل على ذلك. ويجب أن نذكر في هذا الصدد رد مستشار وزارة الخارجية البريطانية على بعض النواب، الذين اعترضوا بشروط تركيا في مؤتمر لوزان واعتبروه هزيمة سياسية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الانجليز تجاه الأتراك. إذ قال رداً على أحد المعترضين (عليك بوزن المسألة من حيث الفرق بين دولتي الترك القديمة والجديدة). راجع في هذا الصدد: =

ويعلق مؤلف كتـاب المـاسـونية في البـلاد العثمانية قائلاً: «نحن العثمانيون مدينون للماسونية أكبر دين لأنها هي التي ثبتت في نفوس أعضاء جمعية الاتحاد والترقي (روح الحرية)، وبها ـ أي بالماسونية ـ اقتدوا في إنشاء جمعيتهم التي فكت قيود الاستبـداد، وقـد إهتم جمـاعة من الماسون المصريين بإنشاء تذكار لذلك، فانشأوا محفلاً جديداً في القاهرة سموه بإسم بطل الحرية العثماني»[٨٤].

ويردف المؤلف قائـلاً: «أثنى برنوبك بالتزكية على الحكومة الاتحادية والأمة الانكليزية لأنهما ساعدتا العثمانيين في هذا الانقلاب المبارك الذي قوض أساس الاستبداد ووطد أركان الحرية في الممالك العثمانية. وقال صريحاً: إن الماسونية كانت المحرك الأول والمرشد الأكبر لجمعية الاتحاد والترقي»[٨٥].

والمعروف أن مدينة سلانيك كان بها من المحافل الماسونية خمسة محافل تضم خمسين ألف يهودي، وكان لها اتصالها بجمعية الاتحاد والترقي وتأثيرها فيها بأنظمتها وقادتها[٨٦].

وقد أكد عدد من المؤرخين، أن النفوذ اليهودي تعزز في الدولة العثمانية في

= Nur, Riza, Hayat Ve Hatiratim, 111 Gild, Altinda Yayinevi, Istanbul, 1968, ss. 1158–118; Yeni Istanbul, op. cit.,

وكذلك: الرجل الصنم، المرجع السابق، ص ٢٨٨، ٤٩١-٤٩٢. وأيضاً، حسين، محمـد محمد (دكتور)، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر من قيام الحرب العالمية الأولى إلى قيام الجامعة العربية، المصدر السابق، ص ٦٨. وأيضاً: الخطر اليهودي: بروتوكولات حكماء صهيون، المرجع السابق، ص ٧٨.

Nesta, H. Webster, op. cit., p. 284; Atilhan Farmasonluk, op. cit., s. 49.

(٨٤) الجندي، أنور، اليقظة الإسلامية في مواجهة الإستعمار، المصدر السابق، ص ص ١٢٥ - ١٢٦.

(٨٥) المصدر السابق، ص ١٢٦.

(٨٦) المصدر السابق، ص ١٢٦.

المدة الواقعة بين ١٩٠٨ - ١٩١٤. وفي الحقيقة أن هذا النفوذ كان خفياً وقوياً. وقد تمكن هؤلاء في هذه الحقبة (١٩٠٨-١٩١٤) من جذب عدد من القادة الأتراك المسلمين، وكان فيهم عرق الدونمة(٨٧).

---

(٨٧) المصدر السابق، ص ١٢٦.

تجدر الإشارة في هذا المجال أنه بعد إنقلاب ٢٧ نيسان ١٩٠٩، فتح المحفل الماسوني أبوابه، حيث قام أعضاؤه القدامى بتأسيس محفل جديد أطلقوا عليه: «نور دمشق»، وتم ربطه بالمحفل الاسكتلندي». راجع: محمد علي، اورخان، المصدر السابق نفسه، ص ٢٨٦.

كما أنشئت محافل أخرى في المدة الواقعة بين ١٩٠٩ - ١٩١٠، منها الوفاء الشرقي والأصدقاء الحميميون للاتحاد والترقي ونهضة بيزنطة والحقيقة والوطن والنهضة وفرع من محفل نهضة مقدونيا والفجر.

راجع: المصدر السابق نفسه، ص ٢٩٨.

يقول لاوثر: «... قبل مدة من الزمن زار السفارة حاخام الطائفة اليهودية الأكبر الجديد في تركيا وهو رجل ذكي، نشيط، عالي الثقافة. وكان زميل دراسة لعدد من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي البارزين. وكان في العهد القديم (العهد الحميدي) قد قام بعدة محاولات ليعين مديراً للمكتبة في قصر السلطان عبدالحميد، وإلتمس هذا الحاخام من السفارة أن تستخدم مساعيها الحميدة في مساعدة ماسوني يهودي يدعى فينتورا، من التبعية الإيطالية، وكان قبل عدة سنوات يدعى بأنه من الرعايا العثمانيين. بدأ يشتغل في التجارة في السودان. فنفاه السردار على أساس أنه (فينتورا) كانت له علاقة بتهريب التبغ بوساطة إثنين من اليهود في السواكن يعملان لحساب المدعو العريف هوايت وقد عرض فينتورا قضيته أمام المحكمة المختلطة في القاهرة، وحصل على حكم في صالحه نوعاً ما ضد وزارة الحربية. ولكن محكمة الإستئناف نقضت الحكم، وقدم الحاخام الأكبر مذكرة تحتوي على نحو ٢٠٠ صفحة شرح فيها تفاصيل الظلم المزعوم الذي يدعي أنه وقع على فينتورا، ورجاني أن أعطي فينتورا رسالة توصية إلى السيرجي غورست أسأله فيها أن يستخدم نفوذه لصالح قضية فينتورا التي ستعرض أمام المحاكم المصرية مجدداً، فأوضحت له بأنه يستحيل عليّ أن أقوم بأي عمل من هذا القبيل لأنه يشكل محاولة للتأثير على سير العدالة، ثم أن الرجل فضلاً عن ذلك يدعي الرعوية الإيطالية. وبعد مدة من الزمن تعرف يهودي ماسوني هنا (في =

ويقوم عبدالحميد الماسونية في مذكراته السياسية قائلاً: «للفارماسون عندنا تصرفات مزعجة، يحاولون بحماس زائد نشر أفكار تجددية لا يفهمها الناس، إذ الأغلبية عندنا لا تأبه بالأفكار التحررية والذين يميلون إلى التعاون مع هؤلاء حفنة من الناس بقيت خارج البلاد ردحاً من الزمن فانقطعت عن جذورها، وتثقفت ثقافة أوربية سطحية براقة، هذا الصنف من الناس عندما يعود إلى بلده، يجهل ما ينتظره منه شعبه، فيعمل على نشر «الأفكار الغربية» في سبيل جعل تركيا دولة حضارية إنهم عمي في بصائرهم، الشيء الوحيد الذي استطاعوا تحقيقه هو بذر الشقاق والعصيان في البلاد وصفوف الجيش، دون أن يدروا أنهم يعملون لحساب إنكلترا التي تذرعت بنشر الأفكار التحررية في دولتنا، بغية إضعاف قدراتنا، وأشد ما يؤلمني أن يقوم هؤلاء المضللون من الأتراك بالتعاون مع اليونانيين والبلغار في سبيل إزاحة «المستبد عن الحكم»(٨٨).

٤- جمعية الإتحاد والترقي والطريقة البكتاشية

لم تكن الماسونية التنظيم الوحيد الذي ساعد جمعية الإتحاد والترقي في ذلك

= القسطنطينية) يدعى الدكتور فارحي بوساطة المحفل الماسوني البريطاني المحلي على أحد موظفي السفارة. وطلب هذا الرجل أيضاً بإصرار وبلهجة شبه آمرة، توصية بفنيتورا إلى غورست. ولما أفهم بأن مثل هذا الإجراء مستحيل، حتى في حالة مواطن بريطاني، أخذ يستخدم لهجة متحدية وأعلن بأن هذه القضية هي ظلم صارخ ويجب أن تعالج وأن أعلى السلطات نفوذاً في العالم ستجند لهذا الأمر بما في ذلك الأعضاء اليهود في مجلس اللوردات البريطاني. وإذا اقتضى الأمر فسوف تتخذ الاجراءات لإسقاط الحكومة المصرية. وهذا مما سيلحق الضرر بمركز بريطانيا. لم يكن الرجل مجنوناً، وكان يتكلم بغاية الرصانة والإتزان». راجع: «دور اليهود والماسونيين في الانقلاب العثماني، نص رسالة السفير البريطاني في القسطنطينية إلى وزير خارجية بريطانيا»، المصدر نفسه، ص ٦٠.

(٨٨) السلطان عبدالحميد الثاني: مذكراتي السياسية ١٨٩١ - ١٩٠٨، المصدر نفسه، ص ٧٣-٧٤.

الوقت، فقد كانت هناك الطريقة البكتاشية[٨٩] وعليه فإن جمعية الاتحاد والترقي لم تركز فقط على الجيش فحسب، إنما ركزت إلى جانب ذلك على بعض الطرق الصوفية في الدولة العثمانية، حيث حاولت الاستفادة من بعض هذه الطرق، ومنها على سبيل المثال الطريقة البكتاشية[٩٠] إذا عرفنا أن عدداً كبيراً من الأتراك قد إنضم

---

(٨٩) أنيس، محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي، ١٥١٤ ـ ١٩١٤، القاهرة، (بلا)، ص ٢٥٥.

(٩٠) وهي طريقة دينية صوفية تركية كانت واسعة الانتشار في الدولة العثمانية حتى يقدر أعضاؤها بعشر الأتراك فيها. وكانت تضم أساساً الفلاحين الأتراك والجنود ولكنها ضمت أيضاً عدداً كبيراً من المتعلمين، تستخدم اللغة التركية والأساليب التركية في الأدب وكانت عقائد البكتاشية تتوزع حسب معتقدات أفرادها إلى حد كبير فهي ليست بالسنية الصرفة وإنما تتوزع توزيعاً عرضياً بين الخرافة البدائية والمادية الالحادية، كان موقفها من الخلافة العثمانية غير مؤيداً تماماً، ومن الجدير بالذكر أن دفاع عبدالحميد الثاني عن الخلافة كان يقابل بالاستنكار من جانب البكتاشية. راجع: المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

البكتاشية كلمة مشتقة من بكتاش، حيث جاء من خراسان في بلاد فارس، عاش في منتصف القرن الرابع عشر، وقد تسمى بهذا الاسم نسبة إلى بكتاش الولي الذي يقولون أنه ولد «بنيسابور»، فأبوه إبراهيم الثاني وكان أميراً على إحدى المقاطعات، وأمه خاتمة ابنة أحمد النيسابوري من علماء نيسابور، ولد في ٦٤٦هـ ـ ١٢٤٨م. راجع: دده بابا، أحمد سري، الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة البكتاشية، ط٤، مصر، ١٩٥٩، ص ٧ـ٨. وهدى الانكشارية إلى الإسلام في زمن السلطان أورخان، حتى أصبح إسم البكتاشية يطلق على الانكشارية كلهم، وتقول بعض الروايات أن حاجي بكتاش كان يفرق بركاته ونعمه على جماعة الإنكشارية. وبعد أن إنتهى السلطان أورخان من تنظيم هذا الجيش، طلب من الحاج بكتاش أن يدعو لهم خيراً، ووضع بكتاش يده على رأس أحد الجنود، ودعا لهم النصر. ثم مال تجاه أورخان فسأله، هل اتخذت لهذا الجيش إسماً؟ قال لا، قال فليكن إسمه «يني جري» وتلفظ «يني تشري» أي الجيش الجديد. راجع: أبو غنيمة، زياد، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، المصدر السابق، ص ١٤٦. وكذلك: دده بابا، أحمد سري، الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة البكتاشية، المصدر السابق، ص ١٥. واتخذ الإنكشارية الحاج بكتاش شفيعا لهم وخصصوا لكل كتيبة شيخاً (بابا) بكتاشيا يقيم معهم =

= في التكية لتعليمهم آداب الطريقة وطقوسها. راجع: المصدر السابق، ص ١٥. وعلى هذا الأساس فإن البكتاشية وطدت علاقات وثيقة مع الإنكشاريين، وكثيراً ما كانت البكتاشية تلعب دورها في الحركات التي كانت الإنكشارية تقوم بها.

وتجدر الإشارة في هذا المجال، أنه عبر الزمن، قامت مجموعة يهودية غنية بارزة في الحياة العثمانية بإيجاد علاقة وثيقة مع هيئة الإنكشارية، وعلى الرغم أن هذه العلاقة قد انتابها في حقب تاريخية معينة نوع من الصراع، فإن هذه العلاقة بقيت فعالة حيث أن أمناء الإمدادات والتموين ومتعهدي التموين وتجار الإنكشارية كانوا إلى درجة كبيرة من اليهود، وإن القضاء على الإنكشارية (أول تلك الأحداث هي ضرب الإنكشارية في عام ١٨٢٦) كانت ضربة قوية للمصلحة اليهودية في إستانبول وغيرها من الولايات العثمانية. راجع:

Lewis, Bernard, op. cit., The Jews of Islam, p. 173.

ولكن كثيراً من الباحثين والمحققين يرتابون بوجود الحاج بكتاش هذا، ويقولون أن المؤسس الحقيقي لهذه الطريقة هو «باليم بابا» المتوفى سنة ٩٢٢هـ منذ أوائل القرن السادس عشر في الأناضول. ثم انتشرت في الروميلي، وأكثر من مال إليها أمة الأرناؤوط حتى يقال أن أكثر هذه الأمة بكتاشيون. وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن البكتاشيين هم فرق من فرق الشيعة يعتقدون بإمامة الاثنى عشر من آل البيت ويعظمون كثيراً جعفر الصادق، ويقولون بالأربعة عشر ولداً معصوماً، الذين أكثرهم ماتوا شهداء من أولاد سيدنا علي. وقد أصبحت البكتاشية حركة واقعية، حيث انتقلت إلى الدول البلقانية بعد إنتشار الإسلام فيها، كما انتشرت في البانيا ابتداءاً من منتصف القرن السادس عشر الميلادي. وعلى الرغم من انتشار الصوفية في الدولة العثمانية فإن الطريقة البكتاشية بلغت من الشيوع والشهرة ما لم تبلغه طريقه أخرى. وفي الوقت الذي كانت فيه الطريقتان الأخريان المولوية والرفاعية تعتمدان اللغة الفارسية والعربية في إقامة شعائرها، فإن البكتاشية كانت تؤثر إستخدام اللغة التركية في طقوسها التي كانت تمارسها سراً.

وجدير بالإشارة إلى أن بعض زعماء تركيا الفتاة مثل طلعت باشا وأحمد رضا وآخرين كانوا ينتمون إلى البكتاشية، وقد أصبحت البكتاشية بعد ذلك حركة سياسية، وقامت الدولة العثمانية بمحاربتها منذ القرن التاسع عشر. راجع في هذا الصدد: موفاكو، محمد، «البكتاشية إنتسبوا للإسلام وأعفوا أنفسهم من كل التكاليف والعبادات»، العربي، العدد ٢٢٠ =

= آذار ١٩٧٧، ص ص ٦٤ـ٦٨.

وكذلك: ستيوارد، لوثر، حاضر العالم الإسلامي، المصدر السابق، ص ص ٣٤٩ـ٣٥٠.

وأيضاً: حتي، فيليب، المصدر السابق، ص٣٦.

أيدت البهائية ـ وهي من الحركات الهدامة في الإسلام ـ فكرة تكوين وطن قومي لليهود، وفي هذا المجال يقول الميرزا حسين البهاء: «... والروح ينادي من في الملكوت هلموا وتعالوا يا أبناء الغرور، هذا يوم فيه سرع كرم الله للقائه، وصاح الصهيون قد أتى الوعد، وظهر ما هو المكتوب في ألواح الله المتعالي العزيز المحبوب». راجع: عبدالحميد، محسن (دكتور)، حقيقة البابية والبهائية، ط٣، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧، ص ٢٧٣.

ويقول عبدالبهاء في هذا المعنى: «ومن جملة الحوادث الجسيمة التي تقع في يوم ظهور ذلك الغصن الممتاز إرتفاع العلم الآلهي على جميع الأمم يعني أن جميع الملل والقبائل يدخلون في ظل ذلك العلم الإلهي الذي هو نفس ذلك الغصن الرباني ويصيرون ملة واحدة وتنمحي الإختلافات الدينية والمذهبية والمباينات الجنسية والنوعية والوطنية ويصبح الكل أهل دين واحد وقوماً واحداً ويسكنون جميعاً في وطن واحد وهو الكرة الأرضية ويحصل الصلح العمومي والوفاق بين جميع الدول وفي زمان ذلك الغصن الممتاز وفي تلك الدورة سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة. والآن انظروا إن هذه الحوادث لم تقع في زمان المسيح لأن الأمم لم تدخل في ظل العلم الواحد الذي هو ذلك الغصن الآلهي. وأما في دورة رب الجنود فإن كل الأمم سوف تدخل في ظل هذا العلم وكذلك بنو إسرائيل المشتتون في جميع العالم لم يجتمعوا في الأرض المقدسة في الدورة المسيحية، وأما في هذه الدورة دورة الجمال المبارك يتحقق ظهور هذا الوعد الآلهي الذي كان منصوصاً عليه في جميع الكتب. فانظروا الآن تأتي طوائف اليهود إلى الأرض المقدسة ويمتلكون الأراضي والقرى ويسكنون فيها ويزدادون تدريجياً إلى أن تصير فلسطين جميعاً وطناً لهم». راجع:

النور الأبهى في مفاوضات عبدالبهاء، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٤٧هـ، ١٩٢٨م، ص ٢١٥ ـ ٢١٦.

ويردف عبدالبهاء قائلاً: «وقد اعتبر المسيحيون والمسلمون أن اليهود شياطين وأنهم أعداء، ولذلك لعنوهم واضطهدوهم، وقتلوا الكثيرين منهم، وأحرقوا منازلهم، ونهبوا =

= أموالهم، وأسروا أطفالهم». راجع: عبدالحميد، محسن (دكتور)، حقيقة البابية والبهائية، المصدر السابق، ص ٢٧٤. لم تكتف البهائية على هذا الموقف من اليهود، حيث اتخذ المجلس الأعلى للطائفة البهائية في الأرض المحتلة قراراً بإنتخاب ميسوف ـ اليهودي الأمريكي ـ رئيساً روحياً للطائفة البهائية في كافة أنحاء العالم.

والأكثر من هذا فقد قام الكيان الصهيوني في إنشاء صنم وقبر ليكون مزاراً للبهائيين في جبل الكرمل في عكا وكذلك أوجد لهم محكمة بهائية علياً في الأرض المحتلة.

راجع: مراد، عباس كاظم، البابية والبهائية ومصادر دراستهما، بغداد، ١٩٨٢.

وقد أكد هذه الحقيقة علماء الأزهر في بيان لهم، جاء فيه: «ولقد تزلف البهائيون إلى اليهود، ومالؤوهم على العرب والمسلمين، وبشروهم بأن فلسطين ستكون وطناً قومياً لهم. وقال طاغيتهم عبدالبهاء ـ عباس ـ أنه يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود، ويجمعهم على نواميس موسى عليه السلام الذي يؤمنون به جميعاً. ومعنى ذلك أنه يريد تهود المسلمين والنصارى، وجعل اليهودية هي الدين السائد في الأرض، وبذلك يكون السلطان في العالم كله لليهود وحدهم». راجع: عبدالحميد، محسن (دكتور)، حقيقة البابية والبهائية، المصدر السابق، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

ولو حاولنا أن نرجع إلى تشكيلة الطائفة البهائية في إيران لوجدنا أنها تتكون من ١٥٠ يهودي من طهران، و ١٠٠ يهودي من همدان و ٥٠ يهودي من كاشان و ٨٥ يهودي من كلباكيان. راجع: المصدر السابق، ص ١٤٤.

إضافة إلى ذلك، فقد دفعت اليهودية العالمية مجموعة من الكتاب للذود عن البهائية، ومنهم جولد زهير، حيث أعطت لقب البطولة على دُعاتها، وخاصة (قرة العين). راجع: العبيدي، إبراهيم خلف (دكتور)، البهائية ودورها التخريبي، وقائع الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٠، ص ٢٦٥.

وعلى هذا الأساس، فقد قامت الحكومة العثمانية بتشكيل لجان للتحقيق في المدة الواقعة بين ١٩٠٤ـ١٩٠٧ ضد عبدالبهاء، ونتيجة لذلك تم اعتقال عبدالبهاء، ولم يفرج عنه إلا في أيلول ١٩٠٨، حيث سيطر رجال الاتحاد والترقي على السلطة، وتجريد عبدالحميد الثاني من وحدة إتخاذ القرار في السلوك السياسي الداخلي. راجع: النور الأبهى في مفاوضات عبدالبهاء، المصدر السابق، ص ٦٤ـ٦٥.

إليها، حيث يقدر البعض، أن نحو ثلث سكان الأناضول كانوا تحت تأثير الطريقة البكتاشية[٩١]. ولابد أن تكون هناك عوامل عديدة، لتأييد جمعية الاتحاد والترقي للبكتاشيين، حيث أن البكتاشيين كانوا يدينون بالمذهب الشيعي وارتباطهم بحكم إسماعيل الصفوي شاه إيران، ولقد لعب البكتاشيون دوراً في عرقلة حملة السلطان سليم الأول ضد إسماعيل شاه وذلك في عام ١٥١٤[٩٢].

وقد حاول بعض الكتاب، تحديد طبيعة العلاقة بين الماسونية والطريقة البكتاشية، حيث أكد ريتشارد ديفي في عام ١٨٩٧ من أن هذه الطريقة لها علاقة عضوية مع بعض المحافل الماسونية الفرنسية. فقد ذكر براون في عام ١٨٩٨ أن بعض أصدقائه من المسلمين قد دخلوا إلى الماسونية في أوربا. ويؤكد هذه الحقيقة لاوثر قائلاً: «إن البكتاشيين في تركيا قد أظهروا رغبتهم في الانضمام إلى الماسونية الالحادية والتي من الممكن مشاهدتها في بعض الدول الأوربية»[٩٣].

ومن المؤكد أن عدداً من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي كانوا أعضاء في الطريقة

---

(٩١) بلغ عدد هؤلاء في عام ١٩١٠ نحو مليون شخص، وكانت الغالبية العظمى من هؤلاء يسكنون في ألبانيا ومقدونيا. راجع:

Kidourie, Elie, «Young Turkes, Freemasons and Jew», op. cit., p. 96.

(٩٢) رامزور، المصدر السابق، ص ١٢٨.

(٩٣) المصدر نفسه، ص ١٢٨-١٢٩.

يقول لاوثر: «أظهر أبناء طائفة البكتاشية المنشقون عن أهل السنة والجماعة والذي يبلغ عددهم نحو مليون شخص يسكن معظمهم في جنوب ألبانيا ومقدونيا ويمارسون طقوساً دينية سرية تشبه الطقوس الماسونية ولهم تنظيم يشبه تنظيمها. أظهروا رغبتهم في الانتماء إلى الماسونية، وكان هؤلاء البكتاشيون مدفوعين بروح الماسونية الحقة التي تختلف عن الماسونية السياسية والإلحادية التي يصادفها المرء في بعض الأقطار الأوربية». راجع: «دور اليهود والماسونيين في الإنقلاب العثماني، نص رسالة السفير البريطاني في القسطنطينية إلى وزير خارجية بريطانيا»، المصدر نفسه، ص ٥٩.

البكتاشية وأن بعضهم كانوا ماسونيين وبكتاشيين في الوقت نفسه[٩٤].

٥- جمعية الاتحاد والترقي والدول الأوربية:

قدمت الماسونية الدولية كل المساعدات الممكنة لجمعية الإتحاد والترقي وقد جاءت هذه المساعدات من العواصم العالمية أو شبه العالمية مثل فينا وبودابست وبرلين ولربما أيضاً باريس ولندن[٩٥].

وفي هذا الصدد، يجب أن نؤكد أن بعض العواصم الاوربية، كان لها الدور البارز في القيام بتقديم مساعدات لجمعية الاتحاد والترقي، لأن السياسة البريطانية كانت هي الأخرى واقعة تحت تأثير المحافل الماسونية. علاوة على ذلك فإن العلاقات العثمانية البريطانية بقيت متوترة على عهد عبدالحميد بسبب احتلال بريطانيا لمصر، وموقف بريطانيا من فكرة الجامعة الإسلامية والقضية الأرمنية وذلك في عام ١٨٩٠[٩٦].

وعن علاقة جمعية الاتحاد والترقي بالانكليز يقول عبدالحميد في مذكراته: «لابد للتاريخ أن يفصح عن ماهية الذين سموا أنفسهم» «الأتراك الشبان» أو «تركيا الفتاة» وعن ماسونيتهم. استطعت أن أعرف من تحقيقاتي أنهم كلهم تقريباً من الماسون، وأنهم منتسبون إلى المحفل الماسوني الإنكليزي، وكانوا يتلقون معونة مادية من هذا المحفل، ولابد للتاريخ أن يفصح عن هذه المعونات، وهل كانت

---

(٩٤) إن طلعت بك كان بكتاشياً وأستاذاً في المحفل الماسوني في الوقت نفسه.

(٩٥) Waston, Seton R.W., The Rise of Nationality in the Balkans, London, 1917, p. 135.

(٩٦) تحسنت العلاقات البريطانية العثمانية منذ قيام إنقلاب الإتحاد والترقي، حيث رحب قادة الإنقلاب بالسير كراند لاوثر السفير البريطاني في القسطنطينية. وقد وصف السير إدوارد كراي إنقلاب الاتحاد والترقي بإعجاب قائلاً: «نحن ضد الحكومة التركية عندما تكون سيئة، إلا أن علاقتنا تبقى بدون حاجر مع الشعب التركي». راجع:

Kidourie, Elie, Young Turkes, Freemasons and Jew», op. cit., pp. 89-90.

معونات إنسانية أم سياسية»(٩٧). ويردف عبدالحميد قائلاً: «هؤلاء الذين أطلقوا على أنفسهم اسم «تركيا الفتاة» كانوا في الأصل ثلاثة أشخاص أو خمسة، وهؤلاء عملوا ضدي عدة سنـوات في أوربـا، تكلمـوا، خططوا، كتبـوا، كانت صحفهم التي يصدرونها تأتي خفية إلى البلاد عن طريق البريد الأجنبي وتوزع بواسطة الأجنبي»(٩٨).

وجدير بالإشارة في هذا المجال، أن مجموعة من جماعة الإتحاد والترقي قد التجأت إلى مصر، بعد توتر علاقة هذه الجماعة مع عبدالحميد، الأمر الذي أدى بالسياسة البريطانية إلى تأييد هؤلاء في مصر، حيث أعطى لهم كرومر كل الدعم والمساندة في التحرك السياسي في داخل مصر، مانحاً لهم صحفاً محلية، والتي قامت على مهاجمة حكم عبدالحميد، بالإضافة إلى وساطة كرومر عند الخديوي عبـاس، وذلـك عنـدما طلب عبـدالحميد تسليم هؤلاء للسلطة العثمـانية بغية محاكمتهم، وقد تكللت جهوده بالنجاح. علاوة على ذلك فإن كرومر دافع عنهم، عندما سيطرت السلطة المصرية على المطبعة السرية التي كانت في حوزتهم، حيث أمر كرومر بكسر الأختام، والاحتفاظ بما فيها من أوراق رسمية. والأكثر من ذلك أن الإنكليز كانوا يضغطون على الخديوي عباس لصالح رجال الاتحاد والترقي، في حقبة أصبحت علاقة الخديوي عباس جيدة مع السلطة العثمانية(٩٩).

ويتضـح ممـا تقـدم، أن أعضاء جمعية الإتحاد والترقي دأبوا على الاحتماء بحصانة هؤلاء اليهود، يجتمعون في بيوتهم آمنين من كل خطر وكان بعضهم ومن بينهم فتحي المقـدوني وهـو صديق مصـطفى كمـال (والـذي انضم إلى جمـاعة المـاسـون) استعـانـوا على تأليف جمعيتهم وتنـظيمها باقتباس أساليب المنظمات

(٩٧) مذكرات السلطان عبدالحميد، ترجمة محمد حرب عبدالحميد، المرجع السابق، ص ٤٩.

(٩٨) المرجع السابق، ص ٥٨.

(٩٩) شفيق باشا، أحمد، مذكراتي في نصف قرن، الجزء الثاني، مطبعة مصر، ١٩٣٦، ص ٢٢٣. وكذلك، حلاق، حسان علي، المصدر السابق، ص ٢٩٥.

الماسونية. وصاروا يتلقون الإعانات المالية الوافرة من مختلف الجهات ويتصلون وبصورة منتظمة ومستمرة باللاجئين السياسيين البارزين الذين نفاهم عبدالحميد إلى الخارج(١٠٠).

٦- الإطاحة بحكم عبدالحميد الثاني:

تلاحمت الجهود الداخلية والخارجية، بغية التخلص من عبدالحميد الثاني، وعليه فقد قرر محفل «الشرق الأعظم» الماسوني خلع عبدالحميد وذلك في بداية عام ١٩٠٠، وبدأ يجتذب لهذا الغرض حركة الإتحاد والترقي منذ بدايتها(١٠١) وفي الواقع أن المحافل الماسونية القديمة في سلانيك قد رحبت بهذه الفكرة، وكانت تعمل بدون إنقطاع، وضمت في عضويتها عدداً ممن كانوا يرحبون بفكرة، خلع عبدالحميد(١٠٢).

إلا أن عبدالحميد كان يراقب هؤلاء عن كثب، وفي هذا الصدد يقول لوثر: «إن جواسيس السلطان عبـدالحميد قد تمكنـوا من معـرفـة الحـركة، وقد يكون مقتل إسماعيل ماهر باشا بشكل غامض بعد إنقلاب تموز سنة ١٩٠٨، لأنه علم بعض أسرارهم وكتب بها إلى يلدز»(١٠٣).

(١٠٠) Armstrong, Harold, Grey Wolf Mustafa Kemal, An Intimate Study of a Dictator, London, 1932, p. 37.

يجب أن نؤكـد في هذا المجال، أنه عن طريق الدوائر الأجنبية، كان الاتحاديون يتسلمـون منشوراتهم من الخارج حيث توزع بمعرفة التشكيلات السرية لجمعية الإتحاد والترقي. وبالإمكان أن نستشهد بذلك على مدى نفوذ الامتيازات الأجنبية بالنسبة للبريد ان فاق بريد القنصلية النمساوية في القدس - التي كان يديرها رجل يهودي - غيرها رواجاً وشهرة بما فيها البريد العثماني.

(١٠١) رامزور، المصدر السابق، ص ١٢٦.

(١٠٢) المصدر السابق، ص ١٢٤.

(١٠٣) Kidourie, Elie, «Young Turkes, Freemasons and Jew», op. cit., p.94.

ووضعت السلطة العثمانية جواسيس خارج مقر المحفل الماسوني، حيث قام هؤلاء على تسجيل أسماء من يرتاده من الضباط والمدنيين. ونتيجة لذلك فقد قام الماسونيون بإدخال عدد من البوليس السري إلى المحافل الماسونية(١٠٤).

إلا أن هذه الحركة كانت قوية، وقد جاءت مراقبة عبدالحميد لأعضاء هذه الحركة في وقت متأخر، حيث دفعوا الأهالي إلى مظاهرات صاخبة في سلانيك ومناستر واسكوب وسوس، مطالبين بإعادة الدستور، بالإضافة إلى أن المتظاهرين هددوا بالزحف على القسطنطينية(١٠٥). الأمر الذي أدى بالسلطان إلى الرضوخ إلى مطاليب المتظاهرين حيث قام بإعلان الدستور وإحياء البرلمان وذلك في ٢٤ تموز ١٩٠٨(١٠٦).

---

(١٠٤) قد جاء إعلان الدستور من قبل عبدالحميد بعد أن هدد الجيش الثالث في مقدونيا عبدالحميد التحرك إلى استانبول.

(١٠٥) Gulek, Kasim, «Democracy Takes Root in Turkey» Foreign Affairs, Vol. 30, No. 1, October, 1951, p. 136; Lewis B, The Emergence pf Modern Turkey, op. cit., p. 207; C.H. Dodd, Democracy and Development in Turkey, University of Hull, 1979. p. 5.

وكذلك: بيهم، محمد جميل، فلسفة التاريخ العثماني، الجزء الثاني، ١٩٥٤، ص ١٦٨.

(١٠٦) تلقى نيازي بك أمراً عسكرياً في ربيع عام ١٩٠٨ بالحضور إلى استانبول. إلا أنه أدرك أن الغاية من هذا الاستدعاء هي إلقاء القبض عليه لكونه من زعماء الاتحاد والترقي فما كان منه إلا أن حشد بعض جنوده وزحف به عبر مقدونيا الجنوبية متحدياً الأمر الصادر إليه من استانبول. وما كاد أنور بك يعلم بتمرد نيازي حتى أصدر بياناً يعلن فيه قيام الثورة وزحف هو الآخر بفيلقه عبر مقدونيا الشرقية. وكان من نتيجة ذلك قبول السلطان الدستور الجديد وإحياء البرلمان. وما إن شاعت أخبار هذه الحركة في الخارج حتى بدأت أفواج المنفيين واللاجئين السياسيين بالتدفق على استانبول من باريس وجنيف والقاهرة. وتجدر الإشارة في هذا المجال أن نيازي أبعد بعد ذلك إلى ألبانيا، ثم اغتيل فيها. راجع في هذا الصدد: الزين، مصطفى، أتاتورك أمة في رجل، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٢،

ورب سائل يسأل في هذا المجال ويقول: ما هو سبب إبقاء عبدالحميد على العرش في هذه الحقبة؟ تقتضي الإجابة على هذا السؤال أن نضع نصب أعيننا الأسباب الآتية:

١- لم تكن في حوزة الاتحاد والترقي القوة الكافية بعزله في عام ١٩٠٨.

٢- اتباع عبدالحميد سياسة المرونة معهم، وذلك بتنفيذ رغباتهم بإعادة الدستور.

٣- ولاء الأتراك لشخص عبدالحميد. وهذه النقطة واضحة، حيث أن لجنة الاتحاد والترقي لم تكن لها الجرأة الكافية على نشر دعايتها ضد عبدالحميد بين الجنود، لأن هؤلاء كانوا يبجلون السلطان، ويعزى السبب في ذلك إلى الدور التقليدي للسلاطين الأتراك في قيادة الجيش. وقد أدرك الاتحاد والترقي أهمية هذا الشعور عند وصول ضباط الجيش الثالث إلى أدرنة، حيث أن هؤلاء الضباط أرادوا إثارة الناس على السلطان. وفي هذا المجال يقول القنصل البريطاني في أدرنة: عند وصول ضباط من الجيش الثالث بقطار خاص إلى أدرنة إرتفعت هتافات تقول: «عاش السلطان» ترددها الجماهير.

وقد ترجم هذه الحقيقة السير جيرارد لاوثر السفير البريطاني في الآستانة في رسالة بعثها إلى وزارة الخارجية في ٤ آب جاء فيه: «وفي اليوم الأول من آب حدث رد فعل عنيف ضد الشعور القومي الذي عبر عنه في مساء الثامن والعشرين من تموز، إذ ثار الجنود ضد ضباطهم وأعلنوا أنهم كانوا يعتقدون أن هدفهم (أي الضباط) هو قتل السلطان أو عزله. وقد أصر الجنود على إرسال وفد منهم مكون

ص ص ٢٨-٢٩. وكذلك:

O. Robinson, Richard, The First Turkish Republic, Harvard University Press, 1963, pp. 8-9; J. Shaw, Stanford and Ezel Kural Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey Vol. 11, Cambridge, University Press, 1977, pp. 244-276.

من ٣٠٥ جندي إلى القسطنطينية ليؤكدوا للسلطان ولاءهم. وليتأكدوا بأنفسهم أن السلطان حي وفي أمان»(١٠٧).

ويجب أن نؤكد في هذا الشأن، أن الصهيونيين بعد الانقلاب الدستوري لعام ١٩٠٨ استطاعوا تأسيس وكالة صهيونية في استانبول، وقد تم اختيار فيكتور جاكوبسن رئيساً لها، وقد كان نشاط هذه الوكالة واضحاً إلى حد بعيد حيث أخذت تراقب النظام السياسي الجديد من الحركة الصهيونية، بالإضافة إلى مراقبة نشاط العرب في استانبول، وإعطاء معلومات دقيقة للهيئة التنفيذية الصهيونية بالآراء العربية تجاه الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

علاوة على ذلك فإن هذه الوكالة ساهمت في تمويل صحيفة Le Jeune Turce التركي الشاب ـ بالإضافة إلى مساندتها لحركة الاتحاد والترقي(١٠٨).

---

(١٠٧) رامزور، المصدر السابق، ص ص ١٥٠-١٥١.

(١٠٨) ولد جاكوبسن عام ١٨٨٩ وتوفي عام ١٩٣٤، وهو يهودي من روسيا، تعلم في ألمانيا وإكتسب الجنسية الألمانية.

وقد حاول جاكوبسن الاتصال مع بعض القيادات العربية، حيث أن هذه الاتصالات كانت مستمرة إلى تموز ١٩١٤، ولكن جاكوبسن لم يستطع أن يحقق أي شيء يذكر من هذه الإتصالات لصالح المنظمات الصهيونية. وفي هذا الخصوص يقول شتاين: «عندما جيء ببعض القيادات العربية لمحاكمتهم أمام محاكم عسكرية كبرى في بيروت ودمشق وذلك في سنة ١٩١٥، وجد أعضاء هذه المحاكم في ملفات بعض هؤلاء ما يدلل على وجود اتصالات بينهم وبين زعماء الوكالة الصهيونية في استانبول، وقد أكدت هذه الأوراق على رفض العروض الصهيونية من قبل هؤلاء، كما أكد هؤلاء أنه ليس بإمكانية الصهيونية دعم العرب على حساب ولائهم أو إخلاصهم لحكومة الباب العالي». راجع في هذا الصدد:

Leonard, Stein, The Balfour Declaration, London, 1961, pp. 93-94.

وجدت آراء متعددة حول اليهود في الدولة العثمانية، حيث قام أحد الكتاب الأتراك بتأليف كتاب عن قضية دريفوس وأسبابها، نشر في إستانبول عام ١٨٩٨، وهو ينتقد اليهود، =

إن الصهيونية لم تقتصر على الانقلاب الدستوري لعام ١٩٠٨، بل حاولت في الخفاء بالتعاون مع جمعية الاتحاد والترقي تحقيق مكاسب أخرى في فلسطين، وعليه نرى أن الصهيونية قد خططت للتخلص بصورة نهائية من عبدالحميد. وقد جاء دور قره صو ثانية(١٠٩) في خلع عبدالحميد الثاني، حيث كان دوره واضحاً في هذا المجال، إذ أظهر حماساً قوياً في تأييد تقدم الجيش الثالث في سلانيك نحو العاصمة آستانة. وتجدر الإشارة هنا أن الفرق الأربع التي اتجهت إلى العاصمة من ولاية سلانيك كان يقودها رمزي بك وهو من يهود الدونمة في سلانيك(١١٠).

= كما قام الكاتب الصحفي البارز والأديب على عهد الاتحاد والترقي بتأليف كتاب وهو ينتقد اليهود في الدولة العثمانية والموسوم بـ «الملة الإسرائيلية»، تميز هذا الكتاب بالعلمية، حيث غطى المؤلف التاريخ القديم والحديث لليهود.

بجانب هؤلاء، وجد من بين الكتاب الأتراك وعلى عهد جمعية الاتحاد والترقي، ممن تأثروا بالماسونية والصهيونية من يدافع عن اليهود، وخير مثال على ذلك كتابات جلال نوري إيلري. راجع:

Lewis, Bernard, The Jews of Islam, op. cit., pp. 188-189.

(١٠٩) اعتقل قره صو في القسطنطينية إبان ثورة عام ١٩٠٨ عند دخوله سراي يلدز، حيث دخل لغرض التجسس. راجع في هذا الصدد:

Mc Cullagh, E., The Fall of Abdul hamid, London, 1910, p. 266; Tanyu, Hikmet, op. cit., p. 579.

قارن مع:

Lewis, B., The Jews of Islam, op. cit., p. 179.

(١١٠) زحف الجيش الثالث إلى العاصمة تحت قيادة الجنرال محمود شوكت لإعادة النظام والأمن. ولكن شوكت لم يتجرأ بصراحة حتى على لوم السلطان شخصياً.

(ولد محمود شوكت في العراق عام ١٨٥٦ وهو ابن سليمان بك متصرف البصرة ومن أصل شركسي، تخرج من الكلية الحربية عام ١٨٨٢، قضى تسع سنوات في ألمانيا، وأصبح والياً في منطقة Kosova بعد الحركة الدستورية عام ١٩٠٨، أعطي له قيادة الجيش الثالث.

وتجدر الإشارة في هذا المجال أن محمود شوكت لم ينضم إلى لجنة الاتحاد والترقي. =

وبعد وصول رمزي بك إلى العاصمة، مارس الانقلابيون الضغط على مفتي الإسلام محمد ضياء الدين بإصدار فتوى الخلع، ثم أوفدوا هيئة مكونة تحت رئاسة

= وعندما أصبح الجيش على مسافة خمسين كيلومترا من المدينة، هتف شوكت قائلاً: «عاش السلطان». وكما أن الجنرال شوكت لم يتجرأ على التصرف العلني ضد عبدالحميد، كذلك لم يتجرأ عبدالحميد على إظهار تخوفه من قدوم أناس من سلانيك. فقد بعث الصدر الأعظم برسالة جوابية من يلدز، جاء فيها: «إن صاحب الجلالة السلطانية ينتظر بحسن التفات وصول الجيش الدستوري المذكور . . . فهو ليس لديه ما يخسره، ولا ما يربحه أو يخاف منه، لأن جلالته السلطانية هي نصيرة الدستور، وهي الحامي الأعلى له». وقد انضم جنود الثكنات الكبيرة في مدخل الإندرينوبل إلى جيش سلانيك. وما أن دخلت قوات الجنرال شوكت المدينة من ثلاث جهات، حتى سقطت استانبول في أقل من ساعة. وطلب من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب الحضور إلى مركز القيادة العامة في سان ستيفانو للتشاور في مصير السلطان. وفي هذا الأثناء دخل أنور باشا قاعة الاجتماع وطالب بموت السلطان. بالرغم من ذلك فإن التصويت على خلع عبدالحميد تم بأكثرية ضئيلة. ومع ذلك فقد تركوا إلى شيخ الإسلام أمر البت بالقرار نهائياً. وقد أعطى شيخ الإسلام جوابه في موضوع خلع السلطان الذي عرض عليه بهذا النص: «إذا أحد الأئمة المسلمين اختص ذاته بأموال الأمة واستحلها، وإذا أقسم على إصلاح نفسه بعد قتل ونفي رعاياه ظلماً وتعسفاً ثم حنث بالقسم، وإذا كان وجوده سيسبب حرباً أهلية يهرق فيها دم شعبه، وإذا ثبت بأن ذهابه سيحمل السلام إلى بلده، وإذا رأى القائمون على الحكم بأن هذا الإمام يجب أن يستقيل أو يخلع، فهل يعتبر شرعياً الأخذ بحل من الحلين الأخيرين؟». فجاء جواب شيخ الإسلام الذي كان يعرف، رغم أنه أعلى سلطة دينية، بأنه بات تحت رحمة لجنة الاتحاد والترقي: «نعم يعتبر شرعياً». راجع في هذا الصدد:

Mc Cullagh E., «The Fall of Abdul Hamid», op. cit., p. 266; J. Standford, Shaw, op. cit., pp. 281–282; Fisher, op. cit., p. 342.

وكذلك: هاسلب، جون، المصدر السابق، ص ص ٣١٩- ٣٢٧. وأيضاً: الدسوقي محمد كمال (دكتور). المصدر السابق، ص ٣١٧.

عارف حكمت باشا[١١١]. وعضوية كل من أسعد طوبطاني باشا (ارناؤوطي)[١١٢] وغالب باشا[١١٣]. من زعماء الصهيونيين قره صو[١١٤] إلى

---

(١١١) عارف حكمت باشا هو فريق بحري وعضو مجلس الأعيان، وهو كرجي العرق. راجع: مذكرات عبدالحميد: ترجمة عبدالحميد، محمد حرب المصدر السابق، ص ٧.

(١١٢) أسعد طوبطاني باشا، هو ألباني الأصل، نائب في مجلس المبعوثان عن منطقة دراج. راجع: المصدر السابق، ص ٧.

(١١٣) غالب باشا كان ناظراً للمالية. راجع: المصدر السابق، ص ٥١. وأيضاً:

Lewis, B., The Emergence of Modern Turkey, op. cit., p. 316; Robinson, Richard D., op. cit., p. 10.

(١١٤) يروي لنا أحد المرافقين لقره صو القصة الآتية: «كنت في جولة مع ابن أخ قره صو في Prinkipto حيث كان مديراً للبنك، وكان معنا متر سالم (كان متر سالم من يهود الدونمة، وهو أحد أعضاء إدارة بنك «سلانيك» في إستانبول، كان سالم يتمتع بالفطنة والذكاء، حيث كان يعرف التركية ويجيد الفرنسية، ويملك معلومات واسعة بالقانون. وقد كان من أقرب أصدقاء طلعت وموضع ثقته. وقد كان طلعت يخبره بأهم شؤون الدولة ويسأله رأيه. وقد كان سالم على اتصال وثيق بجميع المحافل المالية في باريس. وقد ألف متر سالم جمعية «مكابي اليهودية» في سلانيك في عام ١٩٠١، ولكنه انضم مع جماعته إلى المحفل الماسوني حيث حاز على الدرجة الثالثة والثلاثين في الماسونية، لكي يوثق صلة المحفل المذكور بجمعية الاتحاد والترقي التي كانت تعمل سراً منذ عام ١٩٠٥، فأخذوا يمدون الجمعية المذكورة بالمال والسلاح بحيث أصبحت قوتها إلى درجة أعلنت عن نفسها كحزب سياسي علني وذلك في عام ١٩٠٧. وقد ذهب متر سالم إلى إيطاليا وقابل رئيس بلدية روما ناثان (كان محامياً مشهوراً في استانبول، وعضواً في جمعية الاتحاد والترقي، كما كان يحتل مركزاً مرموقاً في المحافل الماسونية)، إذ رسما الخطط اللازمة ودفعت الخزينة الإيطالية الملايين من الليرات الذهبية إلى متر سالم لقاء إقناعه الدولة العثمانية بضرورة سحب الأسلحة والعتاد من طرابلس الغرب إلى إستانبول، كل ذلك قد أدى إلى إحتلال إيطاليا لليبيا). وقد زار قره صو هذه الجماعة، وتحدث معهم بكل صراحة. وأجاب قره صو على سؤال حول عمله مع الدولة العثمانية أجاب قائلاً: «هل تعرف كيف يحضر الخباز العجين؟ نحن نشبه أنفسنا بالخبازين، أما تركيا فهي العجينة. وهذا هو عملنا، نحن نحتاج =

سراي يلدز(١١٥) وارام أفندي (أرمني).

وفي يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٠٩ اجتمع مائتان وأربعون عضواً من مجلس الأعيان في جلسة مشتركة وقرر بالاتفاق خلع عبدالحميد.

يروي لنا عبدالحميد في مذكراته تفاصيل هذه الحادثة قائلاً: «إن ما يحزنني ليس الابعاد عن السلطة، ولكنها المعاملة غير المحترمة التي ألقاها بعد كلمات أسعد باشا هذه والتي خرجت عن كل حدود الأدب، حيث قلت لهم: إنني أنحني للشريعة ولقرار مجلس المبعوثان(١١٦) ذلك تقدير العزيز العليم، سوى إني أؤكد بأنه

= إلى عدة ثورات كي نحصل على عجينة ناضجة وبصورة جيدة، وفي هذه الحالة نستطيع أن نخبزها ونتغذى بها». وقد رد ابن أخ قره صو على قول عمه بذهول وذعر قائلاً: «ما علاقة الثورات بعملك هذا؟»، أجاب قره صو وهو واضع يده بتأثر على رأس ابن أخيه قائلاً: «لا تقلق يا بني، سوف تأتي الأشياء في أوقاتها المناسبة والمحددة». وكان متر سالم يسمع الحديث، وجه سؤالاً لقره صو: «ماذا تقول يا عمونئيل؟» أجاب قره صو قائلاً: «اسكت يا سالم، ماذا تفعل بدون ثورة، وأنت محامي سالونيكي صغير وذو راتب قليل». راجع في هذا الصدد:

Steed, Henry Wickham, op. cit., pp. 374-376.

(١١٥) Mc Cullagh, op. cit., p. 266.

(١١٦) تجدر الإشارة هنا، إلى أن اليهود كان لهم ممثلون في مجلس المبعوثان، وذلك بعد إصدار الدستور العثماني سنة ١٨٧٦. راجع في هذا الصدد: معروف، خلدون ناجي، الأقلية اليهودية في العراق بين سنة ١٩٢١ و ١٩٥٢م. الجزء الأول، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، ١٩٧٥، ص ١٠. وكذلك، مصطفى طوران، المصدر السابق، ص ٩٩-١٠٠.

كتب مسودة الفتوى الشيخ النائب حمدي أفندي المالي، لكن أمين الفتوى نوري أفندي الذي دعى للاجتماع رفض هذه المسودة وهدد بالاستقالة من منصبه إن لم يجر تعديل عليها، وأيده في التعديل عدد من أنصاره من النواب فعدل القسم الأخير على أن يقرر مجلس المبعوثان عرض التنازل عن العرش أو خلعه. راجع: طوران، مصطفى، المصدر السابق، ص ٩٧.

لم يكن لي أدنى علاقة لا من بعيد ولا من قريب بالأحداث التي تفجرت في ٣١ مارت(١١٧) ثم أردف قائلاً: «إنّ المسؤولية التي تحملتموها ثقيلة جداً». ثم أشار عبدالحميد إلى قره صو قائلاً: «ما هو عمل هذا اليهودي في مقام الخلافة(١١٨) وباي

---

(١١٧) عرف الحادث بإسم حادث ٣١ مارت، حيث قتل فيه بعض عسكر جمعية الاتحاد والترقي. راجع في هذا الصدد:

Danismend, Ismail Hami, 31 Mart Vakas; Ist, Kitabevi, 1961, s. 25; Goze, Ergun, Abdulhamid Huznu, Tercuman, Mart 1976; Atilhan, Cevat Rifat, Bizde Musluman Dusmanliginin Sebeb, Cevat Riffat, Istiklal gazetesi, s. 236; Tanyu, Hikmet, op. cit., pp. 577-578.

وفي الحقيقة كان على رأس مخططي حادثة ٣١ من مارت الذين اتخذوا من سلانيك مركزاً لهم: عمانوئيل قرة صو وجاويد بك، يبدأ العمل بالمال الذي أعطاه عمانوئيل قرة صو للاتحاديين، وقد بلغ قدره أربعمائة ألف ليرة ذهبية قبضه قرة صو من البنك الإيطالي وأعطاه لرجل غني إسمه نجيب دراغا الذي أعطاه بدوره إلى أحد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي وهو أيوب صبري. ذكر قرة صو من قبيل الفخر مراراً أن الإتحاديين نفذوا بأربعمائة ألف ليرة ذهبية ما لم ينفذه عبدالحميد بخمسة ملايين. راجع: طوران، مصطفى، المصدر السابق، ص ٢٩.

(١١٨) وقد نقل عبدالحميد بعد قرار الخلع من الاستانة إلى ولاية سلانيك وذلك في ٢٨ نيسان ١٩٠٩ مع ثلاث من نسائه وأولاده عبدالرحيم ومحمد وعابد وبناته شاديه وعائشة ورافعة وبعض الخدم والمرافقين. راجع في هذا الصدد: طوران مصطفى، المصدر السابق نفسه، ص ١٠١. حيث استقر في قصر علاءالدين «الاثبتي الصيفي»، وكان هذا القصر ملكاً لصراف يهودي واستأجره لحساب الجنرال الايطالي الكونت روبيلان باشا قائد الدرك. وفي إقامة مجهدة سيئة وذلك في عام ١٩١٦ حتى دخول اليونان إلى استانبول خلال حرب البلقان، تم نقله إلى قصر بيلربي باستانبول أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث توفي فيها. راجع:

Askir, Zika, Turkive Yahudileri. Millet c. lv. 29 ocak, 1948, s. 104; Tanyu, Hihmet, op. cit., pp. 581-582; D.Robinson. Richard, op. cit., pp. 10-11; J. Shaw, Stanford, op. cit., p. 282.

وكذلك، هاسلب، جون، المصدر السابق نفسه، ص ٣٢٣.

قصد جئتم بهذا الرجل أمامي»[119].

ولكن في الحقيقة، ان اليهود هم الذين دبروا هذه الحادثة بغية الاطاحة بعبدالحميد، حيث يذكر بعض الكتاب ان عبدالحميد كان من وراء هذه الحادثة، دبره للإطاحة بحكم الاتحاد والترقي. ونتيجة لهذه الحادثة قتل حسن فهمي بك صاحب صحيفة سربستي الذي كان ينتقد سياسة الاتحاد والترقي كما قتل إسماعيل ماهر باشا. وانتشرت في البلد إشاعة مفادها أن جمعية الاتحاد والترقي سوف تقوم بتسريح جميع الضباط الذي ترقوا عن طريق الخدمة الطويلة، سوى المتخرجين من الكلية العسكرية، كما شاع بين الناس بأن جمعية الاتحاد والترقي قد باعت البوسنة والهرسك وجزيرة كريت من البلقان[120].

في مثل هذه الظروف وقعت هذه الحادثة، إذ نشب عصيان بين أفراد الطابور العسكري الذي كان قد أرسل من قبل الاتحاديين في سلانيك إلى استانبول لحماية الدستور، وكان مقره في طاش قشلة تقع في وسط استانبول (وهي الان كلية الهندسة)، فقد ثار الجنود وحبسوا ضباطهم في القشلة واجتمعوا في ٣٠ مارت ١٩٠٩ في ساحة السلطان أحمد، حيث انضم إليهم بعض الجنود من المعسكرات الأخرى معلنين عصياناً دام يوماً راح ضحيته بعض الأشخاص، وكان الجنود يهتفون نريد الشريعة، نريد الشريعة، انتهت هذه الحادثة بوصول جيش الاتحاديين من سلانيك بقيادة محمود شوكت باشا لقمع العصيان وإعادة سلطة الاتحاديين وذلك في

(١١٩) وبعد الإطاحة بحكم عبدالحميد، تسلم الحكم السلطان محمد رشاد شقيق عبدالحميد، وكان عمره ٦٤ سنة وتسمى باسم السلطان محمد الخامس. حيث كان ضعيفاً، إذ كان لا يملك ولا يحكم، وتسلم الحكم في الدولة بصورة حقيقية أعضاء الاتحاد والترقي، حيث أشرف على الدولة أركان يهود الدونمة وهم جاويد وقرة صو ومتر سالم. راجع:

Askir, Zika, op. cit., s. 104; Tanyu, J. Hikmet, op. cit., p. 582.

(١٢٠) العاشور، مصطفى زكي، بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وأثاره، دار المحراب للطباعة والنشر، ألمانيا الغربية، (بلا)، ص ٣٠.

٢٣ نيسان ١٩٠٩، حيث سيطر على الوضع وعزل عبدالحميد من الحكم[121].

وقد اعتبر اليهود والماسونيون هذا اليوم عيدا لهم، ابتهجوا به وساروا بمظاهرة كبيرة من مدينة سلانيك، ولم يكتف الماسونيون بذلك بل طبعوا صورة هذه المظاهرات في بطاقات بريدية لتباع في أسواق تركيا العثمانية ولمدة طويلة. لقد كان الاتحاديون يفتخرون دائماً بأنهم ماسونيون. وقد أدلى رفيق ما نياسي زادة بتصريحات إلى صحيفة تمبس الفرنسية في باريس عقب نجاح انقلاب حركة الاتحاد والترقي، حيث جاء فيها: «لقد كانت للمساعدات المالية والمعنوية التي تلقيناها من الجمعية الماسونية الأثر الكبير في حركتنا. ويجب أن لا نستغرب ذلك لأننا ماسونيون أيضاً. وأود أن أوجه شكري إلى الجمعية الماسونية الإيطالية التي أمدتنا بالعون العظيم نظراً لارتباطنا الوثيق بها»[122].

(١٢١) المصدر نفسه، ص ٣٠-٣٢.

وفي هذا المجال يقول الشيخ مصطفى صبري، شيخ الإسلام للدولة العثمانية سابقاً - في كتابه موقف العقل والعلم والعالم: «وكان من المصادفات التي لها مغزى أن يبلغ السلطان قرار البرلمان على خلعه قره صو نائب سلانيك والذي سبق له الحصول قبل إعلان الدستور في تركيا على مقابلة السلطان مندوباً عن اليهود الصهيونيين فاتجه فيها رجاءهم المتعلق بمسألة الهجرة إلى فلسطين.

ومما يذكر أن النائب اليهودي قره صو كان مندوباً عن الصهيونيين لدى السلطان عبدالحميد لينقل إليه رجاءهم وهديتهم، لقد لقي رجاؤه رداً عنيفاً من السلطان مقروناً بإخراجه من حضرته في سخط واحتقار». راجع: متولي، عبدالحميد (دكتور)، المصدر السابق نفسه، ص ٢٩٥ - ٢٩٨. وعندما رفض السلطان عبدالحميد الثاني مقترحات قره صو، كتب الأخير قائلاً: «سترى كم يكلفك هذا الرفض».

راجع: الجندي، أنور، الصحوة الإسلامية وإعادة بناء الأمة على طريق الله، المصدر السابق، ص ٢٣٢.

(١٢٢) Egekan, Enver Necdet, Onceki Buyukustad, Cercek Yuzyle, Ankara, Basnur Matbaasi, s. 9, 30; Yeni Istanbul 29 October 1967. Hocaoglu Mehmet, Abdulhamid Hanin Muhtiralari (Belgeler. oymak yay, Ist; Bugun, March 1, 1968.

إن هذه العلاقة بين الصهيونية والماسونية، وضحها عبدالحميد في الرسالة التي وجهها إلى الشيخ محمود أبي الشامات[123] شيخه في الطريقة الشاذلية بعد خلعه

---

(١٢٣) احتفظ الشيخ أبي الشامات (وهو محمود بن محي الدين أبو الشامات الدمشقي الحنفي ١٢٦٦-١٣٤١هـ (١٨٥٠-١٩٢٢) متصـوف، أديب، شيخ الطريقة الشاذلية اليشـوطية بدمشق. وكان راغب رضا بك مدير القصر السلطاني لعبدالحميد من مريدي وأتباع الشيخ، وقد سمع عبدالحميد عنه فسأل راغب بك من يكون هذا الضيف فأخبره أنه شيخه في الطريقة الشاذلية، فأمر عبدالحميد أن يجتمع معه، فلما اجتمع به ملأ عينه وقلبه، وطلب منه الطريق فلباه، كما أخذ عنه الطريق جملة من وجهاء استانبول وموظفي القصر السلطاني وجنوده وحراسه). بهذه الرسالة بصورة من الكتمان والسر في حقبة حكم الاتحاد والترقي حيث تسلمها في ١٣٢٩ هـ عن طريق أحد الحراس الذي أقيم على حراسة عبدالحميد في قصـر سلانيك. وهو أحد تلاميذ أبي الشامات، حيث تم عن طريقه كتابة الرسائل السرية بين الشيخ وعبدالحميد، وعند زوال الحكم العثماني عن سوريا، أطلع عليها بعض أصدقائه المقربين، وبعد وفاة أبي الشامات حافظ عليها أبناؤه من بعده. وقد ترجمت الرسالة من قبل الشيخ أحمد القاسمي مدير الأوقاف في الجمهورية السورية سابقاً وكان صديقاً لعائلة أبي الشامات، حيث كان يتقن اللغتين العربية والتركية. راجع: الأفغاني، سعيد، «سبب خلع عبدالحميد: وثيقة بتوقيعه، فريدة مجهولة تصرح بالسبب»، العربي، العدد ١٦٩، كانون الأول، ١٩٧٢، ص ١٥٥. وكذلك: شيريب سبير يد وفيش، حكومة العالم الخفية، ترجمة مأمون سعيد، دار النفائس، بيروت ١٩٧٤، ص١.

وقد سارعت الأقطار الأوربية الاعتراف بالانقلابيين وخاصة بعد أن نشر في فرنسا مضمون التقرير الذي قدمه الصحفي التركي الدكتور رفيق نوزاد (ماسوني) إلى الحكومة الفرنسية والذي وصف فيه المظالم التي زعم أن السلطان ارتكبها، وفي مقدمتها إعدام توفيق نوزاد شقيق صاحب التقرير الذي دافع عن هرتزل وطلب من السلطان إعطاءهم فلسطين، فاعتبر السلطان عبدالحميد مسلكه خيانة وطنية وأمر بإعدامه. فاستغلت الصحافة الأوربية فحوى هذا التقرير واعتبرته كافياً لادانة عبدالحميد وطالبت حكوماتها بالاعتراف بالوضع التركي الجديد ثم أشفقت على موت توفيق نوزاد ولقبته «بالشهيد البريء».

راجع في هذا الصدد:

س. ناجي، المصدر السابق ص ٣١٦.

وذلك في سنة ١٣٢٩هـ.

وقد جاء في جزء من هذه الرسالة ما يلي: «إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا عليّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة «فلسطين» ورغم إصرارهم، لم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف، وأخيراً وعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهباً، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً، وأجبتهم بهذا الجواب القطعي: «إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً، فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسـود صحائف المسلمين». وبعد جوابي هذا اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى سلانيك، فقبلت بهذا التكليف الأخير. هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ العالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة: فلسطين»[124].

ويذكـر النقيب التـركي «ديـرلي» بأن السلطان عبـدالحميد حدثه عندما كان مسجـونـاً في سلانيك عن آخـر اجتمـاع له مع الـزعيم الصهيوني هرتزل ورئيس

---

(١٢٤) يقول أوبدي هربرت النائب البريطاني: «إن يهود سلانيك الذين يعرفون بالدونمة كانوا مدبري الثورة الحقيقية وهؤلاء هم من العرق اليهودي، ولم يكن أحد يعلم عنهم الكثير إلا العلماء، ولكن ما من أحد كان يتنبأ بأن هذه الفئة اليهودية المغمورة المعروفة بالدونمة ستطلب دوراً رئيساً في ثورة كان لها نتائج خطيرة في سير التاريخ». ويؤكد هذه الحقيقة الكاتب اليهودي إبراهام غالانتي في كتابه «الأتراك واليهود»: إن عبدالحميد بلغه جواسيسه من أن عدداً من الدونمة يسهمون في الحركة ضده، غير أنه خاف من إتخاذ تدابير ضدهم لخوفه الخرافي من تاريخهم الغريب». راجع: الأفغاني، سعيد، «سبب خلع عبدالحميد: وثيقة بتوقيعه، فريدة مجهولة تصرح بالسبب»، المصدر السابق، ص ١٥٥. وكـذلك، الجندي، أنور، المصدر السابق، ص ٦، وأيضاً: غالانتي، ابراهام، توركلر ويهودلر، المصدر السابق، ص ٢٢ وكذلك:

Lewis, B, The Emergence of Modern Turkey, op. cit., p. 219.

الحاخامين في تركيا العثمانية[١٢٥]، فقال: «أن أخرجا من هنا، وطلبت إلى رجال القصر أن يقودهما حالاً إلى خارج القصر. وبذلك أصبح اليهود أعدائي فما ألاقيه هنا في سلانيك من عذاب الاعتقال ليس سوى جزائي منهم حيث لم أرض أن أقتطع لهم أرضاً لدولتهم المزعومة»[١٢٦].

ويؤكد هذا القول بلش القنصل البريطاني في القدس وذلك في عام ١٩٠٨، عندما تحدث عن المصاعب والعراقيل التي وضعها عبدالحميد في مواجهة الاستيطان الصهيوني في فلسطين، وهنا يتحدث القنصل المذكور عن الدور الفعال لليهود في حركة عام ١٩٠٨[١٢٧].

وفي الحقيقة فقد أصبح عبدالحميد على بينة تامة من نوايا الحركة الصهيونية بعد جهود هرتزل في الدولة العثمانية، وفي هذا الصدد يقول عبدالحميد: «لقد فشل الزعيم الصهيوني هرتزل في إقناعي بهجرة اليهود إلى فلسطين، وقد يكون محقاً في قوله: «سوف تحل المسألة اليهودية من تلقاء نفسها عندما تقوى شكيمة المزارع اليهودي». وهذه الفكرة هي التي دفعت هرتزل إلى أن يطلب مني أراضي فلسطين لسكنى بني جنسه ولكني أعتقد بأن هدف الصهيونية لا يقتصر على العمل في

---

(١٢٥) Muftuoglu, Mustafa, Aci, Bir Gun, Sultan Ikinci Abdulhamid Hanin Hali, Milli Gazete 27 Nisan 1975.
وكذلك: الجندي، أنور، المصدر السابق، ص ١١، وأيضاً س. ناجي، المصدر السابق، ص ٣١٦.

(١٢٦) الجندي، أنور، المصدر السابق، ص ٩.

(١٢٧) استغل اليهود قيام الزعيم الديني الدرويش «وحيدالدين» رئيس جمعية الاتحاد المحمدي وصاحب صحيفة ولقان تنظيم مظاهرة دينية تأييداً لعبدالحميد، وتنديداً بالأعمال التي ترتكبها جمعية الاتحاد والترقي لتحقيق هدفهم المنشود فدفعوا بعض جماعاتهم في مجلس المبعوثان المطالبة بخلع عبدالحميد بتهمة التواطؤ مع الدرويش وحيدالدين وتنصيب شقيقه محمد رشاد بدلاً عنه». راجع:
Bugun, op. cit.,

الزراعة في فلسطين، وإنما السعي إلى تأسيس مملكتها فيها، ولذلك فقد طلب مني اليهود بالإضافة إلى الأراضي، منحهم نوعاً من الحكم الذاتي ليستطيعوا تمثيل بلادهم عن طريق السفراء لدى الدول الأخرى»[١٢٨]. ويردف عبدالحميد قائلاً: «إنني أعرف مخططات الصهيونية ومشاعرهم القومية المتطرفة، ورغم ذلك ظن الصهيونيون بأنهم ربما استطاعوا في يوم من الأيام إقناعي بوجهة نظرهم، ولكنهم كانوا مخطئين جداً في تقديراتهم. فإذا كنت أنظر بعين التسامح إلى المواطنين اليهود لدى تقلدهم للمناصب في الدولة، فإني أعارض بشدة كافة مخططات الصهيونية بشأن فلسطين، وأعاديها بقدر تسامحي تجاه مواطني اليهود»[١٢٩].

وفيما يتعلق بموقف عبدالحميد من هجرة اليهود إلى فلسطين، يقول عبدالحميد: «إن قوة وسطوة اليهود على دول أوربا أكثر منه بكثير على الدولة الشرقية، وربما كانت تلك السطوة دافعاً للدول الغربية على تشجيعهم للهجرة إلى فلسطين للتخلص منهم. ولكن عدد اليهود الموجودين في بلادنا هو ليس بالقليل لكي نسمح بهجرة أعداد أخرى منهم إلى فلسطين»[١٣٠].

---

(١٢٨) Hacaoglu Mehmet, Abdulhamid Hamin Muhtiralari (Belgeier, Oymak Yay 1st; Bugun, March, 1, 1968.

(٢٩) Kutay, Cemal, Prens Sabahaddin Bey, Sultan II. Abdul Hamid, ittihat ve Terakki, C. XII, Istanbul, 1967, p. 25; Bugun, op. cit.,

(١٣٠) اعترف عبدالحميد وهو في منفاه في قصر بيلربي في سلانيك لطبيبه الخاص أن جهود حكومة الباب العالي قد أخفقت ضد مطامع اليهود في فلسطين وذلك بعد قيام انقلاب عام ١٩٠٩، مؤكداً أن جهود الصهاينة في فلسطين كانت تمهيداً لإقامة دولتهم في فلسطين، عندما قال: «إنه من المؤكد والمسلم فيه أن اليهود يستطيعون من إقامة دولتهم في فلسطين». راجع:
Oke, Bulent Kemal, op. cit., p. 367;
Feroz, Ahmed, op. cit., p. 168.
وكذلك السلطان عبدالحميد، مذكراتي السياسية ١٨٩١- ١٩٠٨، المرجع السابق، ص ٣٤.
=

ونستنتج من قول عبدالحميد بعض الملاحظات، هي:-

١- إن الصهيونية العالمية أكدت كثيراً على إقامة المزارع في فلسطين، لأن ذلك يؤدي في اعتقادهم إلى حل المسألة الصهيونية.

٢- إن عبـدالحميد كان يرغب في المحافظة على سيادة العنصر العربي في فلسطين وعليه فقد حاول تقييد الهجرة إلى فلسطين. لأن السماح للهجرة اليهودية في فلسطين. كان يعني كما يقول عبدالحميد «نكون قد حكمنا على إخواننا في الدين بالموت المحتم»(١٣١).

٣- إن عبدالحميد كان ينظر إلى الرعايا اليهود بنظرة مساواة مع العناصر الأخرى في الدولة العثمانية، وهذا يعني من جانب آخر أن اليهود كانوا متغلغلين بالوظائف الحساسة في الدولة.

= وجدير بالإشارة في هذا المجال، أنه بعد عودة دستور عام ١٨٧٦ وذلك في تموز ١٩٠٨. قام الاتحاديون بنقل الأتراك المعارضين للهجرة اليهودية من فلسطين إلى أماكن أخرى، وكانت هذه الحادثة مماثلة مع حدث علي أكرم بك الذي كان يحاول على وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين. حيث أصدر الاتحاديون قراراً بنقله من فلسطين إلى بيروت. والأكثر من ذلك، أنه خلال هذه الحقبة إزداد عدد المهاجرين إلى يافا بالمقارنة مع عهد السلطان عبـدالحميد. راجـع في هذا الصـدد: الفتشة، رفيق شاكر، السلطان عبدالحميد الثاني وفلسطين، عمان، ١٩٨٤، ص ١١١.

(١٣١) السلطان عبدالحميد الثاني: مذكراتي السياسية ١٨٩١-١٩٠٨، المصدر السابق، ص ٣٤.

كتب علي فروخ بك ـ الذي كان والده حاكماً في بيت المقدس ـ تقريراً إلى عبدالحميد، جاء فيه: «عند زيارتي إلى فلسطين مؤخراً، اطلعت على الأسلوب الذي اتبعه اليهود في نهب ثروات البلاد وإلحاق الضرر بمصالح السكان المسلمين المحليين، ومن أجل تصحيح هذه الأمور أقترح أن تسهل الحكومة هجرة الجماعات المسلمة إلى فلسطين».

Oke, Bulent Kemal, op. cit., p. 267.

ويجب أن نؤكـد في هذا المجـال، أن بعض أقطاب حركة الاتحاد والترقي اكتشفوا فيما بعد أنهم قد وقعوا تحت تأثير الماسونية والصهيونية، فهذا أنور باشا(١٣٢)

---

(١٣٢) ولد أنور باشا في استانبول من أب موظف في السكة الحديدية، وهو خريج الكلية الحربية في استانبول عام ١٩٠٢، انضم إلى حركة تركيا الفتاة، ولعب الدور الرئيس في حركة تموز ١٩٠٨، بعد أن خدم كملحق عسكري في برلين، ثم كضابط ميدان عاد إلى استانبول ليقود الحملة ضد حكومة الباب العالي. عين عام ١٩١٣ وزيراً للحرب بعد أن منح رتبة جنرال بلقب باشا. وقد قام أنور باشا باستغلال تشييع ضحايا مذابح الأرمن، بغية كسب تأييد الأقليات الـدينية إلى جانب حزب الاتحـاد والترقي، وأكد في حديث له على أن المسلمين والمسيحيين يرقدون في قبورهم جنباً إلى جنب، فهم جميعاً مواطنون متساوون في الحقوق والواجبات. ويعد أنور باشا المسؤول الأول عن قرار انضمام تركيا العثمانية في الحرب العالمية الأولى إلى جانب قوى الوسط، حيث كان يشغل منصب رئيس الوزراء في ذلك الوقت. وقد غادر أنور باشا إلى تركستان وذلك بعد إبرام معاهدة سيفر التي وقعت في ١٠ آب ١٩٢٠ (بموجب هذه المعاهدة تنازلت تركيا عن جميع ممتلكاتها غير التركية، وعن الجـزر التركية لكل من إيطاليا واليونان. وأعطيت فرنسا حق الانتداب على سوريا ولبنـان، وإنكلتـرا العراق وفلسطين، وأعترف بالحجاز بلداً مستقلاً، وكذلك أرمينية، أما المضايق فإنها أصبحت بموجب هذه المعاهدة دولية)، حيث انضم إلى البلاشفة، وأخذ يثير أتراك تركستان والقوقاس، وقد خالفه طلعت في الرأي حيث قال لأنور: «نحن قوم قد انتهت حياتنا السياسية، واستحققنا غضب الأمة، سواء كان ذلك بحق أو بغير حق. فأقصر الطرق أمامنا هو أن نذهب إلى أوربا. ونقبع في زوايا العزلة، ولا نأتي بأدنى حركة ولا نطمع في شيء، بل ننظر إلى ما يأتي به الدهر. فإن لاحت بنا فرصة بعد مرور الأيام وكـر العشي اهتبلناها. ولكننا في الوقت الحاضر يليق بنا الانزواء والاعتزال وترك النزال والنضال، فقد أردنا أن ننقذ أمتنا فلم يسعفنا القدر فلنترك الأمر لغيرنا».

وقد توجه أنور إلى القوقاس، حيث التقى مع أخيه نوري ومجموعة من مؤيديه من الجند، إذ كان يواصل إثارة الأتراك في أذربيجان والطاغستان. ثم توجه إلى ألمانيا ومنها إلى موسكو، حيث أنزله البولشفيك في قصر قبالة «الكرملين». إلا أن أنور اختلف في نهاية الأمر مع البولشفيك وأثار التركستان عليهم. وقتل أنور في الحرب الأهلية التي نشبت في تركستان وذلك في بداية شهر آب ١٩٢٢. راجع في هذا الصدد: الخربوطلي، أميرة محمد =

الذي لعب دوراً مهماً في إنقلاب ١٩٠٨، يقول في حديث له مع جمال باشا[١٣٣] أحد أركان جمعية الاتحاد والترقي: «أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟ وبعد تحسر عميق قال: «نحن لم نعرف السلطان عبدالحميد، فأصبحنا آلة بيد الصهيونية، واستثمرتنا الماسونية العالمية، نحن بذلنا جهودنـا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقي»[١٣٤].

وفي هذا المعنى، يقول أيوب صبري قائد الاتحاديين العسكريين: «لقد وقعنا في شرك اليهود، عندما نفذنا رغبات اليهود عن طريق الماسونيين لقاء صحيفتين من

= كامل، الدور السياسي للعسكريين في تركيا ـ رسالة ماجستير غير منشورة ـ جامعة القاهرة، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٧٢، ص ١٣٠. وكذلك: لوثر وب ستودارد، المصدر السابق، ص ٣٦٥ ـ ٣٧٠. وأيضاً: حتي، فيليب، المصدر السابق، ص ٥١. وكذلك:

Lewis, Bernard, The Emegence of Modern Turkey, op. cit., p. 217.

(١٣٣) ولـد أحمـد جمال باشا في استانبول عام ١٨٧٢ من عائلة عسكرية وهو خريج الكلية الحربية عام ١٨٩٥، انضم إلى الجيش الثالث في سلانيك، وأحد مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي، أصبح والياً في أدرنة عام ١٩٠٩، وخدم في بغداد عام ١٩١١، أصبح قائداً في قونيا في عام ١٩١٢، واشترك في الحرب البلقانية في المدة الواقعة بين ١٩١٢-١٩١٣ ثم حاكماً عسكرياً في استانبول عام ١٩١٣، وأرسل إلى سوريا لقيادة الجيش الرابع وذلك في عام ١٩١٤. وكان طلعت وأنور يطلقان على جمال بـ «جمال الكبير» وقد هرب جمال باشا إلى أفغانستان بعد إبرام تركيا العثمانية لمعاهدة سيفر. وقد حظي جمال عند ملك الأفغان بمنزلة سامية، ذهب جمال إلى الأناضول ونزل أولاً في تفليس عاصمة كرجستان، فكان الأرمن هيأوا له من يغتالـه، حيث اغتيل في ١٨ أو ١٩ تموز عام ١٩٢٢. راجع: الخربوطلي، أميرة محمد كامل، الدور السياسي للعسكريين في تركيا، المصدر السابق، ص ١٣٠. وكـذلك: أنطونيوس، جورج، المصدر السابق، ص ٢٣٤. وأيضاً: حتي، فيليب، المصدر السابق، ص ٥١. وكذلك: لوثر وب ستودارد، المصدر السابق، ص ٣٨٩.

وكذلك:

Feroz, Ahmed, op. cit., p. 168.

(١٣٤) الميداني عبدالرحمن حبنكة، المصدر السابق، ص ٢٧٩.

الليرات الذهبية، في الوقت الذي عرض فيه اليهود ثلاثين مليون ليرة ذهبية على السلطان عبدالحميد لتنفيذ مطالبهم، إلا أنه لم يقبل بذلك»[١٣٥].

ويقـول في هذا الصدد برنارد لويس: «لقد تعاون الإخوة الماسونيون واليهود بصورة سرية على إزالة السلطان عبدالحميد، لأنه كان معارضاً قوياً لليهود، إذ رفض بشدة اعطاء أي شبر أرض لليهود في فلسطين»[١٣٦].

وقد علق نجم الدين أربكان زعيم حزب الرفاه في تركيا على هذا الموضوع قائلاً: «إن الحركة الماسونية سعت سعياً شديداً لعزل السلطان عبدالحميد، ونجحت في سعيها وأن أول محفل فتح في تركيا العثمانية كان على يد اميل قره صو وهو صهيوني وقد انضم إليه ضباط منطقة سالونيكا ..»[١٣٧].

تقـول الجاسوسة سوزي ليبرمان نقلاً عن والدها: «سوف نذهب إلى الأرض الموعودة، بعد **إبعاد** ذلك السلطان الظالم عبدالحميد، واليوم يقوم سلطان ضعيف على إدارة فلسـطين، لا يتـدخل في شؤون هجرتنا. هل تعرفين من كان يحكم فلسطين؟ كان يحكم فلسطين أصدق الأمم إلى تعاليم محمد وهم العرب القساة الذي لا يرحمون ولا يشفقون. حيث كان اليهود في حالة هجرتهم إلى فلسطين في عهد الحكم العربي والسلطان التركي عبدالحميد، كان هؤلاء يمنعونهم من النزول في فلسطين، ويبقون في البواخر حتى يهلكوا جوعاً. في هذه الحقبة، انتهى ذلك العهد الأسود، حيث كان سلاطين الأتراك المستبدون يقتلوننا جوعاً، وسوف نتخلص من الاستبـداد ونجتمـع هنـاك، إن إخواننا اليهود أنفقوا أموالاً طائلة لإبعاد ذلكم السلطان الظالم من الحكم»[١٣٨].

---

(١٣٥) Bugun, op. cit.,

(١٣٦) الميداني، عبدالرحمن حبنكة، المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(١٣٧) رضوان، فتحي «ملف كامل لقضية خطيرة»، الدوحة، العدد، ٧٦، ١٩٨، ص٢٧.

(١٣٨) Atilhan, Ceyat, Meshun Yahudi Suziliberman, in Hatra Defteri, celikcilt Matbaan, Istanbul, 1961, ss. 54-55.

وبعد إبعاد عبدالحميد من السلطة، عبرت الصحف اليهودية في سلانيك عن غبطتها في الخلاص من «مضطهد إسرائيل» كما وصفته هذه الصحف. وفي هذا الصدد يقول لوثر: «وبعد إبعاد عبدالحميد من السلطة، عبرت الصحف اليهودية في سلانيك عن غبطتها، وأخذت تزف البشائر بالخلاص من «مضطهد إسرائيل» الذي رفض استجابة طلب هرتزل لمرتين، والذي وضع جواز السفر الأحمر الذي يقابل عندنا قانون الأجانب»(١٣٩).

ولابد أن نؤكد في هذا المجال، أنه لم يكن في عهد عبدالحميد إلا محفل ماسوني واحد للأجانب أما في عهد الاتحاديين، فقد ازدادت المحافل الماسونية، وقد قام الدكتور اليهودي جاك سهامي باقتباس مبادىء المشرق الأعظم الفرنسي، ومبادىء المحفل الأكبر الانجليزي، وكتب ومبادىء الماسونية باللغة التركية وأعقبها بكتابات كثيرة عن الماسونية(١٤٠).

وفي عام ١٩١١ وصل إلى استانبول ليون فالنتين قادماً من فرنسا حيث أصبح رئيساً لمحفل ماليزا الذي اتحد مع المحافل الماسونية الأخرى، وأخذ المحفل الجديد يعمل تحت إشراف وتوجيهات المحفل الماسوني الايطالي(١٤١)

---

(١٣٩) Kedourie, Elie, «Young Turkes, Freemansons and Jew», op. cit., p. 95.

(١٤٠) آتلخان، جواد رفعت، أسرار الماسونية المصدر السابق ص ٦٠.

(١٤١) Yeni Istanbul, 15 october, 1967; Soysal ilhami, op. cit., p. 34.

يقول أتيلفان: «إن الثورة التي انفجرت عام ١٩١٤ في كرواتيا والجبل الأسود كانت من صنع اليهود وبتحريض منهم ومولت من قبلهم، وإن يعقوب شيف المالي اليهودي هو الذي مول هذه الثورة وأشرف على إدارتها، ولقد أرسل تعليماته مع نصف مليون دولار إلى اليهودي افرام بنرويا الذي كان يرأس المحفل البلغاري وأمره بالمباشرة في إيقاد نار فقام بنرويا بجولة إلى سلانيك وأدرنة وسلوفيتا وألبانيا حيث أبلغ تعليمات شيف إلى رؤساء فروع محفله وزودهم بالمال اللازم وأوعز إليهم بإعلان التمرد على الدولة العثمانية. =

إن سياسة عبدالحميد تجاه الصهيونية واضحة إلى حد بعيد، ويكفي أن نقول أن الصهيونية هي التي أطاحت بحكمه، كما اتضح لنا في الصفحات السابقة، إلا أنه مع ذلك قد وقع في أخطاء، عندما قام بإصدار بعض الأوامر والقرارات البسيطة المتعلقة باليهود، حيث استغل اليهود ذلك، إذ قاموا بشراء بعض الأراضي وبناء مجموعة من المستعمرات، كما شرحنا ذلك. وفي اعتقادنا أن الصهيونية استخدمت هذه الأوامر والتعليمات بمثابة وثيقة قانونية للتوسع في فلسطين. ولكن على الرغم من الأخطاء والعيوب في سياسة عبدالحميد فيما يتعلق بهذا الموضوع، إلا أنه كان قادراً أن يحد من مفهوم التوسع الاستيطاني الصهيوني عن طريق تقييد سياسة الهجرة اليهودية، على الرغم من ضغوط الحركة الصهيونية والقوى الكبرى عليه، ويكفي أن نستشهد بهذه الحقيقة، أنه عند زوال الحكم العثماني في فلسطين، وفرض الانتداب البريطاني عليها، وذلك في أيلول عام ١٩١٨، كان اليهود يشكلون نسبة قليلة من السكان بالمقارنة مع السكان الحقيقيين ـ العرب ـ، حيث كان عدد اليهود خمسين ألفاً، بينما كان عدد العرب ستمائة وخمسين ألفاً(١٤٢).

وبعد زوال حكم عبدالحميد، نرى أن اليهود قد تدفقوا بأعداد هائلة إلى

= وفي عام ١٩١٥ أرسل إليهم مجدداً مبلغ سبعمائة وخمسين ألف دولار ليثابروا على مقاومة الأتراك، وقاد بنرويا كلًا من ثورتي اليونان وألبانيا، وكان شيف هو الذي يموله فيهما. والأكثر من هذا أن جميع زعماء الثورات البلقانية كانوا من الماسون اليهود وأن بلاكون اليهودي الماسوني هو الذي دربهم جميعاً، وأن كلا من كوموكلا (البولوني) وآنه بوكر الرومانية وامرى ناجي وكادار المجريين يدينون بالولاء لاستاذهم بلاكون جلاد المجر. فضلًا عن ذلك إن اليهود في مصر كانوا يحرضون المصريين على مقاتلة الأتراك ويقدمون لهم المغريات المالية والعينية ليشجعوهم على التطوع في الجيش البريطاني. راجع:

C.R.Atilhan, Islam ve Beni Israil, A.g.e., pp. 231-237.

(١٤٢) زعيتر، أكرم، القضية الفلسطينية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٢٧ نقلاً عن الشناوي، عبدالعزيز محمد (دكتور)، المصدر السابق ص ١٠٥.

فلسـطين، وبمعـرفـة حكم الاتحـاد والتـرقي، حيث قدمـوا التسهيلات الـلازمـة لهؤلاء(١٤٣). وفي غضون ذلك ارتفع عدد اليهود في فلسطين من ٠٠٠ر٥٠ في عام ١٨٩٧ إلى ٠٠٠ر٨٥ في عام ١٩١٤(١٤٤). بالإضافة إلى ذلك فقد تسنم اليهود مراكز في مجالس الاتحاد والترقي. وقد لمس السفير البريطاني في استانبول تفوق مركز اليهود في دوائر الحكومة العثمانية، وقد أكد ذلك في المذكرة التي بعثها إلى وزارة الخارجية البريطانية، جاء فيها: «إن لجنة الاتحاد والترقي تبدو في تشكيلها الداخلي تحـالفها يهودياً تركياً مزدوجاً. فالأتراك يمدونها بالمادة العسكرية الفاخرة، ويمدها اليهود بالعقل المدبر وبالمال، وبالنفوذ الصحفي القوي في أوربا .. إن اليهود الان في موقف الملهم والمسيطر على الجهاز الداخلي للدولة(١٤٥).

وقد قام اليهود ومنذ حركة الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ بسلب واغتصاب المزارع العربية، وقد ازدادت هذه الحوادث منذ ٢٧ نيسان عام ١٩٠٩(١٤٦) وفي هذا الصدد كتب Jacabson اليهودي ـ مدير شركة البنك الإنكليزي العثماني ـ رسالة إلى Lichthelm جاء فيها:

(١٤٣) السوداني، صادق حسن، المصدر السابق، ص ١٥.

(١٤٤) الكيالي، عبدالوهاب، الموجز في تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧١، ص ٢١.

طبقاً لنتائج الاحصاء التركي التي يلخصها كتاب «إحصاء فلسطين» ١٩٢٢ Census of Pales-tine، إن مجموع سكان فلسطين في عام ١٩١٤ بلغ نحو ٦٨٩ر٢٧٢، منهم ما لا يزيد (وربما كان العدد أقل) عن ٠٠٠ر٦٠ يهودي ..

راجع: أبو لغد، إبراهيم (دكتور)، تهويد فلسطين، المصدر السابق، ص ١٥٧.

(١٤٥) وزارة الإرشاد القومي، الهيئة العامة للاستعلامات، ملف وثائق فلسطين، الجزء الأول، وثيقة رقم ٥٨، ص ١٥٥. نقلاً عن الشناوي، عبدالعزيز محمد (دكتور)، المصدر السابق، ص ١٠٠٢.

(١٤٦) Ro'i Yaacov, «The Zionist Attitude to the Arabs», op. cit., p. 203.

«إن حركة الاتحاد والترقي أخذت تميل نحو الجانب الصهيوني، ولكنها تخشى من العـرب، وبإمكانك أن تأتي إلى هنا، وتتفاهم مع العرب، وسوف ترتاح من ذلـك، وأنتم في الحقيقة بدأتم المفاوضات مع مجموعة من قادة العرب، وكانوا يتجاوبون معكم»(١٤٧).

وفي هذا المعنى يقول Ruppin: «في الواقع أن العرب لم يكونوا أصدقاء لتركيا الفتـاة، ومن الممكن أن يمنحـوا أصـواتهم إلى الحـزب المعارض في انتخابات البرلمان العثماني، إن حزب تركيا الفتاة يعرف الشخصية العربية وعليه فقد قام على تنظيم وترتيب تاريخ الانتخابات»(١٤٨).

ويؤكد هذا القول عوني عبدالهادي(١٤٩) قائلاً: «إن الحس القومي قد استيقظ في نفـوس العـرب كرد فعل للمظاهرات التي قام بها الترك احتفالاً بانقلاب عام ١٩٠٨، إذ كانوا يشتمون عزت العابد والصيادي «مستشاري عبدالحميد» ليس بصفة شخصية، بل يشتمون الأمة العربية التي ينتميان إليها»(١٥٠).

(١٤٧) Ibid., p. 312.

(١٤٨) عقدت هذه الانتخابات من تشرين الأول عام ١٩٠٨ ونيسان عام ١٩١٢ إلى نيسان عام ١٩١٤. راجع: Ibid., p. 207.

(١٤٩) عوني عبدالهادي كان عضواً في مؤتمر السلم في باريس حيث كان مع الوفد الحجازي.

(١٥٠) عوني عبـدالهـادي ـ أوراق خاصـة ـ إعـداد الـدكتـورة خيرية قاسمية، منـظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ص٩.

والأكثر من ذلك فقد قام حسين جاهد صاحب صحيفة طنين بحملة واسعة النطاق ضد العرب ونوابهم واصفاً إياهم بأنهم جواسيس لعبدالحميد الثاني.

إن قادة العرب المسلمين كانوا يبدون شكاً في إخلاص جمعية الاتحاد والترقي وذلك لسببين:

١ـ لأن قادة جمعية الاتحاد والترقي وزعماءها كانوا جميعاً وبدون استثناء من =

الماسونيين.

يذكر أحمد حلمي في مخطوطه «دمشق في مطلع القرن العشرين»: أن الاجتماعات السرية السياسية بدأت تعقد في دمشق منذ عام ١٩٠٨، وكانت المنشورات تطبع وتوزع في الأحياء في الخفاء وبعض ما كان ينشر ما معناه:

«يا أبناء العرب إن جاويد سيصل إلى بلادكم فيمكنكم أن تستقبلوه بالديناميت والرصاص والدم(١٥١)».

ونتيجة لسياسة الإتحاد والترقي إزاء الصهيونية في فلسطين، وتبنى نظرية سياسية جديدة من قبل الإتحاديين إزاء العرب(١٥٢) وذلك إعتباراً من عام ١٩١١ إلى قيام

= ٢ـ لأن يهود سلانيك كانوا جزء لا يتجزأ من جمعية الاتحاد والترقي. راجع: زين، نور الدين زين، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، المصدر نفسه، ص ٨٦.

ولكن من ناحية أخرى يقول رشيد رضا: أنه عندما تم تأسيس جمعية الاتحاد والترقي ونشرها في الولايات دخل فيها كثيرون من شباب العرب، وكان شعبها في سوريا أعظم منها في غيرها، وأسس بعض العرب جمعية أخرى كجمعية الاتحاد بعد ضعف شأن هذه في مصر وسوريا وهي جمعية الشورى العثمانية وأدخلوا في لجنتها المركزية أشهر رجال الاتحاديين الذين كانوا في مصر. راجع: رضا، رشيد، مختارات سياسية من مجلة المنار، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٠٢.

(١٥١) قاسمية، خيرية، الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨- ١٩٢٠، دار المعارف بمصر، القاهرة، ص ١٩.

(١٥٢) يقول الملك عبدالله بن الحسين في مذكراته: «فوجئنا بحركات محمود شوكت باشا (كان محمود شوكت باشا قائداً لكتائب العسكر في سلانيك) حيث دخل القسطنطينية بعد قتال مرير وأطاح بعبدالحميد» وبخلعه السلطان، وجلوس ولي العهد رشاد بن عبدالمجيد خان الخامس. وكانت تلك الأحداث من ملاعب الصبية من الاتحاديين، فاغتصبوا الملك وتحكموا في السلطان وفي الرعية». راجع هذا الصدد: حقبة من تاريخ الأردن: الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين، الدار المتحدة للنشر، بيروت (بلا)، ص ٦٨. وكذلك:

O.Freedman Robert, op. cit., pp. 3–4.

الحرب العالمية الأولى(١٥٣)، حيث قام هؤلاء بإحياء الثقافة التركية في الولايات العثمانية وذلك بجعل اللغة التركية لغة رسمية في المدارس والمحاكم(١٥٤).

وقد قام رجال الاتحاد والترقي على إيجاد جمعية سموها «جمعية ترك أوجاغي» «أي: العائلة التركية»، وكانت الغاية من ذلك تتريك العناصر العثمانية، وقد قام رجال هذه الجمعية على إصدار كتب ومن ذلك الكتاب الذي ألفه جلال نوري بك والموسوم بـ «تاريخ المستقبل» وقد جاء فيه:

«إن المصلحة تقتضي على حكومة الأستانة بإكراه السوريين على ترك أوطانهم، وإن بلاد العرب لا سيما العراق والتي يجب تحويلها إلى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين. ومما لا مندوحة لنا عنه للدفاع عن كياننا أن نحول جميع الأقطار العربية إلى أقطار تركية، لأن النشأ العربي الحديث صار يشعر بعصبية جنسية، وهو يهددنا بنكبة عظيمة يجب أن نحتاط لها من الآن»(١٥٥).

وقد كتب Kitchener القنصل البريطاني العام في مصر رسالة إلى وزير خارجية بريطانيا في ٤ نيسان عام ١٩١٤، حلل فيها العلاقات العربية التركية، جاء فيها: «نشأ رد الفعل العربي ضد الأتراك، عند قيام السياسة التركية الجديدة التركيز على سياسة جديدة في السنوات القليلة الأخيرة وبصورة خاصة عند قيام القادة الأتراك

(١٥٣) انتخب عبدالله بن الحسين عضواً في مجلس المبعوثان العثماني عن مكة المكرمة، وكان جميل بن ناصر عضواً في المجلس نفسه في إستانبول. وقد مثل القدس أحد النواب العرب في مجلس المبعوثان وهو يوسف ضياء بك الخالدي. راجع في هذا الصدد: حقبة من تاريخ الأردن، المصدر السابق، ص ص ٧٢-٧٤. وكذلك قاسمية، خيرية، الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨ - ١٩٢٠، المصدر السابق، ص ٣١.

(١٥٤) الكواكبي، عبدالرحمن، أم القرى، القاهرة، ص ١٩٠٠. وكذلك: الخربوطلي، أميرة محمد كامل، العلاقات المصرية التركية بين ١٩٥٢-١٩٧١، المصدر السابق، ص ١٥.

(١٥٥) زلوم، عبدالقديم، المصدر السابق، ص ٢٧-٢٨.

بتقديم الاقتراح على إنشاء سكة الحديد، كل ذلك قد أدى إلى خسارة العرب المالية الكبيرة للقوافل التجارية العربية»[١٥٦].

وكتب James Finn القنصل البريطاني في القدس في مذكراته، وذلك في المدة الواقعة بين ١٨٤٠ ـ ١٨٥٠، جاء فيها: «أخذت الغالبية العظمى من الشعب العربي تكن العداء للأتراك، حيث أنهم اعتبروا الخليفة كمخادع، لأن الأخير استخدم لقب الخليفـة لأغـراضه الشخصية، بهذا يكون من وجهة نظر العرب بأنه خان الأمانة الملقاة على عاتقه. إذ أن الخليفة استخدم الإسلام بغية ربط ولاء العرب لسلطته السياسية الزمنية، لأن هذا العامل يعتبر من الروابط المهمة أكثر من أي عامل آخر»[١٥٧].

إن ظاهرة معارضة السلطة السياسية للحكم العثماني من قبل العرب، قد برزت إلى الوجود في كتابات بعض الكُتاب في تلك الحقبة الزمنية، وخير مثال على ذلك، كتابات نجيب عازوري[١٥٨] وذلك في عام ١٩٠٥، حيث طالب عازوري في هذه الكتابات باستقلال الوطن العربي عن السلطة العثمانية، وإعادة الخلافة إلى شخص

---

(١٥٦) Kedouric, Elie, England and the Middle East, the Destruction of Ottoman Empire, 1914–1956, London, 1956, p. 48.

(١٥٧) Ma'oz, Moshe, op. cit., p.371.

(١٥٨) وكان نجيب عازوري لبنانياً مارونياً، وقد خدم في القدس كإداري لحقبة من الزمن حتى إبعاده إلى باريس، وقد أسس عازوري مع مجموعة من زملائه منظمة رابطة الوطن العربي والتي تأسست في باريس. وقد سمح لعازوري بالرجوع إلى فلسطين بعد الثورة الدستورية في تركيا وذلك في عام ١٩٠٨ وقد كان لكتاباته التأثير الكبير في الفلسطينيين في تلك الحقبة. وفي هذا الصدد كتب قائلاً: «إن التوسع اليهودي في تركيا الآسيوية سوف يؤدي في نهاية المطاف إلى ضعف حركة القومية العربية، ومحاولة اليهودية لاستعادة المملكة القديمة لإسرائيل». راجع في هذا الصدد:

عربي ينتمي إلى نسب قريشي[١٥٩].

وعلى الرغم من أهمية كتابات عازوري، في هذه الحقبة، إلا أنها لم يكن لها طابع شعبي قبل عام ١٩٠٨. وحتى في هذه الحقبة الزمنية لم تكن هناك إلا تظاهرة قليلة للإتجاهات الفكرية عند الشعب العربي[١٦٠].

وقـد كتب في هذا المجـال علي أكرم بك متصرف القدس قائلاً: «إن روح القومية بدأت تظهر عند العرب، حيث وجدت هذه الفكرة عندهم بسرية تامة. وفي الحقيقة أن الصحافة تؤكد على ظهور مثل هذه الفكرة في سوريا»[١٦١].

وكتب علي أكرم بك في مجال آخر قائلاً: «يعتبر مفهوم الحرية واستخداماته الخاطئة من وجه نظري هو السبب الحقيقي الذي قاد إلى ظهور القومية عند الشعب العربي. ويجب أن نعترف في هذا المجال أنه لم تمنح الحرية التامة لهؤلاء العرب للتعبير عن ارائهم السياسية، كل ذلك قد أدى إلى إهمال تعليم الشعب العربي في القدس والمنطقة السورية، علاوة على ذلك فإن الولاة كانوا يختارون من بين الأتراك وليس من بين العرب. وهذه الأسباب كفيلة في بلورة الفكر القومي عندهم»[١٦٢].

لم يقتصر رجالات العرب التعبير عن آرائهم السياسية والفكرية فحسب، بل حاولـوا التحرك في مجال آخر، الا وهو مقاومة الحركة الصهيونية، وشرح أبعادها الخطيرة، وقد كانت لكتابات شكري العسكري التأثير الواضح في الحكومة العثمانية حيث قام العسكـري بشـرح أبعاد الحركة الصهيونية وتأثيرها في العلاقات العربية العثمانية بعد قيام انقلاب ٢٧ نيسان ١٩٠٩. كما لعب بعض رجالات العرب دوراً

Ibid.,

(١٥٩) Ibid., pp. 371–376.

(١٦٠) Ibid., pp. 371–372.

(١٦١) Ibid., pp. 372.

(١٦٢) Ibid., pp. 372–373.

بارزاً في شرح أبعاد الحركة الصهيونية في مجلس المبعوثان العثماني أمثال: السيد الحسيني، وروحي الخالدي وذلك في المدة الواقعة بين ١٩٠٨ ـ ١٩١٢. وقد علق أحد المرشحين العرب في مجلس المبعوثان العثماني وهو رجب النشاشيبي وذلك في عام ١٩١٤ قائلاً: «فيما إذا انتخبت في مجلس المبعوثان العثماني، سوف أحاول أن أكرس جهودي لمقاومة الخطر الصهيوني». أما السيد الحسيني فقد قطع العهد على نفسه بأن يقوم بجهود كبيرة عند السلطان العثماني ضد بيع الأراضي لليهود[١٦٣].

ونتيجة لتأثير كتابات هؤلاء، وسياسة التتريك التي اتبعتها الحكومة العثمانية في عهد الاتحاد والترقي، حاول زعماء العرب أمثال الشريف حسين بن علي الاتصال مع الانكليز، وقد بدأت هذه الاتصالات منذ أن كان الشريف حسين موجوداً في القسطنطينية حيث دخل في علاقات وثيقة مع السفير البريطاني في القسطنطينية. وقد دفع العرب الشيء الكثير نتيجة لذلك، حيث نكث الانكليز بوعودهم. ويقول لورنس في هذا الصدد: «إن بريطانيا لم تف بوعودها إزاء العرب، حيث قمنا على استغلال العاطفة العربية وهي حبهم وتلهفهم للحرية من أجل انتصار بريطانيا»[١٦٤].

وفيما يتعلق بإستقلال العرب، نرى أن الاتحاديين قد انقسموا إلى ثلاثة أقسام[١٦٥]:

---

(١٦٣) Ibid., pp. 376–377.

(١٦٤) يقصد لورنس بذلك اتفاقية سايكس بيكو التي أدت إلى تقسيم الدولة العثمانية. وفي هذا الصدد يقول لورنس: «قرأ جمال باشا البنود السرية لهذا الاتفاق في حفل عام دعا إليه في بيروت، وبذلك سبب الكثير من المتاعب ولو إلى حين في وجه بريطانيا وفرنسا اللتين أرادتا إخفاء نواياهما الحقيقية بشأن استقلال البلاد العربية عن الأتراك». راجع في هذا الصدد: لورنس ت.أ. أعمدة الحكمة السبعة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩، ص ٣٥٤.

(١٦٥) برو، توفيق علي، المصدر السابق، ص ص ٥٩٠-٥٩١.

١ـ قال فريق من هؤلاء باستقلال العرب في السياسة الداخلية ضمن دولة طورانية، وعلى رأس هؤلاء أنور باشا وجاويد بك.

٢ـ يؤكد الفريق الثاني على سياسة تتريك العرب وعلى رأس هؤلاء جمال باشا.

٣ـ أما الفريق الأخير، فإنه يؤكد على التساهل مع العرب، ومنحهم نوعاً من اللامركزية في الحكم وعلى رأسهم طلعت بك.

وقد استغلت الصهيونية الخلافات التي وقعت بين الاتحاديين والعرب، حيث حاولت الاتصال مع بعض القيادات العربية، أبان العهد العثماني، إذ تمت لقاءات بين وايزمن والأمير فيصل بناء على طلب الحكومة البريطانية وذلك في حزيران عام ١٩١٨، حيث أكد وايزمن لفيصل بأنه لم يكن في نية الصهيونيين العمل على إقامة حكومة يهودية في فلسطين. وأن غايتهم القصوى هي تنمية موارد البلاد ما دام ذلك لا يمس حقوق العرب المشروعة. فتولد الاعتقاد في نفس فيصل بنتيجة هذه التأكيدات كلها، بأن أماني الصهيونيين نفسها وسياسة الحكومة البريطانية الموجهة لتحقيقها لا تحوي في طياتها ما يتعارض مع حريات العرب السياسية والاقتصادية في فلسطين. ومن هنا تطورت الفكرة بالتدريج في ذهن فيصل حتى تحولت إلى عقيدة ثابتة بإمكان التعاون بين العرب واليهود في فلسطين[١٦٦].

---

(١٦٦) وتجدر الإشارة هنا، أنه قد انضم إلى صفوف لجنة الاتحاد والترقي بعض رجالات العرب، ويجب أن نؤكد في هذا المجال أن عزيز المصري كان ممن انضم إلى الاتحاد والترقي في الحقبة الأولى من تأسيسها ظناً منه، ومن آخرين من أبناء العرب أن الجمعية ـ ان هي تمكنت من الحكم ـ ستقيم نظاماً صالحاً تنال به قوميات الدولة حقوقها القومية، ولكنه سرعان ما انقلب ورفاقه عليها حالما تبينت له النوايا الحقيقية لرجالها الرامية لتفضيل العنصر التركي على سائر العناصر، وأسسوا الجمعيات المضادة لها. للمزيد من التفاصيل راجع: الخربوطلي، أميرة محمد كامل، العلاقات المصرية التركية بين ١٩٥٢ ـ ١٩٧١، المصدر السابق، ص ١٣. وكذلك مجلة الأراضي المقدسة، الجزء الحادي والعشرون، مطبعة المكتبة الهاشمية، (بلا) ص ٥٠٢. وأيضاً: أنطونيوس، جورج المصدر السابق، ص ص =

وقد ذكر هذه المسألة نافون رئيس الكيان الصهيوني أثناء وجود أنور السادات في الأرض المحتلة في الكلمة التي ألقاها في ٢٧ أيار ١٩٧٩، وكان هدف نافون من ذلك، هو إسباغ الصفة الشرعية للكيان الصهيوني، وتمويه الرأي العام العالمي بصدد تعاون بعض القيادات العربية مع الحركة الصهيونية، وهذه الدبلوماسية اتبعتها الصهيونية قبل الحرب العالمية الثانية. وقد جاء في كلمته: «وليس بالماضي البعيد فحسب، وإنما قبل ستين سنة، مع تداعي الإمبراطورية العثمانية، اعتبر قادة حركة الوطنية العربية واليهودية حركتيهما تكمل الواحدة الأخرى، وتعاونوا على هذا الأساس. وفي سنة ١٩١٩ وقع حاييم وايزمن مع الأمير فيصل بن الحسين أمير الحجاز على اتفاقية التعاون المذكورة من أجل تحقيق أهداف الجانبين في الاستقلال الوطني(١٦٧). وفي الرسالة التي بعث بها الأمير فيصل إلى أحد رؤساء

= ٣٩٥ - ٣٩٦.

وقد أسس عزيز المصري فيما بعد وفي مطلع عام ١٩١٤ الجمعية السرية المعروفة بجمعية العهد التي كانت بالدرجة الأولى جمعية للضباط العرب. ألقى الأتراك القبض عليه وحكم بالإعدام ولكن عفي عنه وأطلق سراحه بعد توسط السفير البريطاني السير لويس ماليه، ثم سافر إلى مصر وأقام بها. راجع: زين، نورالدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، المصدر نفسه، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(١٦٧) ادعت الحركة الصهيونية بأن الأمير فيصل بن الحسين، قد بعث هذه الرسالة إلى فرانكفورتر أحد رؤساء الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة في ٣ آذار ١٩١٩، وقد نشرت مجلة اليهود هذا الخبر. راجع: مذكرات رستم حيدر، المصدر نفسه، ص ٢٨١. قارن مع: تايلر، الن، المصدر نفسه، ص ٤٩.

وكان فرنكفورتر عضو الوفد الصهيوني إلى مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس، وقاضياً في المحكمة العليا، وأستاذاً في جامعة هارفرد. وقد جاء في قسم من هذه الرسالة المزعومة ما يأتي: «إن الحركة العربية واليهودية تكمل الواحدة الأخرى، وإن الحركة اليهودية هي حركة قومية وليست إمبريالية، وفي الحقيقة إني أعتقد بأن إحدى الحركتين لا يمكن نجاحها بدون الأخرى». راجع في هذا الصدد:

Weizman, op. cit., pp. 307-308; 0. Freedman, Robert, op. cit., pp. 7-8.

الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة، جاء قوله: «نحن نعتقد أن العرب واليهود هم أبناء عمومة أصلاً وعانوا معاً من قمع مماثل على أيدي قوات أكبر منهم، وبتوافق ظروف إيجابية نجحوا في القيام معاً بخطوات أولية لتحقيق أهدافهم الوطنية، ونحن العرب ولا سيما المثقفين من بيننا ننظر للحركة الصهيونية نظرة تعاطف عميقة، منذ أن قدم الدكتور وايزمن مساعدة كبيرة لقضيتنا، وآمل أن يصبح العرب قريباً في وضع يمكنهم من رد بعض الجميل لليهود»(١٦٨).

نستنتج من كلمة نافون رئيس الكيان الصهيوني ملاحظتين، الأولى تتعلق بالاتفاقية المزعومة بين الأمير فيصل ووايزمن، والثانية تخص الرسالة التي قيل عنها إنها بعثت من قبل فيصل إلى أحد زعماء الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة.

فيما يتعلق بالملاحظة الأولى، يقال أن بريطانيا هيأت اللقاء بين فيصل ووايزمن في معسكر الأمير فيصل في الغويرة الواقعة بين العقبة ومعان في ٤ حزيران عام ١٩١٨(١٦٩). وقد أثيرت مناقشات عديدة حول صحة هذه الاتفاقية، وحول ما إذا كان فيصل وقعها أم لا؟ وأثيرت بعد أن قام وايزمان بنشر هذه الاتفاقية في صحيفة Times اللندنية وفي Palastine Post في حزيران عام ١٩٣٦(١٧٠).

= يقول وايزمن في مذكراته: «كان من نتائج المقابلة التي جرت بين الأمير فيصل وبين فيلكس فرانكفورت بحضور لورنس، صديق العرب، أن أرسل في اليوم التالي للمقابلة الرسالة السابقة». راجع: مذكرات وايزمن، المصدر نفسه، ص ٧١.

(١٦٨) الأهرام، العدد ٣٢٧٧٢، ٢٨ آيار ١٩٧٩.

(١٦٩) يقول وايزمن في مذكراته: «أعرب فيصل عن رغبته المخلصة في أن يرى العرب واليهود يتعاونون في مؤتمر السلام وأن مستقبل الشعبين مرتبط بالشرق الأوسط، وأن واجب الشعبين الاستعانة بصداقة الدول الكبرى». راجع: مذكرات وايزمن، المصدر نفسه، ص ٦٦.

(١٧٠) قاسمية، خيرية، الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨ - ١٩٢٠، المصدر نفسه، ص ٤٣، ٩٠.

وقد حاولنا أن نرجع في هذا الصدد إلى مذكرات عوني عبدالهادي[١٧١] فيما يتعلق بالاتفاقية المزعومة، والرسالة التي قيل عنها أن فيصلا قد بعثها إلى فرانكفورتر. حيث يؤكد عوني عبدالهادي بأنه هو وأعضاء الوفد إلى مؤتمر السلم في باريس، لم يشترك أحد منهم بالمحادثات التي جرت بين فيصل ووايزمن على الرغم من وجودهم جميعاً في فندق كارلتون، حيث تم الاجتماع بينهما، وما تمخض عن قيام فيصل بإبرام اتفاقية مع وايزمن، دون أن يعرف محتوياتها. ويذكر الصحفي البريطاني Jeffries في كتابه «حقيقة فلسطين» أنه قد حصل على ترجمة موثوق بها من شرط فيصل بين أوراق الأخير الشخصية.

وقد أخبر فيصل الصحفي Jeffries من أن هوغارت[١٧٢] ووايزمن ولورنس قد أكدوا له عدم عزم اليهود على إقامة دولة مستقلة في فلسطين، وأن الهدف من ذلك هو رفاهية فلسطين دون أن يؤثر ذلك على المصالح المشروعة للعرب[١٧٣].

---

(١٧١) تلقى عوني عبدالهادي دراسته الأولى في مدينة نابلس، ثم انتقل بعدها ليدخل المدرسة الملكية، وبعد عام ١٩٠٨ تابع دراسة الحقوق في باريس، حيث أعدّ دوراً بارزاً مع بداية التغطية العربية الحديثة، إذ كان من المؤسسين الأوائل لجمعية عربية الفتاة في باريس عام ١٩١١، وكان أحد أعضاء اللجنة التي دعت لمؤتمر باريس العربي عام ١٩١٣. راجع: عوني عبدالهادي - أوراق خاصة - إعداد الدكتورة خيرية قاسمية، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧٤، ص ٩.

(١٧٢) كان هوغارت من رؤساء المكتب العربي في القاهرة، ومن الذين رافقوا الثورة العربية في تطورها، وهو في الأصل مستشرق ومن أساتذة جامعة إكسفورد. وقد تجول في المنطقة العربية أكثر من ربع قرن، حيث أخذ يدرس التاريخ العربي في جامعة اكسفورد. راجع: سعيد، أمين دار الكتاب العربي، (بلا)، ص ١٩٧ وكذلك: صايغ، أنيس، الهاشميون والثورة العربية الكبرى، منشورات دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٦ ص ١٣٦.

(١٧٣) قاسمية، خيرية، الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨-١٩٢٠، المصدر السابق، ص ٨٩.

وفي هذا الصدد يقول عوني عبدالهادي في مذكراته: «لعب لورنس[١٧٤] مع فيصل دوراً مشينا يوم أن خدعه بتوقيع الاتفاقية المعروفة بـ «اتفاقية فيصل - وايزمن» والموقعة في الأصل في ٣ يناير. والحقيقة كتبت هذه الاتفاقية بعد هذا التاريخ بدليل أن تاريخ الشرط الذي كتبه فيصل في الفراغ الذي يقع مباشرة بعد البند الأخير من الاتفاقية يقع في ٤ كانون الثاني (يناير).»[١٧٥].

ويردف عوني عبدالهادي قائلاً: «كانت دهشتنا كبيرة نحن أعضاء وفد سموه حين أعلمنا أنه وقع مع حاييم وايزمن الصهيوني المعروف اتفاقية كتبها لورنس بخط يده بالانكليزية. ولما شاهد سموه في وجوهنا علامات الدهشة لتوقيعه مثل هذه الإتفاقية التي كتبها أجنبي لصالح أجنبي باللغة الانكليزية التي لا يعرف سموه حينذاك كلمة منها، قال سموه أنه لمن حقكم أن تدهشوا لتوقيعي مثل هذه الإتفاقية المكتوبة باللغة الإنكليزية، ولكن اؤكد أن دهشتكم ستزول حين تعلمون إني لم أوقع هذه الاتفاقية قبل أن أشترطت خطياً موافقتي عليها في حالة موافقة الحكومة البريطانية على المذكرة التي سبق أن قدمتها إلى وزارة الخارجية والتي تحتوي على طلب استقلال البلاد العربية موحدة في آسيا. اعتبارا من الخط الممتد شمال الاسكندرون - ديار بكر حتى سواحل المحيط الهندي جنوباً، وفلسطين كما تعلمون تدخل في هذه الحدود. وأكدت في هذه الاتفاقية قبل توقيعها بخط يدي إني غير مسؤول عن تنفيذ ما ورد في هذه الاتفاقية فيما إذا عدل في هذه المذكرة أي شيء ورد فيها»[١٧٦].

ويعلق عبدالهادي في مذكراته قائلاً: «كان فيصل حاد الذكاء واسع الفطنة وكان سياسياً بالفطرة، وإن لم يكن قد برع في المناورات السياسية، .ولم يكن قد تعرف

---

(١٧٤) يقول وايزمن عن لورنس: «وكان موقف لورنس من الصهيونية موقفاً ايجابياً لاشك فيه. لقد كان من الخطأ البالغ أن الكثيرين تصوروا لورنس عدواً للصهيونية بحكم أنه كان صديقاً للعرب». راجع: مذكرات وايزمن، المصدر نفسه، ص ٦٧.

(١٧٥) عوني عبدالهادي - أوراق خاصة - المرجع نفسه، ص ٢٣.

(١٧٦) المصدر السابق، ص ص ٢٣ - ٢٤.

على كثير من الزعماء السياسيين، وكانت تجاربه في المسائل السياسية وخاصة ما يتعلق منها بسياسة الغرب محدودة حتى ذلك الحين، كما أن زيارته لأوربا في أواخر عام ١٩١٨ كانت الأولى من نوعها. وهذا كله جدير بالنظر حينما نرى سموه يقدم على توقيع إتفاقية كتبها أجنبي بلغة أجنبية دون أن يطلب ترجمة لها باللغة العربية. ومن المسلم به أنه ليس من الجائز أن يحاكم شخص على قول أو عمل قبل ملاحظة الظروف التي كان يعيش فيها ذلك الشخص، ومن المعلوم أن الظروف كانت قاسية، فرنسا قابلته بشيء كبير من الفتور، إن لم يكن من العداء، ولم يكن هناك الا الحكومة البريطانية التي تعنى بأمور الشرق. جاء فيصل لأوربا ـ كما سبق أن قلنا ـ في أواخر عام ١٩١٨، ولم يكن يعرف شيئاً عن سياستها ورجالها السياسيين، وكل ما يعرفه حينذاك أن والده الشريف حسين خاض الحرب مع الحلفاء لتخليص البلاد العربية من الحكم التركي، وأن والده أرسله إلى باريس لتمثيله في مؤتمر السلم الذي سيعقد فيها».(١٧٧)

وفي اعتقادنا، أنه مهما أثير من مناقشات حول صحة هذه الاتفاقية وعدم صحتها(١٧٨)، فإن هناك حقيقة واحدة، هي أنه تمت في هذه الحقبة لقاءات بين

---

(١٧٧) المصدر السابق ص ٢٤ وفي صدد تقويم وايزمن لفيصل، يقول وايزمن: «ومن الانصاف أن أذكر هنا، حين اتفق معنا على التعاون وقبل دخولنا مؤتمر الصلح، علق تنفيذ اتفاقه معنا على شرط واحد إلا أنه عظيم، وهو وجوب موافقة بريطانيا على مذكرته التي قدمها إلى وزارة الخارجية بتاريخ ١٩١٩/١/٤ وهي التي يطالب فيها بوحدة البلاد العربية واستقلالها كلها. وقال فيصل كذلك أنه إذا لم توافق بريطانيا على ذلك الشرط فإنه يصبح في حل من تنفيذ اتفاقه. ومهما يكن من أمر فيصل والعرب وتعاونهم معنا، فلقد تأكد اليهود من الأيام الأولى لمؤتمر الصلح، أنهم قد ربحوا قضيتهم بالعرب وغير العرب». راجع: مذكرات وايزمن، المصدر نفسه، ص ٧٢.

(١٧٨) تجدر الإشارة هنا، أن المهتمين بهذه المسألة قد ناقشوها في مجلة آفاق عربية في العدد العاشر ـ حزيران ١٩٧٧ والعدد الخامس، كانون الثاني ١٩٧٨.

وتنص هذه الاتفاقية المزعومة والمبرمة في ٣ كانون الثاني ١٩١٩ ما يلي: إن صاحب =

= السمو الملكي الأمير فيصل ممثل المملكة العربية الحجازية والقائم بالعمل نيابة عنها والدكتور حاييم وايزمن ممثل المنظمة الصهيونية والقائم بالعمل نيابة عنها يدركان القرابة الجنسية والصلات القديمة القائمة بين العرب والشعب اليهودي ويتحققان أن أضمن الوسائل لبلوغ غاية أهدافهما الوطنية هو في اتخاذ أقصى ما يمكن من التعاون في سبيل تقدم الدولة العربية وفلسطين ولكونهما يرغبان في زيادة توطيد حسن التفاهم الذي يقوم بينهما فقد اتفقا على المواد التالية:

١ـ يجب أن يسود جميع علاقات والتزامات الدولة العربية وفلسطين أقصى النوايا الحسنة والتفاهم المخلص وللوصول إلى هذه الغاية تؤسس ويحتفظ بوكالات عربية ويهودية معتمدة حسب الأصول في بلد كل منهما.

٢ـ تحدد بعد إتمام مشاورات مؤتمر السلام مباشرة الحدود النهائية بين الدولة العربية وفلسطين من قبل لجنة يتفق على تعيينها من قبل الطرفين المتعاقدين.

٣ـ عند إنشاء دستور إدارة فلسطين تتخذ جميع الإجراءات التي من شأنها تقديم أوفى الضمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية المؤرخ في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٧.

٤ـ يجب أن تتخذ جميع الاجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مدى واسع والحث عليها وبأقصى ما يمكن من السرعة لاستقرار المهاجرين في الأرض عن طريق الاسكان الواسع والزراعة الكثيفة. ولدى اتخاذ مثل هذه الاجراءات يجب أن تحفظ حقوق الفلاحين والمزارعين المستأجرين العرب ويجب أن يساعدوا في سيرهم نحو التقدم الاقتصادي.

٥ـ يجب أن لا يسن نظام أو قانون يمنع أو يتدخل بأي طريقة ما في ممارسة الحرية الدينية ويجب أن يسمح على الدوام أيضاً بحرية ممارسة العقيدة الدينية والقيام بالعبادات دون تمييز أو تفضيل ويجب أن لا يطالب قط بشروط دينية لممارسة التقدم الاقتصادي لممارسي الحقوق المدنية والسياسية.

٦ـ ان الأماكن الإسلامية المقدسة يجب أن توضع تحت رقابة المسلمين.

٧ـ تقترح المنظمة الصهيونية أن ترسل إلى فلسطين لجنة من الخبراء لتقوم بدراسة الامكانيات الاقتصادية في البلاد وأن تقدم تقريراً عن أحسن الوسائل للنهوض بها وستضع المنظمة الصهيونية اللجنة المذكورة تحت تصرف الدولة العربية بقصد دراسة الامكانيات =

فيصل ووايزمن، وقد كان فيصل ينظر إلى اليهود بنظرة تتسم بالعطف حيث لم يكن على بينة تامة من الحركة الصهيونية ومخاطرها على الوطن العربي، كما أنه بالإمكان أن يكون فيصل قد وقع تحت تأثير السياسة البريطانية، ولا سيما أن علاقة فيصل كانت جيدة مع الإنكليز منذ أن كان والده في القسطنطينية، في الوقت الذي إذا عرفنا بأن بريطانيا كانت تقدم المساعدات لفيصل بغية نصر قضيته في المجال الدولي. علاوة على ذلك فإن فيصلا كان يعتمد إعتماداً كلياً في الترجمة على لورنس، ومن الممكن أن يكون الأخير قد لعب دوراً مهماً في سياسة فيصل.

أما فيما يتعلق بالرسالة المنسوبة إلى فيصل التي يقال أنه بعثها إلى فرانكفورتر أحد زعماء الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة في ٣ آذار عام ١٩١٩[١٧٩]،

= الاقتصادية في الدولة العربية وأن تقدم تقريراً عن أحسن الوسائل المنهوض بها وستستخدم المنظمة الصهيونية أقصى جهودها لمساعدة الدولة العربية بتزويدها بالوسائل لاستثمار الموارد الطبيعية والامكانيات الاقتصادية في البلاد.

٨- يوافق الفريقان المتعاقدان أن يعملا بالإتفاق والتفاهم التامين في جميع الأمور التي شملتها هذه الاتفاقية لدي مؤتمر الصلح.

٩- كل نزاع قد يثار بين الفريقين المتنازعين يجب أن يحال إلى الحكومة البريطانية للتحكيم.

وقد قدم فيصل تحفظاته عن الترجمة الانكليزية في الآتي: «يجب علي أن أوافق على المواد المذكورة أعلاه. بشرط أن يحصل العرب على إستقلالهم كما طلبت بمذكرتي المؤرخة في الرابع من شهر يناير سنة ١٩١٩ المرسلة إلى وزارة خارجية حكومة بريطانية العظمى.

ولكن إذا وقع أقل تعديل أو تحول (يقصد بما يتعلق بالمطالب الواردة بالمذكرة) فيجب أن لا أكون عندها مقيداً بأي كلمة وردت في هذه الاتفاقية التي يجب إعتبارها ملغاة لا شأن ولا قيمة قانونية لها ويجب أن لا أكون مسؤولاً بأية طريقة مهما كانت».

راجع: جمع وإعداد الدكتور سمير أيوب، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، مرحلة زرع المؤامرة، الجزء الثاني، آب ١٩١٤، ١٩٣٦/٤/١٩، ص ٥٣-٥٥.

(١٧٩) كان فارنكفورتر عضو الوفد الصهيوني الأمريكي إلى مؤتمر السلم في باريس وقاضياً في =

وجاءت هذه الرسالة نتيجة لاحتجاج قادة الحركة الصهيونية على تصريحات أطلقها فيصل إلى صحيفة Matin في آذار عام ١٩١٩، أكد فيها معارضته إنشاء وطن قومي لليهود، حيث طلب هؤلاء توضيحاً خطياً يعبر عن موقف فيصل تجاه الصهيونية، وجاء التوضيح على شكل رسالة[١٨٠].

= المحكمة العليا، وأستاذاً في جامعة هارفرد. وقد جاء في قسم آخر من هذه الرسالة المزعومة: «... إن الحركة العربية واليهودية تكمل الواحدة الأخرى، وإن الحركة اليهودية هي حركة قومية وليست إمبريالية، وهناك بيت لليهود والعرب على حد سواء، وفي الحقيقة إني أعتقد بأن إحدى الحركتين لا يمكن نجاحها بدون الأخرى». راجع:

Weizman, op. cit., pp. 307-308.

(١٨٠) قاسمية، خيرية، الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨ - ١٩٢٠، المصدر نفسه، ص ٩٢.

يقول رستم حيدر في مذكراته: «مخابر الماتان يريد أن يكتب مقالة يبين فيها أراء المسلمين والمسيحيين والإسرائيليين في القدس. وقد قال له الأمير أن الأمة اليهودية يمكنها أن تؤدي إلى فلسطين التي هي مركز لديانة أبنائها، ولكن الأكثرية عرب، ويجب أن يكون الحكم تبعاً لمنفعة الأكثرية، غير أن الأساس يجب أن يبنى على المساواة».

راجع: مذكرات رستم حيدر، تحقيق نجدة فتحي صفوت، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٦٩.

ولكن جريدة الماتان نشرت في اليوم التالي تصريح فيصل الذي جاء فيه: « يسرنا بحكم الإنسانية والمروءة أن نرى اليهود القاعسين يهاجرون إلى فلسطين فيقيمون فيها على الرحب، عاملين بمقتضى الواجبات الوطنية، على شرط أن يكونوا تحت سلطة إسلامية أو تحت سلطة مسيحية تتلقى وكالتها من قبل عصبة الأمم».

وفي هذا المجال يقول رستم حيدر: «أثار هذا التصريح ثائرة اليهود الذين عدوه معادياً لهم بصراحة، وقيل أنهم سارعوا إلى الإتصال بلورنس، فقام بترتيب إجتماع بين فيصل وفيليكس فرنكفورتر (١٨٨٢-١٩٦٥). وفي هذا الإجتماع تم الإتفاق على أن يتبادل فيصل وفرنكفورتر رسالتين تتضمنان فحوى ما دار بينهما من حديث، وأن لورنس كتب الرسالة التي سيوجهها لورنس، فأرسلت بتوقيعه بتاريخ ١٩١٩/٣/٣. » راجع: المصدر نفسه. ص ٢٨٣.

إن موضوع هذه الرسالة قد أثير أمام لجنة «شو» سنة ١٩٢٩، أي بعد تاريخ الرسالة بعشر سنوات، حيث قام المحامي الصهيوني السرلويد زيمان بإبرازها في إحدى جلسات اللجنة التي كانت مفاجأة كبيرة للعرب، فأثير موضوعها من جديد.(١٨١) ونتيجة لذلك فقد أرسلت رسائل وبرقيات من قبل الجانب العربي إلى بغداد تستوضح الملك فيصل عن مدى صحتها، وقد أوضح الجانب العربي في البرقية التي أرسلها رستم حيدر السكرتير الخاص للملك، حيث جاء فيها: «بأن جلالته لا يتذكر بأنه قد وقعها»(١٨٢).

وإذا رجعنا ثانية إلى مذكرات عوني عبدالهادي فيما يتعلق بهذه الرسالة المزعومة، نرى أن عبدالهادي ينفي ذلك، ويدحض زعم وايزمان أن سكرتير فيصل (أي عوني عبدالهادي) قد أنكر حينذاك المقابلة بشدة، وأنه قد تمت الترتيبات لعقد اجتماع مع الأمير فيصل وفيلكس فرانكفورتر ولورنس، وأن فيصلاً بعد أيام أرسل إلى فرانكفورتر الرسالة المذكورة أعلاه(١٨٣).

ويقدم عوني عبدالهادي في مذكراته عدة قرائن لدحض هذه الرسالة ويعتبرها: «... من جملة الادعاءات الكاذبة التي أذاعها على الناس حاييم وايزمن ولورنس، ليضللوا الرأي العام فيها، وهذه بعض الدلائل على عدم صحة هذه الرسالة(١٨٤):

---

(١٨١) المصدر نفسه، ص ٢٨٣.

(١٨٢) وقد ناقش هذا الموضوع، السيد أمين المميز في مجلة آفاق عربية، حيث فند هذه الرسالة، مؤكداً أن الملك فيصل كان يوقع اسمه الكامل «فيصل بن الحسين» بينما جاء توقيع هذه الرسالة بكلمة فيصل. راجع: المميز، أمين، «عود إلى اتفاقية فيصل ـ وايزمن»، آفاق عربية، عدد: ٥، كانون الثاني، ١٩٧٨، ص ١٧

(١٨٣) المصدر السابق، ص ٢٥.

(١٨٤) المصدر السابق، ص ٢٥.

ويقول في هذا المجال الكاتب اليهودي موشي مناحيم في مقاله تحت عنوان «الصهيونية كما أراها»: «..وقد وافق فيصل (الذي أصبح فيما بعد ملكاً على سورية وشرق =

= الأردن) على كل الموضوع بشوق وكتب بشكل ساذج وبريء رسالة مؤثرة إلى السيد فيليكس فرانكفورتر (الذي أصبح فيما بعد كبير القضاة في المحكمة العليا الأمريكية في واشنطن الذي كان يمثل لويس د. برانديس كبير القضاة الاتحاديين وهذا الأخير هو الرئيس السابق للحركة الصهيونية في الولايات المتحدة غير أنه طرد منها بسبب آرائه الصهيونية الاقتصادية والإنسانية الخاصة والمعارضة لفكر المنظمة الصهيونية.

إن فيصلاً لم يضع في حسابه بأن وراء وعد بلفور يكمن داء الايديولوجية العنصرية (لشعب الله المختار) وانعزالية اليهود. كما أن عقله لم يكن قادراً على تصور أن ٦٥ ألف يهودي فلسطيني في ذلك الوقت كانوا يمتلكون فقط ٢٪ من أراضي البلد وكانوا عاطلين عن العمل ولم يستطيعوا إعالة أنفسهم بأنفسهم وعاشوا عيشة تسول باستثناء أفراد قلائل سيزداد عددهم إلى مئات الألوف بفضل أفعال هتلر، وأن حماسهم الذي تمثل بصورة كبيرة في الحصول على أراضي أكثر للعيش فيها. أما العرب فقد احتاجوا وقتاً طويلاً كي يكشفوا المخططات السرية القذرة جداً وغير الشريفة التي وضعها الانكليز والذي وضعها الإنكليز والفرنسيون الإمبرياليون الاستعماريون في ذلك الوقت. وهم الذين يدعون بأنهم يقذفون بأبنائهم طعمة (للمدافع) لتحويل العالم إلى عالم ديمقراطي.

ولكن بعد أن أرسل فيصل رسالة إلى فيليكس فرانكفورتر بأيام قليلة أدرك العالم بفزع وغضب الاحتيال على العرب وعدم التقيد بكل الوعود السابقة للإنكليز التي قطعوها للعرب حول الاستقلال الكلي والناجز لكل سوريا ـ كانت فلسطين جزءاً مهماً من سورية تعرف آنذاك بسوريا الكبرى وداخلة ضمن الامبراطورية العثمانية مكافأة منهم للعرب لقاء مساعدتهم انكلترا في الحرب التركية ... راجع:

National Zeitung

الصادرة في مدينة ميونيخ الألمانية، سلسلة مقالات: «الصهيونية كما أراها» بقلم الكاتب اليهودي موشي مناحيم.

وفي بغداد نشرت جريدة البلاد مقاطع من الرسالة في عددها الصادر في ٢٣ كانون الثاني ١٩٣٠، وقد جاء في مقدمة الجريدة: «... ونظراً إلى ما كان لهذه الدعوى من الضجة في المحافل الصهيونية والعربية في الشرق وفي الغرب، بحثنا كثيراً عن هذا الكتاب الخطير فعثرنا على نصه المزعوم باللغة الإنكليزية ... ونحن نشك في حقيقة هذا =

١- لم يترام إلى علمي أن مقابلة قد تمت في ذلك التاريخ بين سمو الأمير فيصل وبين الدكتور حاييم وايزمن والمستر فيلكس فرانكفورتر ولورنس، كما أنني لم أشهد بوصفي سكرتيراً للأمير فيصل اجتماعاً من هذا النوع.

= الكتاب».

وبعد ثلاثة أيام نشرت الجريدة نفسها كتاباً تلقته من رئاسة ديوان الملك فيصل هذا نصه: «وبعد فقد وقع نظر صاحب الجلالة على الكتاب المنشور في جريدتكم (البلاد) عدد ٦٤ المؤرخ في ٢٣ كانون الثاني ١٩٣٠ فأسف جداً لتصدي بعض الجماعات إلى إتخاذ مثل هذه الأمور وسيلة لتدبير مقاصدهم. إن صاحب الجلالة يستغرب كل الاستغراب أن يسند إليه ما لم يخطر على باله قط من اشراك أمة أجنبية بقطر عربي، وإعتبار بعض الأجانب المنتشرين في أطراف العالم والمتجنسين بجنسيات مختلفة كشعب مجاور، ويعتقد بأن التذرع بمثل هذه الوسائل لا يولد سوى النفور المتزايد».

راجع: المصدر نفسه، ص ٢٨٣.

ويعلق الدكتور أنيس صايغ على الموضوع قائلاً: «لكن فيصلاً لم يقل لماذا سكت عن الموضوع عشر سنوات كاملة، ولم يقل أنه لم يكتب الرسالة أو لم يطلع عليها، بل قال أنه لا يتذكر أنه فعل ذلك ولم يتبرأ من محتوياتها في يوم من الأيام».

أما سليمان موسى، فيقول في هذا المجال: «إذا كان فيصل قد وقع هذه الرسالة بالفعل فإننا لا نعلم الحجج التي ساقها لورنس لاقناعه بتوقيعها. وقد يكون سر ذلك قد دفن مع لورنس إلى الأبد». راجع: المصدر السابق، ص ٢٨٤.

يعلق رستم حيدر في مذكراته على هذه الرسالة قائلاً: «نشرت مجلة اليهود كتاباً للأمير أرسله إلى فرانكفورتر يتقرب به من اليهود ويريهم إخلاصاً زائداً حتى أنه يقول أن مدّعيات زعماء الصهيونية في المؤتمر معتدلة للغاية، أين هو الاعتدال وهم يطلبون البلاد لأنفسهم. يظهر أن الكتاب كتبه لورنس بيده وليس لنا علم به: إني أخاف على هذه المملكة من سياسة لورنس اليهودية، ولكن ما العمل، الأمير يتوهم من الصهيونية وقوتهم. نعم هم أقوياء، كل الرجال الكبار معهم. كان يجب على المسيحية القوية أيضاً أن تقاومهم، ولكن لماذا نراها ساكتة، حتى إن المطبوعات لا تتجرأ كثيراً على الهجوم على الصهيونية في فرنسا، لكنها تهجم على الأمير والمسلمين ...! ويل للضعيف!»، المصدر نفسه، ص ٢٨١- ٢٨٢

٢- غير صحيح أني أنكرت بوصفي سكرتير الأمير فيصل حينذاك المقابلة الصحفية بين رئيس تحرير جريدة الماتن وبين سموه.

٣- لو صح ما يدعيه الدكتور وايزمن عن هذه المقابلة الصحفية، وإنكار سموه لها فلماذا لم يطلب من سموه تكذيب هذه المقابلة من جريدة الماتن ليطلع جميع الناس على الحقيقة بدلاً من هذه الرسالة المزعومة، وإني أعتقد أن هذه الرسالة على فرض صحتها كتبها لورنس بالاتفاق مع وايزمن وفرانكفورتر، وأن لورنس وقعها بإمضائه عن فيصل باللغة الانكليزية.

وفي هذا المجال، لا بد أن نؤكد أن لورنس لعب دوراً مهماً في السياسة العربية ولا سيما أنه كان مستشاراً وصديقاً لفيصل، وقد ثبت ضرره في القضية العربية، حيث أن لورنس كان يخدم الفكر الصهيوني بشكل خاص[185] وينكر أهلية العرب للوحدة وجدارتهم بالاستقلال التام. وعلى الرغم من ذلك فإن فيصلاً إعتمد عليه إعتماداً كلياً في محادثاته ومفاوضاته مع مندوبي الدول، حيث كان لورنس يكتب لفيصل خطبه ومذكراته[186]، كل ذلك قد أدى إلى وقوع أخطاء كبيرة في

---

(١٨٥) صرح لورنس لرجال الصحافة في أواخرشهر تشرين الثاني عام ١٩١٩، قائلاً: «إني أؤيد الصهيونية، إني أعتبر اليهود النقلة الطبيعيين للخميرة الغربية الضرورية جداً لدول الشرق الأدنى». راجع في هذا الصدد: صايغ، أنيس، المصدر السابق، ص ١٨٩.

(١٨٦) صايغ، أنيس المصدر السابق، ص ١٣٦.

تجدر الإشارة في هذا المجال، أن التاريخ الذي تحمله الرسالة كان رستم إلى جانب فيصل، والعضو الثاني في المؤتمر الحجازي إلى مؤتمر السلم وهو يستغرب ما جاء فيها على أثر إطلاعه عليها في المجلة اليهودية. فهل كانت الرسالة منحوله، أو أن فيصلاً أخفى أمرها عن أقرب أعوانه ومستشاريه العرب ـ وهما رستم حيدر وعوني عبدالهادي وهو إذا فعل ذلك، ألم يتوقع نشرها من قبل اليهود يوماً ما؟ ومن يدري فقد يظهر في المستقبل دليل جديد، فيقطع الشك باليقين في أمر هذه الرسالة.

راجع: مذكرات رستم حيدر، المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

سياسة فيصل الداخلية والخارجية.

ويعلق عوني عبدالهادي على لورنس قائلاً: «لقد كان لورنس يلعب على الحبلين، كان يتظاهر للعرب بأنه عربي صميم، وإنه الصديق الحميم للعرب، فيما كان يعمل لمصلحة العرب مرة، ويعمل لمصلحة اليهود مرة أخرى، ولورنس هو انجليزي وليس عربياً أو يهودياً. وليس من يجهل الدور الذي لعبه في إقناع سمو الأمير فيصل بتوقيع الإتفاقية المعروفة باتفاقية فيصل - وايزمن»[١٨٧].

ويردف عبدالهادي قائلاً: «ولا شك في أن لورنس لعب دوراً هاماً وأبدى كثيراً من الحنكة والدهاء في قيامه بهذا الدور الأخير، كما لعب دوراً أهم في مساعدة الصهيونيين، إذ كان يعطف عطفاً أكيداً على الصهيونية وأهدافها رغم كل ما قيل عن ميله للعرب، لأنه كان انجليزياً أولاً وقبل كل شيء، وكان يضع نصب عينيه خدمة المصالح البريطانية. وجرى لورنس في هذا الميدان على سياستين متناقضتين الأولى أنه سار مع العرب، أي مع فيصل إذا أحس بأن بريطانيا في حاجة إلى العرب، والثانية أنه سار مع اليهود والصهيونية كلما أحس أيضاً بأن مصلحة بريطانيا تقتضي ذلك[١٨٨].

ويتضح مما تقدم، ان جمعية الاتحاد والترقي، قد تحركت في جبهتين: الأولى هي القيام بالتنسيق مع الحركة الصهيونية، وفتح باب الهجرة أمام اليهود في فلسطين، والثانية، هي اتباع سياسة التتريك. وفي اعتقادنا أن حزب الإتحاد والترقي يعتبر نقطة التحول في العلاقات العربية التركية بعد انقلاب ٢٧ نيسان ١٩٠٩، لأن السياسة التي اتبعها الحزب المذكور قد أدت إلى إنفصال العرب عن الدولة العثمانية. ولا ننسى في هذا المجال أن العقل المدبر لحركة الاتحاد والترقي هم

---

(١٨٧) عوني عبدالهادي - أوراق خاصة - المصدر السابق، ص ٢٥.

(١٨٨) المصدر السابق، ص ٢٦.

اليهود والدونمة على حد سواء. ويجب أن نؤكد في هذا المجال، على أن عوائل الدونمة أخذت تتغلغل في مجالات الحياة كافة في تركيا، مؤكدين على المجالات الإعلامية والاقتصادية، والوصول إلى المراكز الحقيقية لعملية صنع القرارات في تركيا على الصعيدين الداخلي والخارجي.

خاتمة

يتضح مما تقدم، ان اهتمامات اليهود بفلسطين لا تعود إلى ظهور الحركة الصهيونية منذ مؤتمر بازل عام ١٨٩٧، بل إنها ترجع إلى تاريخ سابق من ذلك، وقد أصبحت هذه الإهتمامات واضحة منذ أن اتبعت السياسة الروسية إستراتيجية جديدة ضد اليهود وذلك في عام ١٨٨٢. ولكن هذا لا يعني بأن اليهود لم يعملوا قبل هذا التاريخ أيضاً، حيث نرى أنه بعد استقرارهم في الدولة العثمانية، حينما قام الملك فردينانـد ملك إسبـانيا بطرد اليهـود من إسبانيا، انصبت جهودهم في السيطرة على المجالات الحيوية في الدولة العثمانية بعد أن اعتنق قسم من هؤلاء الدين الإسلامي، وقد عرف هؤلاء فيما بعد بيهود الدونمة.

إلا أن جهود اليهود لإقامة دولتهم المزعومة في فلسطين قد أصبحت واضحة إلى حد بعيد بعـد هجرتهم من روسيا القيصرية على أثر المذابح المشهورة ضدهم، حيث أصدر السلطان مجموعة من الفرمانات أكدت على منحهم الجنسية العثمانية. وفي الواقع أن جهود اليهود لم تقتصر على الاستقرار في الدولة العثمانية، واعتبارهم من رعاياها، بل أخذ اليهود يسعون للتأثير على السلاطين العثمانيين بغية إطلاق باب الهجرة إلى فلسطين.

وعلى الـرغم من أن الدولة العثمانية قدمت مشاريع عديدة كانت في صالح الحركة الصهيونية، أكدت على استيطان اليهود في خارج الحدود الاقليمية لها مثل أوغنـدا، إلا أن الحـركة الصهيونية قد أصرت على الاستيطان في فلسطين. وفي الواقع قامت الدولة العثمانية بإصدار بعض الفرمانات الجزئية لصالح اليهود، الأمر

الذي أدى إلى استغلالها من قبل اليهود، حيث زادت الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وقد إتبع اليهود ومنذ ذلك التاريخ سياسة المراوغة والتحايل على القانون المحلي، حيث قاموا بشراء الأراضي بأسماء عربية تركية، وأقاموا مستعمرات صهيونية. علاوة على ذلك فإن اليهود عمدوا إلى سياسة الرشوة مع المسؤولين العثمانيين سواء في سراي يلدز أو متصـرفية القـدس، وعنـدما كانوا يصطدمون بمن يرفض طلباتهم، يلفقون عليه تهمة الانتساب لجمعيات سرية مناهضة للسلطان العثماني.

وإتضح لنا أيضاً، بأنه حدثت اتصالات بين عبدالحميد وهرتزل، وفي الحقيقة نرى بأن الأول كان يرمي من وراء اتصالاته مع هرتزل تحقيق الأهداف التالية:

١ـ معرفة النوايا الحقيقية للمنظمات الصهيونية.

٢ـ معرفة القوة الحقيقية لليهود، بالإضافة إلى معرفة مراكز الاستقطاب الدولي في تلك الحقبة التي بدأت تساند الحركة الصهيونية.

٣ـ حاول عبدالحميد معرفة العلاقة بين اليهود والماسونية في الدولة العثمانية.

٤ـ كشف تنظيمات جمعية الاتحاد والترقي، وقد استطاع فعلاً معرفة الشيء الكثير عن تنظيماتها، ولا سيما بعد لقائه مع هرتزل، حيث أعلنت بعض الصحف عن هويتهـا عن طريق تأييدهـا لمحـاولات هرتـزل، وخصـوصاً إذا عرفنا أن هذه الصحف كانت تابعة للجمعية المذكورة.

أما بالنسبة لهرتزل فإنه كان ينوي من وراء هذه الاتصالات مع عبدالحميد، إنجاز المهام الآتية:

١ـ إنفاق مبالغ هائلة مهما كانت قيمتها، من أجل استيطان اليهود في فلسطين، واستعداده تقديم رشوة إلى عبدالحميد ورجال سراي يلدز، في سبيل تحقيق أهدافه.

٢ـ استغل هرتزل إنهماك الجيش العثماني في الدول البلقانية، حيث حاول تقديم مليونين من الليرات الذهبية عند لقائه مع عبدالحميد.

وبعد أن وصلت الحركة الصهيونية إلى نتيجة غير مرجوة من هذه الاتصالات، قررت إبعاد عبدالحميد عن السلطة، حيث قدمت الدعم في كافة المجالات لجمعية الاتحاد والترقي، والأكثر من ذلك أن رجال الجمعية المذكورة كانوا يؤكدون أن الصهيونية لا تتعارض مع ولاء الرعايا اليهود للدولة العثمانية، كما صرحوا بمواصلة العمل على تحقيق أهداف الحركة الصهيونية في انسجام تام مع روح الدستور العثماني، ومع إحترام القوانين والأنظمة المرعية في الدولة العثمانية.

وفي نهاية الأمر، إستطاعت الصهيونية الإطاحة بحكم عبدالحميد، حيث قام رجال الاتحاد والترقي على توسيع باب الهجرة إلى فلسطين، ولا سيما أن العقل المدبر للاتحاد والترقي هم يهود الدونمة، حيث أنه بعد قيام انقلاب ٢٧ نيسان ١٩٠٩ وصل عدد اليهود إلى ثلاثة أضعافه بالمقارنة مع عام ١٨٨٢.

وقد أدت سياسة الاتحاد والترقي إلى نتيجتين هما:

١ـ إن المرونة التي اتبعها رجال الإتحاد والترقي تجاه اليهود والحركة الصهيونية أدت إلى زيادة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، كما اتضح لنا من الاحصائيات التي قدمناها في هذا الصدد.

٢ـ شجعت الصهيونية بعض الحركات القومية المتطرفة مثل الطورانية التي بدأت تظهر في الأفق في هذه الحقبة الزمنية، والتي قامت باتباع سياسة التتريك في الأراضي العربية، وكانت الغاية من ذلك فصم عرى العلاقة بين العرب والأتراك، كي تنفرد وحدها في تنفيذ مخططاتها في المنطقة العربية. كل ذلك قد أدى إلى بروز الحركة القومية العربية، وبالتالي الانفصال عن جسم الدولة العثمانية.

نستنتج من كل ذلك، إن جل الدراسات التي ظهرت في العالمين العربي والإسلامي بعد الحرب العالمية الأولى، لم تكن لتميز بين حقبتين: الأولى تبدأ من

قيام الدولة العثمانية إلى قيام انقلاب ٢٧ نيسان ١٩٠٩، والثانية تبدأ من ٢٧ نيسان ١٩٠٩ إلى سقوط الدولة العثمانية. تتميز الحقبة الأولى بين العرب والأتراك بمتانة العلاقات بينهما، حيث أن العثمانيين تأثروا بالثقافة العربية، أكثر من تأثر العرب بالأتراك، وقد جاء هذا التأثر عن طريق الإسلام.

أما فيما يتعلق بالحقبة الثانية، فإنها أدت إلى التوتر في العلاقات العربية التركية، لأن قادة الاتحاد والترقي اتبعوا سياسة التتريك مع العرب، والتعاطف مع الحركة الصهيونية، وكان هذا كفيلا بابعاد الأتراك عن العرب، وبالتالي دفع العرب إلى المطالبة باستقلالهم عن الدولة العثمانية.

المصادر العربية

١ ـ الكتب:

ـ أرملة، اسحق، القصارى في نكبات النصارى، المطبعة (بلا)، ١٩١٩.

ـ أمين، أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، القاهرة، ١٩٤٩.

ـ أنيس، محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ ـ ١٩١٤، القاهرة، (بلا).

ـ البستاني، سيف الدين (دكتور)، أوقفوا هذا السرطان: حقيقة الماسونية وأهدافها، دمشق، ١٩٥٩.

ـ أبو صادق، الماسونية بلا قناع، مطبعة البصري، بغداد، ١٩٦٧.

ـ بيهم، محمد جميل، فلسفة التاريخ العثماني، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٥٤.

ـ جريس، صبري، تاريخ الصهيونية، الجزء الأول: ١٨٦٢ ـ ١٩١٧، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٧.

ـ جمعة، محمد لطفي، حياة الشرق، دار احياء الكتب العربية، (بلا).

ـ الجندي أنور، يقظة الإسلام في تركيا، دار الأنصار، ١٩٧٩.

ـ حتي، فيليب، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، المجلد الثاني،

الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٥.

ـ حسين، محمد محمد (دكتور)، الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر من الثورة العرابية إلى قيام الحرب العالمية الأولى، الجزء الأول، ط٢، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٣٨٢هـ.

ـ الحصري، ساطع، البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥.

ـ حقبة من تاريخ الأردن الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين، الدار المتحدة للنشر، بيروت، (بلا).

ـ حلاق، حسان علي، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ ـ ١٩٠٩، بيروت، ١٩٧٨.

ـ الحوراني، ألبرت، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ ـ ١٩٣٩، ترجمة كريم عزقول، دار النهار للنشر، ط٣، بيروت، ١٩٧٧.

ـ ددة بابا، أحمد سري، الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة البكتاشية، مصر، ١٩٥٩.

ـ الديب، محمد محمود، حدود فلسطين: دراسة تحليلية لوثائق الانتداب، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٩.

ـ راسم، أحمد، التاريخ العثماني، المجلد الثالث.

ـ رضا، رشيد، تاريخ الأستاذ الشيخ محمد عبده، مطبعة المنار بمصر، ١٩٣١.

ـ رضا، رشيد، مختارات سياسية من مجلة المنار، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠.

- الزعبي، محمد علي، الماسونية: منشئة ملك إسرائيل، القسم الأول، منشورات مكتبة العرفان، بيروت، ١٩٥٦.

- زعيتر، أكرم، القضية الفلسطينية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥.

- زين، زين نورالدين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، ط٢، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٧.

- الزين، مصطفى، أتاتورك أمة في رجل، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٢.

- سعيد، أمين، أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين، دار الكتاب العربي، (بلا).

- س. ناجي، المفسدون في الأرض أو جرائم اليهود السياسية والإجتماعية عبر التاريخ، مطبعة الارشاد.

- السوداني، صادق حسن، النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤ ـ ١٩٥٢، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.

- سوسة، أحمد (دكتور)، العرب واليهود في التاريخ: حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية، ط٢، العربي للإعلان والطباعة والنشر، (بلا).

- شاكر، أمين، وآخرون، تركيا والسياسة العربية من خلفاء آل عثمان إلى خلفاء أتاتورك، دار المعارف بمصر، القاهرة، (بلا).

- شفيق باشا، أحمد، مذكراتي في نصف قرن، ج٢، مطبعة مصر، ١٩٣٦.

- الشناوي، عبدالعزيز محمد (دكتور)، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، الجزء الثاني، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٨٠.

- شيخو، لويس، السر المصون في شيعة الفرمسون، تحقيق وتقديم أبو صادق منشورات دار البصري، بغداد، ١٩٦٦.

- صايغ، أنيس، الهاشميون والثورة العربية الكبرى، منشورات دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٦.

- صفوة، نجدة فتحي، بيروبيجان التجربة السوفيتية لانشاء وطن قومي يهودي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٣.

- صويص، سليم، أتاتورك منقذ تركيا وباني نهضتها الحديثة، عمان، ١٩٧٠.

- طعيمة، صابر عبدالرحمن، إسرائيل بين المسير والمصير: دراسة في تكوين الدولة ومستقبلها، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة ١٩٧٣.

- العاشور، مصطفى زكي، بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، دار المحراب للطباعة والنشر، ألمانيا الغربية، (بلا).

- عبدالحميد، محسن (دكتور)، حقيقة البابية والبهائية، ط٣، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧.

- عبدالحميد، محسن (دكتور)، جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣.

- عبده، علي إبراهيم (دكتور)، قاسمية، خيرية (دكتورة)، يهود البلاد العربية، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧١.

- عطية، على إمام، الصهيونية العالمية وأرض الميعاد، دار مطابع الشعب، القاهرة ١٩٦٣.

- علي، محمد كرد، خطط الشام، الجزء الثالث، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠.

- عنان، محمد عبدالله، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٤.

- القاسم، أنيس، نحن والفاتيكان وإسرائيل، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٦.

- قاسمية، خيرية (دكتورة)، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ - ١٩١٨، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٣.

- كنعان، جورجي (دكتور)، سقوط الامبراطورية الإسرائيلية، مكان الطبع (بلا)، ١٩٨٠.

- الكواكبي، عبدالرحمن، أم القرى، ١٩٠٠.

- الكيالي، عبدالوهاب، الموجز في تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧١.

- محافظة، علي، العلاقات الألمانية - الفلسطينية من إنشاء مطرانية القدس البروتستانية وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية ١٨٤١ - ١٩٤٥، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.

- المخزومي، محمد باشا، خاطرات جمال الدين الأفغاني، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٦٥.

- محمود، عبدالحليم، جمال الدين الأفغاني، جدة، دار الناشر، ١٩٧٩.

- مراد، عباس كاظم، البابية والبهائية ومصادر دراستهما، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٢.

- المغربي، عبدالقادر، جمال الدين الأفغاني، دار المعارف بمصر، ط٢، (بلا).

- مكاريوس، شاهين، فضائل الماسونية، مطبعة المقتطف، مصر، ١٨٩٢.

- مكاريوس، شاهين، تاريخ الاسرائيليين، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩٠٤.

- الميداني، عبدالرحمن حبنكة، مكائد يهودية عبر التاريخ، دار العلم، بيروت، ١٩٧٤.

- الندوي، أبو الحسن علي الحسني، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة العربية في الأقطار العربية الإسلامية، دار الندوة للتوزيع، لبنان، ١٩٦٥.

- النجار، حسين فوزي، السياسة والإستراتيجية في الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٥٣.

- هويدي، أمين، كيف يفكر زعماء الصهيونية، دار المعارف بمصر، ١٩٧٤.

- وزارة الدفاع الوطني، الجيش اللبناني، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٧٣.

٢- الكتب المترجمة:

- أبو لغد، إبراهيم (دكتور)، تهويد فلسطين، ترجمة الدكتور أسعد رزوق، مركز الأبحاث، ١٩٧٢.

- أتيلخان، جواد رفعت، أسرار الماسونية، ترجمة نورالدين الواعظ وسليمان أمين القابلي، بغداد، ١٣٧٦هـ.

- آرنست أ. رامزور، تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠.

- أنطونيوس، جورج، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد والدكتور إحسان عباس، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٧٤.

- حجار، جوزيف (دكتور)، أوربا .. ومصير الشرق العربي: حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية، ترجمة: بطرس الحلاق وماجد نعمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٦.

- مجموعة من الكتاب الأمريكيين، جذورنا لا تزال حية، ترجمة: مكي حبيب المؤمن، بغداد، ١٩٨٢.

- الخطر الصهيوني: بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة خليفة التونسي، ط٢، القاهرة، مطابع دار الكتاب بمصر، ١٩٦١.

- بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧.

- تايلر، الن (دكتور)، تاريخ الحركة الصهيونية: تحليل للدبلوماسية الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٤٧، ترجمة بسام أبو غزالة، منشورات دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٦.

- شكري، علي أحمد (المترجم)، مذكرات جمال باشا، مطبعة دار البصري، بغداد ١٩٦٣.

- صايغ، هيلدا شعبان، يوميات هرتزل، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ط٢، ١٩٧٣.

- ضابط تركي، الرجل الصنم: كمال أتاتورك، ترجمة عبدالله عبدالرحمن، بيروت، ط٢، ١٩٧٨.

- مؤسسة الرسالة، مذكرات السلطان عبدالحميد: مذكراتي السياسية، ١٨٩١ - ١٩٠٨.

- عبدالحميد، محمد حرب (المترجم) مذكرات السلطان عبدالحميد، القاهرة، ١٩٧٨.

- لورنس ت. أ.، أعمدة الحكمة السبعة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩.

- هاسلب، جون، السلطان الأحمر: قصة حياة السلطان عبدالحميد، تعريب

فيليب عطاالله، دار الروائع الجديدة، بيروت، ١٩٧٤.

- ونيش، شيريب، حكومة العالم الخفية، ترجمة مأمون سعيد، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٤.

٣- الرسائل الجامعية:

- برو، توفيق علي، العرب والترك في العهد العثماني ١٩٠٨-١٩١٤، دار الهنا للطباعة، القاهرة، ١٩٦٠.

- الخربوطلي، أميرة محمد كامل، الدور السياسي للعسكريين في تركيا - رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٧٢.

- الخربوطلي، أميرة محمد كامل، العلاقات المصرية التركية من ١٩٥٢ - ١٩٧١، - رسالة دكتوراة غير منشورة - جامعة القاهرة، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٧٩.

- الخولي، حسن صبري (دكتور)، سياسة الإستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، جزءان، دار المعارف بمصر، ١٩٧٣.

- رؤوف، عماد عبدالسلام، الموصل في العهد العثماني وفترة الحكم المحلي - رسالة ماجستير - النجف، ١٩٧٥.

- قاسمية، خيرية، الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨-١٩٢٠، دار المعارف بمصر، القاهرة، (بلا).

- النعيمي، أحمد نوري (دكتور)، تركيا وحلف شمال الأطلسي - عمان، ١٩٨١.

٤- المذكرات:

- عوني عبدالهادي - أوراق خاصة - إعداد الدكتورة خيرية قاسمية، منظمة

التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧٤.

٥- الدوريات:

- الأفغاني، سعيد، «سبب خلع السلطان عبدالحميد، وثيقة بتوقيعه، فريدة مجهولة تصرح بالسبب»، العربي، العدد: ١٦٩، الكويت، كانون أول، ١٩٧٢.
- الأرض المقدسة، الجزء الثالث عشر، مطبوعات المكتبة الهاشمية بدمشق، (بلا).
- الأرض المقدسة، الجزء الحادي والعشرون، مطبوعات المكتبة الهاشمية، (بلا).
- عبدالعزيز، محمد ناجي، «حقيقة أبناء صهيون»، مجلة إحياء التراث العربي الإسلامي، العدد ١٤، آب، ١٩٨٢.
- المميز، أمين، «عود إلى اتفاقية فيصل وايزمن»، آفاق عربية، العدد: ٥، كانون الثاني، ١٩٧٨.
- موفاكو، محمد، «البكتاشية انتسبوا للإسلام واعفوا أنفسهم من كل التكاليف والعبادات»، العربي، العدد: ٢٢٠، آذار (مارس)، الكويت، ١٩٧٧.

المصادر الأجنبية

أولاً- المصادر الإنكليزية:

A- Books

- Armstrong, Harold, Crey wolf: Mustafa kemel, An Intimate study of adicator, London, 1932.
- Ben-Gurion, Translated by peretz, Michel Bat-Zohar kidrom, London, 1977.
- Beinart, Haim, The Jews in spain, in the Jewish world, Ed. Alie Kedourie, London, 1979.
- Berkes, Niyazi,The Development of Secularism in Turkey, Montreal, Mc. Gill University press, Canada, 1964.
- Boissier, Pierre, Henry Duant, Institute, Henry, Dunant, Geneve, 1975.
- Brym, Robert, J., Jewish Intelligentsia and Russian Marxism, Britian, 1978.
- Cecil, Roth, The House Nasi Dona Grecia, Green wood press, New york, 1988.
- C. H. Dodd, Democracy and Development in Turkey, Universty California, 1969.
- C. H. Dodd, Polities and Government in Turkey, University of Hull, 1979.
- Cohen, Ammon, & B. Lewis, Population and Revenue in the towns of Palestine in the Sixteenth Century, Princeton, New Jersey, 1978.
- Cullagh M,E., The Fall of Abdul Hamid, London, 1910.
- D. Robinson, Richard, The first Turkish Republic, Harvard University Press, 1963.
- De Castro, Don Adolfo, The University of the Jews in spain, U.S.A., 1973.
- Domont, Paul, Jewish Communities in Turkey during the last decades of the Nineteeth Century in the light of the Archives of the Alliance Israelile Universelles, in Christians and Jews in Ottomann Empire.
- Elbogen, Ismar, A Century of Jewish Life, Third Impression, Translated by Moses Hadas Cambridge, England, 1946.

- Goldschmidt, Jr, Arthur, Aconcise History of the Middle East, U.S.A, 1968.
- Herzel, Teodor, The Jewish State, Scoups publishing co, Newyork, 1943.
- Hotham, David, The Turks London, 1978.
- Hyamson, A., The British Consulate in Jerusalem in Relations to the Jews in Falestine, London, 1939.
- J. shaw Stanford, The Ottoman Empire and Modern Turkey, Cambridge University press 1977.
- Kedouri, Ele, England and the Middle East, the Destruction of the ottomann Empire 1914, London, 1956.
- Kochan, Lionel, The Jews in Soviet Russia since 1917, 3th Edition, 1978.
- Koral, Enner, Ziya, Non-Muslim Reprensentative in the first constitutional Assembly, 1876, 1877, in christians and Jews in the ottomann Empire.
- Landau, Jacob, Abdul-Hamids palastine, Jerusalem, 1979.
- Laqueur, Walter, A history of Zionism, London, 1972.
- Leonard, stein, The Balfour Declaration, London, 1961.
- Lewis, Bernard, The Emergence of Modern Turkey, Royal Institute International Affairs, U.K - U.S. A, 1968.
- Lewis, B. The Jewis of Islam, England, 1984.
- Mackenzie, Norman, Secret Societies, London, 1967,
- Ma' oz, Moshe, Suplies on Palestine during the ottomann period, Jerusalem 1975.
- Nyrop, Richard F., Turkey a country study, Washington, 1980.
- C. Freedman, Robert, World Politics and the Arab-Israeli conflict, U.S.A, 1979.
- O' Neill, Bara E, Armed Struggle in Palestine A political Military Analysis U. S.A. 1978.
- Parkes, James, History of the Jewish People, London, 1962.
- Poncins, Leon de, Victome, The secret powers Behind Revolution on Freemasonry and Judaism Boswell printing and publishing cited, 1929.

- Poliakeve, Leon, The History of Anti-Semitism, Vol, II, London, 1974.
- Sasson, H. H., A history of the Jewish People, London, 1976.
- Shmuderts, Arveh, The Jews of the Ottomann Empire in the late Fifteenth on the Sixteenth Centuries, Lerdens Berin, 1984.
- Waston, Seton. R. W., The Rise of Nationality in the Balkans, London, 1917.
- Watson, Hazell and Viney, The Ottoman and its Successors, Peter Manfield, Great Britan, 1973.
- Webster, Nesta H., Secret Societies and Subversive Movement, London, 1928.
- Weizmann, Chaim, Trial and Error, London, 1949.
- Wichtl, Friederich, Freimauerei, welt, Eine Untersuchung uber urprung and Endzile wetknieges (5thed. Munich 1920).
- Zureik, Eliat, The palestinians Israel A study in Internal colonilism, London, 1979.

B- Periodicals and Articles:

- Andrew, Mango, "The young Turkes" The Middle Eastern studies, vol, 8, No. 1, January 1972.
- Ercan, yavuz, Musa,"The Armenian Question - A historical", Foreign policy, vol. 3, No. 1, Ankara, 1973.
- Gulek, Kasim,"Democracy Takes Root in Turkey", Foreign Affairs, vol. 30, No. 1 october, 1951.
- Horwe, Marrine,", Turkish Jews year Moslem Zead", International Herald Tribeune, wed sept 3, 1980.
- Kedourie, Elie,"Young Turkes, Freemasons and Jew", Vol.1, No. 2, January, 1965.
- Kedourie, Elie,"Funther light on Afghani", Middle Eastern studies, Vol. 7, No.1, January, London, 1971.
- Keddie, Nikki R.," the Pan-Islamic Appeal: Afghan: and Abdulhamid", Middle Eastern studies, vol. 3, No. 1, 1966.

- Kurkeuoglu, omer,"Towards the Middle East Conflict." Foreign policy, Vol. V, No. 4, Tisa Matbaacilik Sanayii, Ankara, 1976.
- Mandel J., Nevill " Ottoman Policy and Restrictions on Jewish Sttlement in Palestine: 1881-1908", Part 1, Middle Eastern Studies, Vol, 10, No. 3, October, 1974.
- Mandel J. Neville " Ottoman Practice as Regards Jewish Settlement in Palestine: 1881-1908", Middle Eastern Studies, Vol.11 No. 1, January, 1975.
- Oke, Bulen Kemal, "Zionists and the Ottoman Foreign Ministry during the Reign of Abdulhamid" Studies Quarterly, Vol. 2, No. 4, 1980.
- Ro'i Yaacov, "The Zionist Attitude to the Arabs 1908-1914", Middle Eastern studies, Vol. 4, No. 3, April, 1968.
- Thornton, A.P.,"The sound of Running History" international Journal, Vol, XXVIII, No. 4, Autumn, 1973.
- Ussishkin , Aune ,,"in Falestine the Jewish Colonisation Association and a Rothschild", Middle Eastern Studies, Vol. 9, No. 3, 1973.

ثانياً- المصادر التركية:

A-Kitabler

- Abdal Hamit, Sultan Siysai Hatiratim Haraket Yayinlari, Istanbul, 1974.
- Atilhan, Cevat Rifat, Islami Saran Tehilke Siyonizm Ve Protokollar, cun Matbaasi, 1955.
- Atilhan, Cevat Rifat, Islam ve Beni Israel, Istanbul, 1956.
- Atilhan, Cevat Rifat, Farmasonluk insanligin kanseri, Istanbul, 1960.
- Atilhan, Cevat Rifat, Meshun Yahudi Suziliberman'in Hatra Defteri, celik cilt Matbaasi, Istanbul, 1961.
- Cem, Hasan,dunyada ve Turkiyed Masonluk, Ozdemir Basemevi, Istanbul, 1976.
- Cetin, A. Alaaddin, Yildiz, Ramazan, Sultan 11. Abdulhamid Han, Devlet ve Memleket Goruslerim, Istanbul, 1976.

- Danismend, Ismail Hami, 31 Mart Vakasi, Ist. Kitabevi, Istanbul, 1961.
- Egekan, Enver, Necdet, onceki Buyukustad cercekyuzyle Basnur matbaasi, Ankara, 1996
- Kurkcuoglu, omer E., Turkiyenin Arap Orta, Docusun'a karsi politikasi (1945-1970), Sevinc Matbaasi, Ankara, 1969.
- Kutay, cemal, prens sabahaddin Bey, Sultan 11. Abdulhamid, ittihat ve Terakki, Istanbul 1967.
- Nur, Riza, Hayat ve Hatiratim, III cild, Altinda yayinevi, Istanbul, 1968.
- Ogan, M. Raif, Abdulhmid ve Bugunku Muarizlari, Istanbul, 1965.
- Osmanoglu, Sadiye, Hayatimin Active Tatil Gunleri, Istanbul 1966.
- Sokir, Zika, Turkiye Yahudiler, Millet Mecumasi, sayi. 91, Ekim, 1947.
- Soysal, ilhami, Turkiye ve dunyada Masonluk ve Masonlar, Deryayinlari, Istanbul 1978.
- Tanyu, Hikmet, Tarih Boyunea Yahudiler ve Turkler, Birinci Cilt, Ikinci Baski, Bileg yayinevi, Ankara, 1979.

B- Makaleler:

- Atilhan, Cev at Rifat, "Bizde Msluman Dusmanliginin sebeb ". Istikla Gazetesi, 1960
- Ergun, Abdulhamid Huznu, Turcuman, 11 Mart 1975.
- Hocaoglu, Mehmet, Abdulhamid Hanian Muhitralari (Belgeler) oymakyay. Ist, 1967.
- Muftuoglu Mustafa, Aci, Bir Gun, Sultan Ikinci Abdulhamid Hanin Hal'i, Milli Gazete,, 27 Nisan, 1976.
- Bugun, march, 1968.
- Seblurressad, Turkiyede Donmelik Tarihcesi, vol. 1, sayi, 8, 1948.
- yeni Istanbul, 15 october, 1967.
- Yeni Istanbul, 29 october, 1967.

الفهرس